المراز أدب ثقافة وفنون
www.9ofy.com

هذه الرواية تروي قصّة شريحة من المجتمع الريفي (الأبوي)، اليابانى، حيث نتابع، بلهفة وتشوّق، أحداث الحياة اليومية لعائلة لها ربّها وأعضاؤها وأبطالها : ياكيشي، الوالد المتمتّع بحقوق السلطة، وايتسوكو، المرأة الشابّة الحسناء المحبوبة بصورة سيّئة والتي تتلهّف إلى لحظة حبّ أو علاقة حبّ، وزوجها الذي يفضّل عليها عشيقاته، قبل أن يموت، وحبيبها، من جانب واحد، الخادم الوسيم سابورو، وعشيقته الخادمة الحسناء ميو. وأهمّ ما في هذه الرواية خطّان صاعدان: خط يذكّرنا بالمأساة «اليونانية» الملحمية والدرامية، فالدراما في هذه الرواية تهدّدنا، في كل لحظة من تطوّرها، بالنهاية الفاجعة لحبّ الصبيّة الحسناء ايتسوكو، علماً بأننا نتوقّع نهايتها ولكن بدون تحديد ولا يقين، وخط آخر تتفتح فيه مصائر أبطال الرواية بهدوء وثقة، دون أي تدخّل ذاتي من قبل الروائي الياباني الكبير ميشيما. فكأنما الرواية ، زهرة سحرية تتفتح عارضة مصائر أبطالها، كأنما عَبْرَ عدسةٍ سحرية.

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

المراز أدب ثقافة وفنون
www.9ofy.com

يوكيو ميشيما

عطش الحب

ترجمة محمد عيتاني

دار الآداب

يوكيو ميشيما
عطش الحب
دار الآداب

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

يوكيو ميشيما

عطش للحبّ

رواية

ترجمة محمد عيتاني

منشورات دار الآداب - بيروت

عن ميشيما...

ولد يوكيو ميشيما (اسم مستعار لـ كيميتاكه هيراوكا) عام ١٩٢٥ في طوكيو . وعمله الأدبي متعدّد ومتنوّع وغزير في الوقت ذاته : محاولات دراسية ، ومسرح ، وروايات ، وقصص ، وسرديّات لأسفار . وقد كتب أيضاً العديد من الروايات الشعبية التي كانت تصدر في الصحف الواسعة التوزيع ، مضافة إلى أعمال أدبية رفيعة الأسلوب والمضامين . وقد قام بالتمثيل في فيلم من إخراجه ، يقدّم صورة مسبّقة لموته هو بالذات .

أحرز ميشيما الجوائز الأدبية الثلاث الكبرى في اليابان . وعمله الكبير هو سلسلة من أربع روايات تحمل العنوان العامّ «**بحر الخصوبة**» . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، انتحر بصورة مشهودة ، أثناء حفلة سيبوكو[١] **Seppuku** ، في نهاية محاولة سياسية بالسة صدمت خيال العالم بأسره .

---

(١) عرض عسكري وثقافي يقام في اليابان ، متأثراً بقيم فرسان الساموراي التقليديين . (هامش المترجم) .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٩٨٨

- ١ -

في ذلك اليوم، دخلت ايتسوكو مخزن هانكيو الكبير ، واشترت زوجين من الجوارب الصوفيّة القصيرة ، أحدهما أزرق ، والآخر كستنائيّ . وكانا كلاهما متوحّد اللون ، وعلى متانة.

كانت قد ذهبت إلى «أوزاكا» وقامت بآخر مشترياتها في مخزن هانكيو هذا، عند محطة القطار الأخيرة . ولم يبق عليها سوى أن تعود أدراجها في طريق العودة وأن تستقلّ القطار عائدة إلى منزلها. إنها لن تمنح نفسها حتى قدح شاي، ولا وجبة طعام . كانت ايتسوكو تبغض فوق كل شيء جلبة المدينة.

ولو كانت لها رغبة في ذلك، ما كان عليها سوى أن تهبط على درجات السلّم المؤدّي إلى نهاية خط أوميدا للوصول إلى شينسيباشي أو إلى دوتونبوري بواسطة المترو . أو أنها ، لدى مغادرتها المخزن ، تجتاز مفترق الطرق حيث كان ماسحو الأحذية ، المصطفّون على الرصيف ، ينادون : «**لمّعوا أحذيتكم!**»، وبذلك سوف تصل إلى ساحل المدينة الرمليّ ، الذي تكنسه دفقات المدّ البحري.

كانت أوزاكا توحي إلى إيتسوكو، التي ولدت وتربّت في طوكيو،

ذعراً لا سبب واضحاً لـه. وكانت أوزاكـا مـدينـة لأقـطاب التجـارة، والمتشـرّدين ، والصناعيّين وعمـلاء الصيرفـة ، والمومسـات ، وتجّار الأفيون ومهرّبيه ، ومستخدمي المكاتب، والباعة الدوّارين ، وأصحاب المصارف، والموظّفين، ومغنّي الجيدايو الشعبيين، والخليلات المنفق عليهن، والموفّرين الصغار، والصحفيين، وفنّاني الموسيقى الاستعراضية والمنوّعات[1] ، وساقيات الحانات ، وماسحي الأحذيـة . ولكن ليس هذا ما كانت ايتسوكو تخافـه أكثر الخـوف. أليس هذا كله هـو الحياة بذاتها؟ الحياة ، هذا البحر المعقّد اللامحدود ، المليء بمجموعة من الحـطامات العـائمة ، والـذي كان يـطلق أمواجـاً عنيفة ومتقلّبـة على هواها ، بيد أنّ الموجات الخضر والزرق منها تظلّ صافية دائماً.

فتحت إيتسـوكو حقيبتهـا القماشيـة لتضع فيهـا الجـوارب التي اشترتها . وأضاء وميض برق ساطع النـوافذ المفتـوحة . وتلت البـرق قصفة رعد مهيبة هزّت رفوف المخزن الزجاجية.

واندفعت الريـح إلى الداخـل فقلبت لافتة كُتب عليهـا «شؤون خاصة» . وتراكض مستخدمون لإقفال النوافذ ، فساد الظلام المخزن. لكن الأنوار ، التي تظل مضاءة في النهار ، ظهرت فجأة وازداد بريقها ولمعانها . لم يكن المطر قد هطل بعد.

دسّت ايتسـوكو يـدها في قبضـة حقيبتها . وقـد خدشت قبضـة الخيزران ساعد المرأة ، حين رفعت يـديها إلى وجههـا. كان خـدّاها ملتهبين . وكان هذا يحصل لها في كثير من الأحيان ، دونمـا سبب . ولم يكن ذلـك من أعراض أيّ مـرض ، لكن خـدّيهـا أصبحـا فجـأة ملتهبين . ومع أن يديها صغيرتان ، لكنهما كانتا خشنتين ومسفوعتين ،

(١) المنوعات music-Hall مسرح المنوعات للرقص والغناء والألعاب البهلوانية (هـ م).

وكان صغرهما يجعلهما تبدوان أكثر خشونة . وكانتا تحكّـان خدّيهـا، مشدّدتين الإحساس بالحرق.

ونشأ لدى ايتسوكو فجأة انطباع بأنها تستطيع أن تفعل أي شيء كان : أن تجتاز مفترق طرق ، مثلاً ، وأن تغوص ، وكأنها تنطلق من مقفز ، في وسط كل هذه الشوارع . ولـدى تأمّلهـا في هذا الـواقع ، سقط نـظرها على الجمهـور الـذي كـان يتـزاحم في أقسـام مبيعـات المخزن ، قرب رفـوف السلع ، بين الأصناف الكثيـرة ، واستسلمت لحظة إلى حلم . لم تكن أحلامها تتّصل إلاّ بأمور سعيدة . كان الشقاء يخيفها.

من أين كـانت تأتيهـا هذه الشجـاعة؟ هـل من الـرعـد؟ أم من الجوارب القصيرة التي اشترتها؟ شقّت ايتسوكو الزحام وسـارعت نحو درجات السلم . ولدى وصولها إلى الطبقة السفلى ، اقتربت من شبّاك قطع التذاكر.

نـظرت إلى الخـارج . بعـد لحـظات تحـوّل المـطر إلى وابـل مدرار . فإلى هـاطل . وكـانت الأرصفة قـد امتلأت بـالمياه ، وكـأن السمـاء تمطر منـذ ساعـات ، وكان المـطر يتدفّق مجـدداً على بـلاط الشوارع.

اتّجهت ايتسوكو نحو أحد المخـارج ، لقد استعـادت هدوءهـا واسترخت أثناء سيرها . كانت متعبة مذهولـة بعض الشيء . لم تكن لديها مظلّة ، وليس بوسعها الخروج . كلا ، ليست هذه هي المسألة . لم يعد الخروج ضرورياً.

ظلّت قرب الباب ، ونظرت إلى صفّ الحوانيت على الجـانب الآخر من الشارع ، عبر سكة التـرام ، وأضواء السيـر ، والجادّة التي كانت تختفي بسرعة تحت المطر ، الذي كانت طرطشاتـه تصل حتى

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

مزّلت صفارة رئيس القطار الهواء . وتحرّك رتل القطار بصرير يشبه صرير سلاسل ثقيلة متصادمة ، وانطلق يجري . كانت هذه الحركة الرتيبة تتكرّر من محطة إلى محطة ، في حين كان القطار ينطلق آخذاً كفاية وقته.

كفّ المطر . وأدارت ايتسوكو رأسها ناظرة إلى أشعّة الشمس التي كانت ترشح عبر ثغرة بين الغيوم ، لكي ترتمي ، مثل يد بيضاء عديمة القوة ، على مجموعات المباني في ضاحية أوزاكا.

كان سَيْر ايتسوكو يشبه مشية امرأة حامل . كانت تتحرّك بتراخٍ مفرط . ولم تكن تدرك ذلك ، ولم يكن هناك أحد ليلفت انتباهه إليه . ومثل لافتة علّقها ولد خبيث ومتعفرت على ظهر رفيق له ، كانت مشية ايتسوكو هذه ، دون أن تدري ، هي سمتها المميزة.

تركت محطة أوكاماشي ، وتجاوزت باب معبد هاشيمان الشنتوي[1] ، محاذية الشوارع المحتدمة بالحيوية والزحام ، في البلدة ، ووصلت إلى موضعٍ منازلُه أقل عدداً . وكانت غير مغذّة في السير ، بحيث كان قد هبط المغيب.

كانت قد أضيئت مجموعات مباني الإدارة الإقليمية . وهذه المئات من كتل المباني ، المتماثلة البناء ، كانت تعكس الحياة ذاتها ، والصغر ذاته ، والفقر ذاته . كانت الطريق التي تجتاز هذا الحيّ القذر تشكل «قادومية»[2] لكن ايتسوكو كانت تتجنّبها دائماً . كان يمكن أن يرى المرء بسهولة داخل هذه المساكن ، وفي كل مسكن منها

(١) الشنتوي Shintoïste نسبة إلى الشنتوية ، وهي ديانة اليابان القومية ، السابقة على دخول البوذية إليها ، والشنتوية تقدس الأسلاف وقوى الطبيعة. (هـ .م).

(٢) «قادومية» raccourci كلمة عامية لبنانية، تعني الطريق المختصرة (هـ .م).

خزانته الرخيصة ، وطاولته الخفيضة ، وجهاز الراديو ، ووسائد أرضية الغرفة ، من النسيج الموصليّ الشفاف ، وكان يمكن أن يرى الطعام البسيط فيه ، وكلّ هذا البخار! كان كلّ ذلك يثير غضبها . لم يكن بوسعها النظر إلى الفقر مواجهةً ، وهي لا تستطيع أن تتصوّر سوى السعادة.

كانت الطريق تمضي وهي تزداد عتمة . وبدأت الحشرات تزقزق . وكانت برك المياه ، هنا وهناك، تعكس آخرَ تألّقات الشفق ، وفي كل جانب من الطريق ، كانت تمتدّ حقول الأرز ، التي كان سطحها يظهر على التوالي معتماً ونيراً في الهواء البحري الرطب.

سلكت ايتسوكو إحدى هذه الطرق الكثيبة للوصول إلى درب يتلوى قرب ساقية صغيرة . لقد أصبحت الآن في أراضي «مايدن» . وبين الساقية والدرب ، كان ثمة دغل من الخيزران ، يرى المرء من ثغرة فيه جسراً خشبياً يمرّ فوق الساقية . اجتازت ايتسوكو الجسر ، ومرّت من أمام منزل مزارعها القديم ، ولدى اجتيازها مجموعة من أشجار القيقب والأشجار المثمرة ، ارتقت مدخل درج حجريّ مستدير ، تكتنفه شجيرات شاي ، وفتحت باب منزل آل سوجيموتو ذي المزلاق . ولدى أوّل نظرة ، كان هذا المنزل يبدو فخماً ، مع أن مالكه قد وجد أن من المستحسن استعمال خشب رخيص في المواضع المستترة منه.

ومن الغرفة الداخلية ، كانت ترتفع ضحكات أولاد أزاكو ، شقيقة زوج ايتسوكو.

«هؤلاء الأولاد لا يزالون يضحكون باستمرار» . . قالت ايتسوكو في نفسها ، وأضافت: «ماذا يمكن أن يضحكهم على هذا النحو؟ وإذا كان ثمة شيء لا أستطيع تحمّله ، فهو تماماً ضحك وقح كهذا!» لم

تكن أفكار ايتسوكو تستجيب لأية نيّة خاصّة . ووضعت حقيبتها على العتبة.

* * *

لقد اشترى ياكيشي سوجيموتو هذا الملك البالغة مساحته حوالي ثلاثمئة وثلاثين آراً في عام ١٩٣٤، قبل خمسة أعوام من حصوله على تقاعده ، ومغادرته شركة «كانسيه» للسفن التجارية.

ولد ياكيشي في ضاحية طوكيو وهو ابن مزارع ، وتوصّل إلى تلقي الدراسة في الكلية . وبعد أن حاز على شهادة إجازة الليسانس ، توظف في «شركة كانسيه للسفن التجارية» وألحق بمقر الشركة ، وكان حينئذ في دوجيما . وتزوج من فتاة من طوكيو ، وهو ، وإن كان قد سكن في أوزاكا ، فقد أدخل أولاده إلى مدارس طوكيو . وفي عام ١٩٣٤، أصبح مديراً عاماً للشركة ، وعام ١٩٣٨ ، رئيساً لها ، وفي العام التالي ، نال تقاعده.

حين كان يحدث له أن يذهب مع زوجته لزيارة ضريح صديق قديم في المقبرة البلدية الجديدة ، في حَرَم هاتوري المقدس ، افتتن سوجيموتو بتموّجات المنظر الطبيعي . وحين استعلم عن المكان ، سمع لأوّل مرة باسم «مايدن». وقد اختار أرضاً في منحدر مزروع بأشجار الكستناء والخيزران ، ومزيّن بحدائق مثمرة . وفي عام ١٩٣٥ ، ابتنى له ولعائلته هناك دارة صغيرة ، وفي الوقت ذاته ، كلف بستانياً بالعناية بزرع أشجار مثمرة .

لكن هذه الحياة في الدارة لم تكن إطلاقاً كما كانت زوجته وأولاده يأملونها من حيث قضاء أوقات الفراغ والتسلية . وفي الواقع ، لم تكن الدارة بالنسبة لهم سوى المكان الذي كان يستطيع ياكيشي أن يقود عائلته إليه بالسيارة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع خارج أوزاكا ،

وللتمتّع بالشمس والاستسلام لميل إلى الحياة الريفية . وكان ابن ياكيشي البكر ، كانسوكيه ، وهو هاوٍ متكاسل ، يعارض بكل قواه نزوة والده ، المنعّم بطاقة صحية سليمة . لكنه ، في الوقت نفسه مع بغضه الحميم لهذه النزوة ، كان يجد نفسه ملزماً ، رغماً عنه ، كما هي العادة ، بالانضمام إلى أشقائه في أعمال البستنة .

في ذلك العهد ، كان بين رجال الأعمال في أوزاكا ، كثيرون ممن يحبّون الأرض ، لكن بسبب بخلهم الفطري ، وتشاؤمهم ، كانوا غير ميّالين كثيراً إلى شراء دارات على السواحل المرغوبة وفي محطات المياه المعدنية ، وكانوا يبتنون لأنفسهم منازل ريفية في الجبال ، حيث الأرض أرخص ثمناً والعلاقات الاجتماعية أقلّ كلفة.

حين أخذ ياكيشي سوجيموتو تقاعده ، أصبحت «مايدن» مركز نشاطه . ويمكن تماماً أن يكون اسم مايدن مشتقّاً من «ماي» (الأرز) و «دن» (حقل) ، فيصبح معناها «حقل الأرز» . وبديهيّ على كل حال أن البحر ، في الأزمنة القديمة، كان يغمر هذه المنطقة . ذلك لأن الأرض هنا خصبة جداً . وقد استطاع ياكيشي أن يزرع في أراضيه مختلف الخضروات والأشجار المثمرة. وقد قدّم المؤاكر وعائلته، وكذلك ثلاثة بستانيين آخرين ، مؤازرة كبيرة ، لهاوي الزراعة هذا ، أي ياكيشي ، وبعد بضع سنوات ، أصبحت ثمار الدراق التي ينتجها آل سوجيموتو تلاقي تقديراً كبيراً في أسواق المدن.

لم يعرف ياكيشي أعوام الحرب. وكان هذا قد شكّل ازدراء خاصاً . وكان يلاحظ قائلاً إن أهل المدينة ، قدر عليهم أن يعيشوا على جرايات هزيلة ، وأن يشتروا بثمن غال جداً الأرز من السوق السوداء ، لأنهم مفتقرون إلى البصيرة والفطنة . لكن بعد النظر الذي برهن عنه كان يتيح له أن يعيش باطمئنان وأن يكفي حاجاته الخاصة ،

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

هو وعائلته . كان يردّ كل شيء إلى مذهب البصيرة والفطنة . وحتى تقاعده المبكر بدا أنه كان محسوباً ، وكان يبدو أنه أفلت من الانزعاج والسأم ، الشبيهين بالسجن ، واللذين كان يعاني منهما العديد من الإداريين الآخرين المتقاعدين .

كان يسخر من العسكريين بتهكمات نصف جدّية لرجل ليست لديه تظلُّمات شخصيّة. وقد أصبحت هذه التهكّمات أكثر مرارة حين توفيت زوجته بالتهاب الرئة بعد أن تناولت مستحضراً صيدلانياً كان الجسم الطبيّ قد أقرّه مؤخراً. وقد حصل ياكيشي على هذا الدواء من صديق له في الجيش كان يعمل في مقر أوزاكا العام. وكان ياكيشي يقول إن ذلك العقار لم يكن له أثر مفيد إلّا بكونه قتل زوجته!.

كان يحرث ويزرع ، وكان الدم الفلّاحي يستيقظ فيه وأصبح حبّه للأرض شغفاً ووجداً . والآن ، حيث لم تكن تراه زوجته ولا المجتمع ، كان يصل به الحدّ إلى التمخّط بين أصابعه. وفي جميع أليافٍ خيوط جسده الذي بدأ يشيخ ، وهو جسد تحمّل إرغام الحمالات والصدارات المزينة بسلسلة ذهبية ، كانت تظهر بنية الفلاح شديدة القوّة . وكان شخصه المعتنى به إلى أقصى حد في الماضي يحل محلّه مظهر فلّاح. ولو أتيح لمرؤوسيه السابقين أن يروه الآن ، لاعترفوا بأن الحاجبين المقطبين والعينين المفعمتين غضباً ، التي كانت تلقي الرهبة في نفوسهم في الماضي لم تكن سوى قسمات يتّصف بها بصورة عامة الفلّاحون المسّنون.

وكأنما كان ياكيشي لأوّل مرة مالكاً لأرض . وفي السابق ، كان قد امتلك قطعة أرض للبناء ، لكن هذه الأرض لم تمثل بالنسبة له أي شيء آخر إطلاقاً . والآن لديه أرض حقيقية . وكانت تستيقظ فيه هذه

الغريزة التي كانت تدفعه للاعتقاد بأن كلمة «ملكية» ليس لها أيّ معنى إلّا إذا كان الشيء المملوك أرضاً . وكان يخيّل له أن حياته ، لأوّل مرة ، تتحقّق بصورة محدّدة ودقيقة وملموسة . وكان يظهر له الآن أن الازدراء الذي أحسّ به وهو شاب نحو والده وجدّه كان يُعزى كلياً إلى واقع أنهما لم يكونا يملكان شبراً واحداً من الأرض . وبحرارة وحميّة لم تكونا سوى تعطّش للثأر ، ابتنى ياكيشي ضريحاً للعائلة مكلفاً بصورة مضحكة، في معبد بوداي في الإقليم الذي ولد فيه. ولم يكن يشك ألبتة ، حينئذ ، أن ريوسوكيه ، ولده الثاني ، سيكون أوّل من يدفن فيه . وإلّا ، فقد كان باستطاعته تماماً أن يشتري أرضاً قائمة في داخل حرم هاتوري المقدّس .

وأثناء زيارتهم القليلة التواتر إلى أوزاكا ، فإن أبناء ياكيشي ، كانسوكيه ، الأكبر ، وريو سوكيه ، الثاني ، ويوسوكيه ، الأصغر سناً ، كانوا يرتبكون للتغيّرات التي كانوا يشاهدونها لدى الأب . إن الصورة التي كانوا يشكّلونها له كانت إلى هذا الحد أو ذاك ، هي الصورة التي رعتها ، بعناية ، والدتهم الراحلة . إنها ، وقد رُبّيت في أوساط طوكيو البورجوازية بصورة فظيعة ، تطلّبت من زوجها أن يتصرّف كعضو من أعضاء المجتمع الراقي . وحتى وفاة زوجته ، لم يكن مسموحاً له أن يتمخّط بين أصابعه ، ولا أن ينظّف أنفه أمام الناس ، ولا أن يفرقع بلسانه لدى تناوله ثريدته ، ولا أن يتنخّم بقايا الوجبة في رماد نار الخشب ، وهذه كلها عادات سيّئة يستطيع المجتمع ، بكل شهامة ، أن يتسامح حيالها لدى وجودها عند بطل.

كان التحوّل الذي طرأ على ياكيشي ، في عيون أولاده ، جديراً بالشفقة ، ومرهقاً . وكأنما قد استعاد حميّته عَهْدَ أن كان مديراً عامّاً لشركة كانسيه للسفن التجارية ، ولكن بدون مرونة رجل الأعمال ، غير تارك سوى الرجل الذي حقّق الوصول بذاته ، وتحت ضوء أسوأ نهار .

وكان صوت ياكيشي هو صوت مزارع يلبس أسمال ناهبٍ للحدائق المثمرة .

كان تمثال نصفي من البرونز ، لـ «ياشيكي» يتصدّر صالوناً كبيراً كان فيها أيضاً رسم لوجه ياشيكي مرسوماً بالزيت بريشة رسّام شهير من رسّامي حلقات كانسيه الفنية . وكان التمثال النصفي ورسم الوجه رصينين ، مثل رصانة الصور الفوتوغرافية لرؤساء شركة متعاقبين ، هذه الصور الماثلة في المجموعات الضخمة التي تُطبع احتفالاً بذكرى مرور خمسين عاماً على تأسيس شركات يابانية كبيرة .

إن عناد التمثال النصفي ، واعتزازه المنعم بالتباهي ، واللذين بقيا دون مسّ عند هذا الفلّاح المسنّ ، هما ما كان يجده أبناؤه مثيراً للشفقة . وكانت أقواله عن العسكريين تعبّر عن الغطرسة العنيفة للديماغوجيّ القرويّ . وكان القرويّون الأبرياء ، يرون في أقواله البرهان على روحه الوطنية ، فيزدادون تقديراً له .

ومن سخرية القدر، أن كانسوكيه الابن الأكبر لياكيشي ، الذي كان يحكم على والده بأنه لا يطاق ، هو الذي اضطر ، قبل سواه ، للاقامة عند ياكيشي . ومع أن الربو المزمن الذي يعانيه كانسوكيه ، قد أتاح له الخلاص من الخدمة العسكرية العاملة . فإن والده ياكيشي لم يكن يستطيع أن يعفيه من الخدمة التطوّعية ، وهو واجب بادر كانسوكيه إلى اختياره حين منحه والده عملاً في مكتب بريد «مايدن» . وقد انتقل كانسوكيه إلى الدارة، مصحوباً بزوجته، وكان يبدو أن من الحتمي الذي لا مردَّ له أن تنتج عن ذلك احتكاكات، لكن كانسوكيه كان يتلافى بسهولة نزعة والده الاستبداديّة . وكان يحقق المآثر في هذا المضمار، بفضل وقاحته .

ولما كانت الحرب تمضي متّسعة ، استدعي البستانيون الثلاثة

إلى خدمة العلم ، لكن أحدهم ، وهو شابّ من محافظة هيروشيما ، تدبّر الأمر بحيث أن شقيقه الأصغر ، الذي كان خارجاً لتوّه من المدرسة الابتدائية ، حلّ محلّه . إن هذا المراهق ، واسمه سابورو ، قد ربّته أمّه على ديانة «تنري» . وأثناء الاحتفالات الدينيّة الكبرى في نيسان وتشرين الأوّل ، كان سابورو يذهب ليلاقي والدته ، مرتدياً سترة بيضاء سُجّلت على ظهرها كلمة «تنري» ، ويمضي هو لتأدية واجبات العبادة في المعبد الكبير .

* * *

وضعت ايتسوكو حقيبتها القماشية على العتبة ، وبدا أنها تصغي لحظة قبل أن تلقي نظرة دائرية في الغرفة المظلمة . لكنها الآن ، وقد أخذت تسمع بصورة أفضل ، أدركت أن الطفل لم يكن يضحك ، بل إنه كان يبكي في الحجرة المعتمة والخالية . ولا بدّ أن أزاكو قد تركته ، ومضت للقيام بأعمال المطبخ . كانت هي زوجة يوزوكيه ، الذي لم يكن قد عاد من سيبريا . وقد قدمت إلى هنا مع ولديها في ربيع عام ١٩٤٨ ، وذلك قبل عام بالضبط من طلب ياكيشي إلى إتسوكو ، التي كانت قد ترمّلت ، أن تسكن معهم .

اتّجهت إتسوكو نحو حجرتها ، لكنها ، لدى اقترابها منها ، فوجئت برؤية نور يتسرّب من أعلى لوحة الباب المتحركة . واتسوكو لا تتذكّر أنها تركت المصباح مضاءً .

فتحت الباب الجرّار . كان ياكيشي ، الجالس أمام المكتب ، مستغرقاً في قراءة ما . بدا مضطرباً حين رفع عينيه ، ورأى كنّته . وأدركت ايتسوكو أن الدفتر ذا الغلاف الجلدي الأحمر ، الذي كان يقرأه ، هو يومياتها .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

ـ ها أنذا قد عدت . قالت ذلك بصوت واضح ، نيّر ، وفرح .

كان موقفها وردّ فعلها مختلفين كلياً عما كان يُنْتَظَر . وكان صوتها ، وحركاتها ، رشيقة مثل صوت فتاة صبية وحركاتها . إن هذه المرأة التي بلا زوج ، كانت كائناً بشرياً يجب أن يؤخذ في الحسبان .

ـ أهلاً بك ، لقد عدت متأخّرة ، أليس كذلك؟ هكذا قال ياكيشي ، الذي ، بصورة أكثر استقامة ، كان يمكنه أن يقول : «لقد عدت مبكرة جداً» .

ثم أضاف : أنا ميّت من الجوع . وفي انتظارك ، استعرت كتابك.

كان الكتاب الذي يمسك به رواية أحلّها محلّ اليوميات . كان عملاً مترجماً أعاره كانسوكيه إلى ايتسوكو .

وأردف يقول : إنه صعب جداً بالنسبة لي . إنني لم أفهم منه كلمة واحدة.

كان ياكيشي يلبس بنطال الغولف العتيق الذي كان يعمل به في الحقول ، وقميصاً عسكرياً ، وصدرة عتيقة أخذها من إحدى بذلاته القديمة التي كان يرتديها في المدينة . هذه الملابس كان يرتديها منذ زمن طويل . لكن التذلّل العبودي تقريباً ، الذي كان يتصرّف به كان تغييراً جذرياً لموقفه أثناء الحرب ، وهو عهد لم تعرفه ايتسوكو . وكان ثمة أيضاً انحداره الجسدي ، وفقدانه القوّة في بصره ، وفي نظرته . وكان يبدو على شفتيه المطبّقتين باعتزاز في الماضي ، أنهما فقدتا القدرة على الانطباق تماماً . وحين كان يتكلّم ، كانت خيوط من اللعاب تظهر على زاويتي فمه.

قالت: ـ لا يوجد في أيّ مكان ليمون هندي . لقد بحثت في كل

مكان ، لكنني لم استطع العثور على ليمونة هندية واحدة .

ـ يا للخسارة!

ارتمت ايتسوكو راكعة على حصير القصب ودسّت يداً في حزامها الواسع . ومثل دفيئة ، كان جسمها الرطب بعد سيرها ، قد حبس الحرارة . كانت تحسّ بالعرق يسيل على صدرها . كان ذلك عرقاً غزيراً وبارداً ، تماماً كما يرشح العرق من شخص أثناء نومه . كان العرق يجتاحها كلّها ، وكان يبدو أن جو الحجرة مشحون برائحة ذلك العرق.

كان يبدو جسدها كله مطوّقاً بشيء ما ، مزعج بصورة غامضة . ثم جلست فجأة على حصير القصب . إن شخصاً لا يعرفها جيداً جداً ، كان يمكن أن يخطىء الحكم على الوضع الذي يتّخذه جسمها في مثل هذه اللحظات . وكثيراً ما فسّر ياكيشي هذا الوضع بأنه محاولة للإغراء . لكن هذا لم يكن يحدث إلاّ حين كان التعب الشديد يرهقها . وقد فهم ياكيشي أنه ليس من الصواب ألبتة في مثل هذه اللحظات أن يطارحها الحب.

خلعت جواربها التي كانت ملطخة بالوحل ، وكان نعلاها رماديين كلياً . وجهدت ايتسوكو لإيجاد شيء تقوله . وفي النهاية قال هو :

ـ إنها قذرة ، أليس كذلك؟

ـ أجل ، إن الطرق سيئة جداً .

ـ إنه وابل جميل من المطر . هل أمطرت في أوزاكا أيضاً؟

ـ نعم ، وذلك حين كنت أقوم بمشترياتي في هانكيو .

كانت ايتسوكو ما زالت تسمع هدير المطر المصمّ للآذان . لقد

بدا الكون كله وكأنه تحوّل إلى ماء تحت إعصارية سماء عاصفة.

لم تعد ايتسوكو تنبس ببنت شفة . كانت هذه الحجرة هي كل ما لديها . أخذت تغيّر «كيمونها» ، متجاهلة وجود ياكيشي . كان التيّار الكهربائي ضعيفاً ، ولم يكن المصباح يعطي سوى ضوء خفيف . ولبث ياكيشي صامتاً لا ينطق بكلمة ، وايتسوكو تتحرّك دون كلام . وكان الصوت الوحيد المسموع هو صرير النطاق الحريري الذي كان يُفكّ ، وهو صوت شبيه بالصرخة الصغيرة الحادة لمخلوق حيّ .

كان مستحيلاً على ياكيشي أن يبقى صامتاً وقتاً أطول . كان يعي تأنيب ايتسوكو الصامت. ورجاها للإسراع من أجل العشاء ، واتجه نحو حجرته ، في الجانب الآخر من الرواق.

عقدت ايتسوكو حزامها المنزلي العادي ، وذهبت نحو المكتب . وكانت تمسك بإحدى يديها الحزام وراء ظهرها ، وراحت تقلب باليد الأخرى صفحات يومياتها . ولامست شفتيها ابتسامة صغيرة مريرة.

قالت في نفسها: «إن «الأب» لا يعرف أن هذه يوميّات مزيّفة . ولا أحد يعرف أنها يوميات مزيّفة ما من أحد يستطيع أن يتصوّر إلى أيّ حد يمكن أن يكذب المرء حول مشاعره».

فتحت اليوميات عند صفحة الأمس وراحت تقرأ:

٢١ أيلول (سبتمبر) يوم الأربعاء

«لم يحدث أي شيء طوال النهار ، كانت شدّة الحرارة لا تطاق. وكانت الحديقة ملأى بصرير الحشرات . وفي الصبيحة ، ذهب إلى مركز التوزيع في القرية لشراء جرايتنا من **الميزو**[1]» .

(١) الميزو Miso فطيرة من القمح محشوة بالفاصولياء المخمرة (هـ .م).

«لقد أصيب بذات الرئة ولد الأشخاص القيمين على مركز التوزيع ، لكنه أُنقذ بواسطة البنيسيللين . ويبدو أن حالته تتحسّن . **هذا لا يخصني بشيء** ، لكنني أحسّ بارتياح» .

«حين يعيش المرء في الريف ، يجب أن يكون ذا قلب بسيط . لقد جهدت لأكون كذلك ، وقد أنضجني ذلك . إنني لا أحس بالضجر . كلا . إطلاقاً . لقد أصبحت أفهم الآن الشعور الممتع بالسلام ، الذي يحس به حَرّاث زرّاع ، حين ينهي مهمّته في الحقول . أنا محاطة بعطف «الأب» الكريم . ولديّ انطباع بأنني استعدت عهد حداثتي.

«في هذا العالم ، يكفي أن يكون للمرء قلب بسيط ، وعقل لا عوج فيه ، ولا التواءات . ولا شيء آخر ، كما أعتقد ، ضروري . في هذا العالم ، الأشخاص الذين يعملون ويمارسون حياة نشيطة هم وحدهم ضروريّون . إن تعقّد المشاعر الذي يخضع له القلب في مستنقع المدن ، يدمّر الحياة.

لديّ تكنّبات خشنة على يدي. الأب يهنئني على ذلك . هاتان يدان بشريتان حقاً . لم أعد استشيط غضباً . ولم أعد أحسّ بأنني مكتبئة .

إن هذه الذكرى الرهيبة ، ذكرى موت زوجي ، لم تعد تعذّبني بشدّة . وقلبي ، الذي منحته الهدوء أشعّة الشمس الخريفية اللطيفة ، يصبح متسامحاً . وأنا مفعمة بالامتنان نحو كل ما أراه.

أنا أفكر في «س» ، إنها في وضع مثل وضعي . أصبحت رفيقة قلبي. لقد فقدت زوجها هي أيضاً وحين أفكر في نكبتها وشقائها، أتعزّى . إنها أرملة ذات قلب بسيط حقاً ، طيّب ونقيّ ، ومؤكّد أنها ستجد فرصة للتزوّج مجدداً . في السابق ، كنت أحبّ أن أتحادث

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

معهـا مطولاً ، ولكن نـظراً لأن طوكيـو بعيـدة جـداً عن هنـا ، فـإنهم سيرفضون بالتأكيد السماح لي بمحادثتها . ولو أنها كتبت لي مرة على الأقل ، فسوف يسعدني ذلك ، ولكن . .

«قالت في نفسها : الحرف الأوّل من الاسم (س) هو ذاته ، ولكن بما أنني جعلت منه امرأة، فلن يعرف الحقيقـة أحد ، «إن اسم (س) يتردّد مراراً كثيرة ، ولكن ليس هناك داع للقلق . ولا يوجد أي برهان ، على كل حال . وبالنسبة لي ، فهذه يوميات مزيّفة ، ولكن ما من كائن بشريّ لا يستطيع أن يكون شريفاً كفاية لكي يصبح مزيفاً كلياً» .

حاولت أن تحلّل ما كان في ذهنها حقاً حين دوّنت ، لأوّل مرة ، كل هذا النفـاق والخداع . ثم قـامت بترسيخهمـا في ذهنها . كـانت تفكر : «حتى ولو كتبتها ، فليس ثمة أيّ سبب للاعتقاد بأن هذا يعبـر عن مشاعري الحقيقية» .

إنها ، وهي تفكر على هذا النحو ، قامت بتصحيح هذا المقطع من يومياتها .

٢١ أيلول سبتمبر ـ يوم الأربعاء.

لقد انتهى نهار مرهق آخر . إن كيفيـة استطاعتي أن أصـل إلى نهاية يوم كهذا، هي بالنسبة لي سرّ . في الصبيحة ، ذهبت إلى مركز التوزيع لشراء حصتنا من **الميزو**. إن ابناً للأشخاص الذين يتولون إدارة مركز التوزيع قد أصيب بذات الرئة ، لكنه أنقذ بواسطة البنيسيللين . ويبدو أن حالته تتحسن . ويا للخسـارة ! فلو أن ولد هـذه المرأة التي تغتابني من وراء ظهري قد مات ، إذن لجنيت تعزية معيّنة.

حين يعيش المرء في الريف ، ينبغي أن يكون له قلب بسيط . لكن آل سوجيموتو ، بحماقتهم المزرية وادعائهم ، يجعلون الحياة في

الريف مرهقة أكثر فأكثر . إنني أنا أيضاً أحبّ قلباً سليماً . بـل إنني أذهب إلى حد الاعتقاد بأنه أجمل شيء في العالم هـو أن يكون لـك قلب بسيط في جسم بسيط . ولكنني حين أرى نـفسـي أمـام الهـوّة الواسعة جداً التي تفصل مثل هذا القلب عن قلبي ، أحار في ما يجب أن أفعـل. فهل أن من المستحيـل قلب وجه قـطعـة العملة وقفـاهـا؟ وسيكون الحلّ في إحداث ثقب في قطعة سليمة غيـر ممسوسـة . إنه الانتحار .

ويحدث لي أحياناً أن أكون قريبة جداً من الانتحار ، مـدفوعـة بقرار لوضع حياتي في اللعبة . لكن شريكي يفرّ حينئذ نحو مكان بعيد مـا . وعلى هذا النحـو أجد نفسي وحيـدة ، محاطـة بالسـأم . هـذه التكنّبات على يدي . . إنها مضحكة» .

ومع ذلك فإن ايتسوكو كان لديها مبدأ وهو أنه لا ينبغي أن نأخذ أي شيء بجدّية كبيرة . إن من يسير بدون حذاء سينتهي به الأمر إلى جـرح قدميـه . فلأجـل السير ، يجب احتـذاء نعل ، كمـا أن المـرء يحتاج ، لكي يعيش إلى هدف محدّد بدقّة .

وراحت ايتسوكو تقلب الصفحات لاهية ، محدّثة نفسها : «رغم كل شيء ، أنا سعيدة . أنا سعيدة . لا يستطيع أحد أن ينفي ذلـك . وقبل كل شيء ، لا يوجد برهان» .

أخـذت تقلب صفحـات اليـوميّـات للوصـول إلى الصفحـات البيض . إنها ستواصل كتابة هذه اليوميات ، وفي النهاية ، بعد عام ، سوف تنتهي هذه اليوميات.

كـان يُـلاحظ، في سكـان منـزل آل سـوجيمـوتـو ، بـالنسبـة للوجبات ، روتين غريب . وكان ثمة أربع مجموعات : كان كونسوكيه وزوجته يشغلان الـطبقة الثانية من المبنى ، وأزاكـو وأولادها الـطبقة

الأولى ، وياكيشي وايتسوكو قسماً آخر من الطبقة الأولى ، و «ميو» و «سابورو» يشغلان غرفتي الخدم. كانت ميو تطهو الأرز للجميع ، ولكن بالنسبة للوجبات الأخرى ، كانت كل جماعة تعدّ مأكلها . وعن قصد قرّر ياكيشي أن يخصص كلّ شهر لولديه وعائلتيهما مبلغاً صغيراً من المال كان عليهم أن يدفعوه بمثابة نفقات منزلية . وكان يرى أنه ليس عليه ، هو وحده ، أن يتقيّد بنظام معيشة متقشّف إلى هذا الحد . إن واقع دعوة ايتسوكو ، التي ما كان لديها مكان تذهب إليه بعد وفاة زوجها ، لكي تأتي إلى منزل آل سوجيموتو ، وإلى شقّة ياكيشي بالذات ، لتسكن فيها ـ لم يكن لهذه الدعوة دافع آخر سوى الرغبة في الانتفاع بخدماتها بصفتها طبّاخة . ولم يكن ذلك أكثر من دافع أنانيّ .

كان ياكيشي يحتفظ لأجله بأفضل الخضروات والفواكه . وهو وحده كان له الحق في قطف حبات الكستناء من شجرة معينة حيث كانت هي الأفضل طعماً ونكهة ، وكانت ايتسوكو وحدها تشاركه فيها.

حين اتخذ ياكيشي القرار بمنح ايتسوكو هذه الامتيازات، فربما كان مدفوعاً هنا بدافع معيّن. إن الحقّ في المشاركة في أفضل حبّات الكستناء ، وفي أفضل الأعناب ، وفي أفضل ثمار الخاكي ، وفي أفضل حبّات الفريز (الفراولة) وفي أفضل حبات الدراق ، كان يبدو لياكيشي عطاء لا يفضله أيّ تعويض.

إن الأفضليات التي كانت ايتسوكو تتمتّع بها، بعد وقت قصير من وصولها ، قد استثارت حسد العائلات الأخرى وضغينتها، كما خلقت افتراضات مسيئة ، ثم افتراءات ممكنة التصديق تماماً ، كان يبدو أن ياكيشي لا يجهلها ، وكانت تملي عليه سلوكه . ولكن كلما كانت الأحداث تؤكد شكوك أعضاء العائلة ، كان أصعب عليهم تصديق ما كانوا يرونه.

هل أن هذه المرأة التي توفي زوجها منذ أقل من عام ، تستطيع

أن تقبل بإرادتها علاقات حميمة مع والد زوجها؟ كانت ما نزال فتيّة جداً ، وبوسعها تماماً أن تتزوّج . فهل كان باستطاعتها أن تدفن هكذا بإرادتها نصف عمرها؟ وأية منفعة تستطيع أن ترجو بتسليمها نفسها لهذا الشيخ الذي كان قد تجاوز الستين من العمر؟ مؤكد أنه لم يكن لها أهل أقربون ، ولكن هل كانت تفعل ذلك «لكي تأكل» ، كما تعمل بعض النساء في أيامنا؟

كل هذه الافتراضات كانت تقيم حول ايتسوكو حاجزاً يثير الفضول . وفي داخل هذا الحرم ، كانت تجيء وتروح بسأم وكلال ، وببعض الاستسلام أيضاً ، مثل طائر متوحّد لا يحسن الطيران.

كان كانسوكيه وزوجته شياكو ، في شقتهما بالطبقة الثانية، يتناولان طعام العشاء . لقد تزوّجت شياكو كانسوكيه بدافع الإعجاب بوقاحته . ونظراً لأنه كانت لديها مخارج للتخلّص ، فقد كان بوسعها أن تلاحظ عجز زوجها الهائل دون أن تعاني أوهام الحياة الزوجية . وكانا كلاهما شغوفين بالأدب ، ومتعنّتين، وقد تزوّجا وهما على اقتناع بأنه لا يوجد في هذا العالم شيء أكثر بلاهة من الزواج . بيد أنهما كان بوسعهما أن يقرأا بصوت عال وهما جالسان جنباً إلى جنب على الشرفة ، قصائد بودلير النثرية.

ـ مسكين أيها الأب ، قال كانسوكيه ، فحتى في هذه السن يبدو أن المتاعب لا توفّرك . لقد مررت منذ قليل من أمام حجرة ايتسوكو ولاحظت أنها مضاءة ، رغم أن ايتسوكو قد خرجت ، وأنا متأكّد من هذا الأمر . لقد دخلت ، بلا صوت ، طبعاً ، وها هو «الأب» في حجرة كنّته ، غارقاً في قراءة يوميّات ايتسوكو ، وكان مستغرقاً جداً في القراءة بحيث أنه لم يحسّ بأنني كنت خلفه . وحين وجّهت إليه الكلام ، انتفض من المباغتة . ثم استعاد برودة أعصابه ، ونظر إلي بثبات وهو يزوي بين حاجبيه عابساً مع تعبير كان يخيفني دائماً حين

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كنت طفلاً . وقال لي حينئذ: «إذا قلت لايتسوكو إنني قرأت في يومياتها، فسوف أطردكما، زوجتك وأنت ، من هذا المنزل ، مفهوم؟

ـ أنا أتساءل ما الذي أمكنه أن يثير قلقه في صدد ايتسوكو إلى حد أن يقرأ في يومياتها، هكذا قال شياكو.

ـ لعله لاحظ أنها مضطربة في الآونة الأخيرة ، وإن كنت لا أعتقد أنه يدرك بأنها واقعة في حب خادمه سابورو . وعلى كل حال ، إنني أرى الأمور هكذا . لكنها امرأة عاقلة ، ومتبصرة ، ولا أعتقد أنها تكشف سرّ قلبها في دفتر يوميات.

ـ لا أستطيع أن أقر إلا بصعوبة ما تقوله بصدد سابورو ، لكنني أحترم احتراماً كبيراً قدرتك على الملاحظة ولن أسوق حججاً ضدك . وبصراحة ، فإن ايتسوكو هي التي لا أفهمها . فإذا كانت تستطيع أن تقول ما تريد قوله ، وأن تفعل ما تريد فعله ، فسيكون باستطاعتنا مساعدتها .

ـ هناك بعض الأمور التي لا تسير وفقاً لما خُطّط لها . لقد فقد «الأب» كل اعتزازه منذ مجيء ايتسوكو ، قال كانسوكيه .

ـ لقد زال اعتزازه منذ الإصلاح الزراعي.

ـ أعتقد أنك على حق . وبصفته ابناً لمؤاكر ، فإن اللحظة التي استطاع أن يقول في نفسه «أنا أملك أرضاً» كانت لحظة عظيمة . وكان يسير مزهواً مثل جندي بسيط رُفع إلى رتبة عريف . إن كل ما كان على الأشخاص الذين لم يكونوا يملكون أراضي أن يفعلوه هو أن يعملوا طوال ثلاثين عاماً في شركة ملاحة ، ثم أن يصبحوا رؤساء الشركة . كانت تلك هي صيغة ياكيشي للنجاح . وكان يجد لذة في تقرير أنه يجب العمل بمشقة وعزم والعيش في تقشّف وزهد.

وبعد فترة صمت ، تابع كانسوكيه كلامه قائلاً : ـ أثناء الحرب ،

كان «الأب» يظهر طاقة كبيرة . كان يتحدّث عن توجو[1] كصديق قديم له ، ماكر وذكيّ ، كسب ثروة في البورصة . ولم أكن أنا في ذلك الحين سوى موظف في البريد وكنت أصغي إلى حديثه (أي ياكيشي) في تواضع . ونظراً لأنه لم يكن كثير التغيّب عن العمل ، فإنه لم يفقد كثيراً من أراضيه بعد الحرب ، في الإصلاح الزراعي . ولكن حين سُمِح لرجل فظّ وجلف مثل أوكورا ، المؤاكر ، بأن يصبح ملّاكاً لقاء ثمن هزيل، فقد كان ذلك ضربة رهيبة أصابت ياكيشي . في تلك اللحظة بدأ يقول: «لو عرفت بأن الأمور ستبلغ هذا الحد، لما كنت عملت بكل مشقة طوال ستين عاماً!». كانت رؤية هذا القطيع من الناس يحصلون على أراض لم يزرعوها تنتزع منه علة وجوده. ومع أنك لا تستطيع تصديقه ، فإن فيه كثيراً من العاطفة وهو يبدو أنه يتمتع حقاً بفكرة أن يكون ضحية العهد . ولو أنه ، في اللحظة التي كان فيها الأكثر اكتئاباً ، اعتقل كمجرم حرب وأرسل إلى سوغامو[2]، لكان يمكن أن يعتبر أن شبابه قد تجدّد.

قالت شايكو : إن ايتسوكو محظوظة . فهي لا تعلم كم كان «الأب» مستبدّاً وطاغية . ومع ذلك ، فهي على التوالي سعيدة ومحزونة ، لكنني ـ ولنترك مسألة سابورو كما هي ـ لا أفهم أن امرأة تستطيع أن تصبح عشيقة والد زوجها قبل انقضاء مدّة الحداد على ذلك الزوج .

أجاب كانسوكيه : ـ يجب أن ندرك كونها امرأة بسيطة وضعيفة . إنها تشبه شجرة صفصاف لا تقاوم الريح أبداً . وهي تتشبّث تشبّثاً أعمى بمفهوم الإخلاص إلى حدّ أنه حين تغيّر ذلك الذي تدين له

(١) توجو Tojo رئيس وزراء اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية (هـ .م).

(٢) سوغامو Sugamo ، سجن كان يسجن فيه عدد كبير من مجرمي الحرب. (هـ .م).

بالإخلاص ، ظلّت عاجزة عن تميّزه . إنه ، وهي المدفوعة بريح مغبرّة ، لا تلاحظ أن الرجل الذي كانت متعلّقة به لأنه كان زوجها ، قد أصبح رجلاً مختلفاً.

كان كانسوكيه متشككاً يتبجّح بأنه يقرأ في الكائن البشري كما لو كان هذا الرجل شفّافاً.

هبط الليل ، وتابعت العائلات الثلاث حيواتها المنفصلة.

كانت أزاكو مشغولة مع الأولاد . وقد وضعتهم في السرير في ساعة مبكرة ورقدت قربهم.

امتنع كانسوكيه وزوجته عن النزول ، وكان بوسعهما أن يريا عبر النافذة المنحدر الخفيف للرابية ، التي كانت تتلألأ عليها أضواء بعيدة لمجموعات المباني البلدية . وكان ـ يفصل ـ بين تلك المباني بحر معتم من حقول الأرز . كانت تبدو الأضواء على أطرافها وكأنها أضواء مدينة متناثرة المنازل على طول ساحل جزيرة صغيرة. وكان يبدو أن نشاطاً عظيماً يتواصل فيها بلا نهاية . وكان يمكن التصور بأنه يجري فيها احتفال ديني هادىء يحضره جمهور ساكن ومحتدم الحرارة . وكان يمكن أن نتصور أيضاً أن جريمة قتل تُرتكب ، وسط هذا الصمت العميق ، تحت هذه الأضواء ببطء طقوسيّ ، ولو أن ايتسوكو نظرت إلى هذه المباني المضاءة على هذا النحو ، لما مالت إلى معاملتها بكل هذا الازدراء .

بين حين وآخر ، كانت صفارة قطار هانكيو تدوّي ، طارحة على حقول الأرز المعتمة صداها الشبيه بصيحات بحّاء لسرب من الطيور الليلية تمرّ بسرعة ، خفّاقة الأجنحة . كانت الصفارة تمزق الهواء وتجعله يهتزّ . كانت تلك هي الفترة من العام حيث أنه ، إذا نظرنا فجأة إلى السماء ، أمكننا أن نلمح وميض برق أزرق ـ أخضر يجتاز بصمت السماء الليلية.

أثناء الأمسية ، بعد العشاء ، لم يكن أحد يظهر في الغرفتين حيث يسكن ياكيشي وإيتسوكو . وقد مضى وقت كان كانسوكيه يأتي فيه لقتل الوقت بالثرثرة ، وحيث تظهر أزاكو مع الأولاد ، وحيث كان الجميع يلتقون لأجل متعة الاجتماع معاً . لكن ياكيشي ، أظهر شيئاً فشيئاً عدم رغبته في القيام بدور رب المنزل ، وبدأ الجميع يحتفظون بالمسافات بينهم . ولم يكن ياكيشي يتحمّل أن يشارك أياً كان في صحبة ايتسوكو.

ولما لم يكن لديهما شيء خاص يفعلانه بعد العشاء ، فقد كانا يلعبان أحياناً لعبة الماه ـجونغ[1] ، وهي لعبة علّمها ياكيشي لـ «إيتسوكو» وكانت هذه هي الفرصة الوحيدة التي أتيحت في أي وقت من الأوقات لياكيشي من أجل إظهار موهبته كأستاذ أمام المرأة الشابة . وفي ذلك المساء ، كانا جالسين مجدداً أمام رقعة «الضامة» .

كانت ايتسوكو ، المستغرقة في متعة رفع كل «فيشة» بين أصابعها والإحساس بثقلها ، وباحثة باستمرار بين «الفيشات» الباقية في العلبة ، لا تحوّل عينيها أبداً عن رقعة «الضامة»، التي كان نظرها متعلّقاً بها وكأنها كانت ممسوسة . وكان يبدو أن موقفها يشهد باستغراق هائل، أو خارق ، لكنها في الواقع لم تكن مفتونة إلّا بترتيب الخطوط السوداء المتقاطعة ، الخالي من المعنى . وكان ياكيشي مذهولاً بتركيز ايتسوكو . فهل أن هذا التركيز عائد إلى اللعبة أم إلى شيء آخر؟ كان يراقب هذه المرأة الصبيّة الوحيدة ، المفعمة باليسر ، والضائعة في بهجة تجريد نَزق ، والتي كانت شفتاها تفترّان عن أسنان ناصعة البياض.

أحياناً ، كانت «الفيشات» التي تمسكها بيدها تضرب رقعة «الضامة» بصوت صاخب ، كما لو أنها تقوم بدور معيّن . وكان ياكيشي

(١) الماه ـ جونغ Mah-jong لعبة صينية ويابانية قريبة من الدومينو (هـ . م).

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

يراقب حينئذ وجه كنّته ، ويلقي فيشاته بلطف ، وكأنما يريد امتلاك ايتسوكو مجدداً .

ـ يا لقوّتك كم هي كبيرة! إنها تذكرني بالمبارزة التي جرت بين موزاشي ميامونو وكوجيرو سازاكي في جزيرة غانريو.

وراء ايتسوكو سُمع صوت خطوات في الرواق . لم تكن لها خفّة خطوة امرأة ، ولا الثقل الكثيب لخطى رجل ناضج السنّ . كانت تلك خطوة مَرِنة ، مطّاطة ، لجسم فتيّ وحار ، محتدم الحرارة ، كان في الرواق المظلم يفرقع على أرضية الحجرة ، الخشبية ، بصوت أشبه بأنين.

تجمّدت يد ايتسوكو ، التي كانت على أهبة وضع «فيشة» على رقعة «الضامة». لكن كان من الجوهريّ أن تستطيع أصابعها ، التي كانت ترتجف بالرغم منها ، أن تمسك «الفيشة» بثبات . وتظاهرت بأنها تفكر في ما ستجازف به إثر ذلك . وعلى كل حال ، فهذا لن يطرح أية مشكلة ، وكان من المهمّ ألّا تثير شكوك عمها عن طريق تردّد يطول أكثر مما ينبغي .

فُتح الباب. وظل سابورو راكعاً في الخارج ، وأمرّ رأسه في الفتحة . وسمعته ايتسوكو يقول: «ليلة سعيدة ، يا سيدي، ليلة سعيدة، يا سيدتي».

ـ ليلة سعيدة، دمدم ياكيشي، وهو ينحني على رقعة «الضامة» ليضع عليها «فيشة» .

نظرت ايتسوكو بثبات إلى هذه الأصابع المتصلّبة ، القبيحة والمعقّدة . ولم تجب سابورو بشيء . بل ولم تدر رأسها نحو الباب، الذي أُقفل مجدداً . وابتعدت الخطى في الناحية المقابلة، نحو الحجرة الصغيرة المتجهة نحو الغرب، تجاه حجرة ميو.

- ٢ -

يجعل نباح الكلاب ليل الريف شيئاً لا يُطاق .

رفع ماغي، كلب الصيد المسنّ ، المربوط في عنبر وراء المنزل ، أذنيه حين اجتاز رهط من الكلاب الوحشيّة غابة صغيرة ملاصقة للبستان. ثم أطلق ماغي نباحاً طويلاً وأبله ، وكأنه يشكو من حبسه ووحدته . وتوقّفت الكلاب الوحشية في دغل الخيزران تجيبه. فاستيقظت ايتسوكو ذات النوم الخفيف.

لم تكن قد رقدت إلّا منذ ساعة . كان ما يزال عليها أن تنام زمناً طويلاً قبل اليوم التالي. وقد عذّبت عقلها للعثور على أمل يبرّر هذا الغد. إن أيّما أمل ، مهما كان هزيلاً ، سيكون كافياً . ومن يستطيع ، بدون ذلك ، أن يعيش حتى الصباح؟ إن بعض أعمال الرتق والرّفء التي ينبغي القيام بها ، وتذاكر سفر لرحلة الغد ، وبقيّة زجاجة «ساكيه»(١) ـ كان ينبغي إهداء هذا كلّه إلى اليوم التالي.

وهي نفسها، ماذا لديها لتهديه؟ آه، بلى ، هناك زوجا الجوارب

(١) ساكيه أو ساكي saké شراب كحولي ياباني يصنع من الأرز المخمر (عن «المنهل»).

القصيرة الأنيقة ، أحدهما أزرق والآخر كستنائي اللون . سوف تعطيهما لسابورو ، وهذا كلّ ما يعنيه الغد لها . لم تكن لديها روح دينيّة ، ومع ذلك ، كانت ايتسوكو تجد لفراغ آمالها معنى نقيّاً جداً . كانت تتعلّق بهاتين الصلتين الهشّتين ، إحداهما زرقاء ، والأخرى كستنائية . إنهما تصلانها بهذه الكرة المنفوخة ، المعتمة والغامضة ، المحفوفة بالأسرار ، هذه الكرة التي كانت تشكّل اليوم التالي ، الغد ، وهي لم تكن مهتمّة لمعرفة إلى أين ستقودها . كان عدم التفكير هو مبدأ سعادة إيتسوكو . كان هو علّة وجودها.

وكانت ما تزال تحسّ على كل جسدها أصابع ياكيشي المتحسّسة ، الخشنة وذات العقد . لم تكن ساعة أو ساعتان من الرقاد تكفي لتحريرها من هذا الاحساس. إن امرأة داعبها هيكل عظمي لا تستطيع أبداً أن تنسى هذه المداعبة . كانت هي بشرة جديدة تضاف إلى بشرتها : بشرة رطبة ، دبقة ، شفّافة ، أكثر رقة من بشرة فراشة على وشك أن تخرج من ظلام نغفتها[1] .

كان لديها الانطباع بأنها كُسيت بمادّة ملوّنة غير مرئيّة ، هي ، لو أن ايتسوكو قامت بأية حركة ، ستتطاير شظايا مضيئة في الظلمات.

نظرت حولها بعينين اعتادتا على الظلام . شيء غريب، لم يكن ياكيشي يشخر . كانت رقبته تلمع لمعاناً خفيفاً ، مثل رقبة فروج نُتِف ريشه . كانت تكتكة ساعة الحائط وصرير الجداجد تحت الأرضية الخشبية وحدهما يحفظان هذه الليلة في حدود دنيويّة، وإلّا لما كانت من هذا العالم ، هذه الليلة التي كانت تطوّق ايتسوكو وتجمّدها من الرعب.

(١) النغفة Chrysalide كل عذراء من الفراش وهنا المقصود فيلجة الفراشة (هـ .م).

رفعت ايتسوكو رأسها بصعوبة . وألقى عرق اللؤلؤ المرصّع في باب الخزانة ، وهي قطعة أثاث عائلية ، ألقاً أزرق.

أغمضت عينيها مجدداً . ذكرى الحدث عاد إلى ذهنها . لقد حدث قبل ستة شهور ، حين بدأت، بعد وقت قليل من وصولها ، تتنزّه وحدها حيث سرعان ما وصفها القرويون بأنها غريبة الأطوار . تجاهلتهم ايتسوكو وواصلت نزهاتها . وحينئذ لاحظوا أنها تسير وكأنها حامل واستنتجوا من ذلك أن لها ماضياً مشبوهاً.

من إحدى زوايا ملك آل سوجيموتو ، كان يمكن أن يرى المرء، على الضفة الأخرى للساقية ، باحة حرم «هاتوري» المقدّس . كانوا قلائل جداً الأشخاص الذين يأتون لزيارة القبور . وفي فترة ما بعد الظهر، على منحدرات المقبرة الواسعة ، كانت شواهد القبور التي لا تحصى ، تلقي ظلها على الأرض . ومن هناك ، كانت المقبرة ، الوعرة والمحاطة برواب مشجرة ، تقدّم مشهداً واضحاً وبهيجاً . وكانت ترى أحياناً الشمس وهي تنعكس على قطع صغيرة من صوّان أبيض لبعض القبور.

كانت ايتسوكو تحب على الأخصّ رقعة السماء الواسعة فوق المقبرة وهدوء الممرّ الكبير الذي يجتازها . هذا الصفاء الأبيض المنعش ، الممزوج برائحة الشجيرات والنبتات الجديدة ، كان يعطي ايتسوكو ، أكثر من أية لحظة أخرى ، الانطباع بأن روحها كانت مكشوفة.

كان ذلك هو وقت قطف الأعشاب الطبّية . وكانت ايتسوكو تسير بمحاذاة الساقية ، مالئة كمّها بالنجميّات[1] وحشائش الطوخ . وفي

(١) النجميات asters جنس زهر من المركبّات الأسطريّة (هـ .م).

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

موضع معين ، كان ماء الساقية قد فاض على الضفة ، وترك عليها بعض الحُرْف[٢] . وكان الجدول يسيل تحت جسر ، ويتجاوز المجاز المعبّد ، الذي يمتد من أوزاكا حتى باب المقبرة .

دارت ايتسوكو حول المرجة الخضراء ، عند المدخل ، واتجهت نحو مجازها المفضل . وكانت تجد راحة ممتعة ومدهشة في أن هذه الاستراحة قد منحت لها ، تماماً مثلما يمنح محكوم بالإعدام وقفَ التنفيذ .

تجاوزت ايتسوكو بضعة أطفال يلعبون لعبة البسبول . وبعد فترة من الزمن ، وصلت إلى موضع معشب لم يكن فيه بعد نصب جنائزية . كان ذلك الموضع يقوم في داخل الجدار المحاذي للجدول . كانت على وشك الجلوس حين لاحظت ولداً مراهقاً راقداً على ظهره ، ومستغرقاً في قراءة كتاب يمسك به فوق وجهه . كان هو سابورو . وأحسّ بظل ايتسوكو المنحنية نحوه ، فنهض جالساً على مؤخرته .

قال : ـ سيدتي .

في اللحظة نفسها ، انزلقت أعشاب النجميات وحشائش الطوخ من كمّ ايتسوكو على وجه سابورو ، ومنحت تغيّرات التعبير على محيا الشابّ ، ايتسوكو ، إحساساً ببهجة واضحة وندية ، مثل تلك البهجة التي يمكن أن تعطيها معادلة حُلّت بسهولة . وحين سقطت الأزهار على وجهه ، حَسب أنها مناكدة ، وبالغ في جهوده لاجتناب تساقط الأزهار عليه . ثم حين رأى التعبير على وجه ايتسوكو ، أدرك أن في الأمر

(٢) الحرف Cresson : بقلة مائية تنبت في الجداول والمناقع . ورقها يؤكل (عن «المنهل») .

حادثة عرضية . فاستعاد جديته بسرعة ، وبهيئة الاعتذار ، نهض ثم ركع لمساعدة ايتسوكو في التقاط الأزهار .

وتذكّرت ايتسوكو أنها سألته :

ـ ماذا كنت تفعل؟

ـ كنت أقرأ كتاباً ، يا سيدتي .

وأطلعها ، متضرّج الوجه خجلاً ، على كتاب مغامرات .

كانت طريقته في التلفُّظ بكلمة «سيدتي» عسكرية تماماً ، لكن هذا الكلام البالغ عمره ثمانية عشر عاماً ، لا يمكنه أن يكون جندياً . لقد ولد في هيروشيما ، وقد اعتاد على لهجة الموضع ، فكان يجهد لاتخاذ النبرة العادية .

اعترف سابورو بأنه ذهب لشراء جراية الخبز ، وأنه كان يرتاح على طريق العودة حين اكتشفته ايتسوكو . كان يبدو أنه يريد الفوز برضاها أكثر مما يريد أن يدافع عن نفسه .

وعدته ايتسوكو : ـ لن أقول هذا لأحد .

تذكّرت أنها سألته عن الأضرار التي أنزلتها القنبلة الذرية بهيروشيما . وقال إن أسرته المباشرة ، كانت تسكن خارج المدينة ، لكن جميع أفراد عائلة من أقربائهم هلكت في القصف . وبالنسبة لايتسوكو وسابورو لم يعد هناك ما يقال . لم تكن لدى سابورو جسارة لطرح أسئلة .

استمرت ايتسوكو في استعادة ذكرياتها .

«حين رأيت سابورو لأوّل مرة ، اعتقدت أنه في العشرين من عمره على الأقل . ولا أستطيع أن أتذكّر كم كان يبدو أن له من العمر

حين رأيته على هذا النحو ممدداً على العشب في «حرم هاتوري المقدّس». كان فتياً. كان قميصه القطني، المرقع في كل موضع منه، مشرعاً على سعته. كان كمّاه مشمرين، ربما لإخفاء ردنيه المنسّلين. وكان ساعداه رائعين، ساعدان لا يكون لرجال المدن مثلهما إلاّ في وقت متأخّر جداً. كانا مبرنزين، وكان يبدو أن الزغب المذهب الذي يكسوهما يعطيهما هيئة الخجل من نضجهما».

لم تستطع ايتسوكو إلا أن تنظر إليه في تأنيب. ولم يكن هذا التعبير في وجهها يلائمها، لكنها لم تكن تستطيع أن تفعل شيئاً آخر. وقالت في نفسها: طبعاً، إنه لم يكن يعرف شيئاً من الأمر. ولا يعي سوى حضور امرأة أضيف إلى حضور ربّ عمل مُضجِر جداً.

وصوته! كانت ما تزال تتذكر أيضاً. هذا الصوت المُخِنّ قليلاً، والأصمّ، غير أنه طفولي! كلماته البطيئة التي كانت تبدو وكأنها تُنتزع واحدة فواحدة من لسانه القليل الإيصال! هذه الكلمات البسيطة التي كانت لها نكهة الثمار البرّية!

ومع ذلك، فحين رأته ايتسوكو في صباح اليوم التالي، استطاعت أن تنظر إليه بدون أدنى اضطراب، ولا أيّ تأنيب، ابتسامة واحدة، بالضبط.

هذا صحيح تماماً. ما من شيء يحدث.

وفي يوم من الأيام، بعد حوالي شهر من وصولها، طلب ياكيشي من ايتسوكو أن ترتق البذلة العتيقة التي كان يلبسها للعمل في الحقول. وطلب إليها أن تستعجل، وهي لم تنه مهمّتها إلا في وقت متأخر من الأمسية. وحوالي الساعة الواحدة صباحاً، دخل ياكيشي إلى غرفة ايتسوكو، بعد أن ظنّته نائماً. وامتدح همتها، ودس ساعديه في السترة التي أُصلحت منذ قليل، وخلال بعض الوقت، دخّن غليونه في صمت.

ـ هل تنامين جيداً، الآن؟

ـ أجل. وذلك بخلاف طوكيو. الجو هادىء جداً هنا.

صارحها قائلاً: ـ إنك لا تقولين الحقيقة.

قالت ايتسوكو: ـ الحقيقة أنني لا أنام جيداً إطلاقاً. ربما لأنني أجد الهدوء مفرطاً، هنا.

أجابها:

ـ هذا يدعو تماماً للأسف. ما كان علي أن أحضرك إلى هنا.

كان في صوته نبرة سخرية اعتادها مدير الشركة سابقاً.

حين قبلت ايتسوكو دعوة ياكيشي، كانت قد توقّعت ليالي كهذه الليلة. وهي، في الواقع، كانت تأملها. فقبل ذلك ببضعة شهور، تمنّت أن تموت مع زوجها، كموت أرملة هندية. إن الموت على أساس التضحية، الذي كانت تتصوّره، كان شيئاً خفياً، كان انتحاراً يرتكب لا بسبب غياب زوجها، بل بدافع الغيرة من هذا الموت. إن ما كانت ترغب فيه لم يكن موتاً اعتيادياً، عادياً، بل هو موت بطيء، على مهلة طويلة من الزمن. ترى، ألا تخفي هذه الغيرة شيئاً ما، أتاح لها أن لا تحسّ بالغيرة بعد ذلك أبداً؟ ووراء هذه الرغبة المنحرفة، الدنيئة مثل الرغبة في لمس جيفة، ألا يوجد طموح حارّ إلى امتلاك حصريّ، وشراهة بلا هدف؟

موت زوجها... كان ذلك حوالي نهاية الخريف. كانت ما تزال ترى بوضوح عربة دفن الموتى تتوقّف أمام الباب، وراء مستشفى الأمراض السارية والمعدية. وكان حمّالون قد رفعوا النعش على أكتافهم. وكانت ثمة رائحة رطبة لبخور وعفونة في الحجرة الجنائزية المزيّنة بأزهار لوتس اصطناعية كئيبة مكسوّة بطبقة كثيفة من الغبار

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

الرماديّ . وكان ثمة حصير لأجل أولئك الذين يقضون الليل ساهرين على موتاهم ، كما كان هناك فراش ، لتمديد الجثّة عليه ، وهو من جلد متقشّر . من حجرة الموتى هذه ، وهي أشبه بغرفة انتظار ، مع مذبحها النقّال ، حيث كانت تتعاقب اللافتات التي تحمل أسماء الموتى ، وتاريخ الوفاة ، نقل الحمّالون النعش إلى المدرج الإسمنتي . وكان أحد الحمّالين يلبس بسطاراً عسكرياً كانت مساميره تُحدث على الإسمنت ضجة شبيهة بصرير الأسنان . وفتح الباب . . .

لم يسبق لإيتسوكو أن رأت مثل هذا التدفّق لأشعة الشمس ، ولا مثل هذا الألق المحيط بكل شيء . وفي بداية تشرين الثاني ، كانت هذه الحزمة المتفجّرة تغمر القاعة بكاملها .

وراء المستشفى ، كان الباب ينفتح على مدى مسطّح ، اجتاحته كلياً عمليات القصف . وفي البعيد ، كانت قلعة خط السكة الحديدية المركزية مغطاة بأعشاب يابسة . كان نصف المدينة يتشكّل من دور جديدة أو قيد البناء ؛ والنصف الآخر ، وهو ما زال خرائب ، كان متروكاً للأعشاب الضارّة ، والنفايات ، وللأشياء الخردة . كانت شمس تشرين الثاني تضيء كل هذه الأشياء ، وتضفي البريق على مقاود الدراجات المنطلقة في طول الجادة الواسعة التي تجتاز الحيّ . وحتى في أكوام نفايات الخرائب ، كانت تلمع كسرات القوارير ومثل شلال ، سقطت الشمس على النعش ، ثم على ايتسوكو .

أدار سائق شاحنة الموتى المحرّك . . وجلست ايتسوكو وراء النعش ، وأسدلت الستائر .

حتى وصولها إلى محرقة الجثث ، كانت أفكارها بعيدة عن الغيرة وعن الموت ، لم تكن تفكر إلاّ بالضوء الذي بهرها . وكانت يداها تتلاعبان بباقة من أزهار خريفية ، موضوعة على ركبتيها . وكانت

الباقة تضم أزهار أقحوان ، وجُريسات ذات أزهار كبيرة ، وزينات[1] ذابلة ، قُطفت عشية أمس . كان مقدّم فستانها مرشوشاً بلقاح أصفر .

بماذا كانت تحسّ في هذه اللحظة الغارقة في الضوء؟ هل كانت تفكر في تحرّرها من الغيرة ، وفي العديد من الليالي بلا رقاد ، وفي الحمّى الشديدة التي انتابت زوجها ، أو في مستشفى الأمراض السارية والمعدية ، وفي تلك الهذيانات الليلية المرعبة ، وفي هذه الروائح الفظيعة ، وفي الموت؟

هل كانت ايتسوكو تغار من كون هذا الجوّ المشمس هو شيء من هذا العالم؟ وهل أن الأمر هو هكذا لأن الغيرة كانت هي الانفعال الوحيد الذي هي قادرة عليه منذ بعض الحين؟

إن إحساساً بالتحرر لا بد وأن يصحبه شعور من النفي ، باعث للحياة ، للحيوية ، يكون فيه التحرّر ذاته منفياً . فمنذ أن يفرّ أسد أسير من قفصه ، يملك عالماً أوسع بكثير مما يملكه أسد آخر لم يعرف سوى الأدغال . حين يكون الأسد الأوّل مأسوراً ، لا يكون له سوى عالمين : عالم القفص والعالم الذي خارج القفص . أما الآن ، فهو حرّ . إنه يزأر . ويهاجم الناس . ويفترسهم . بيد أنه لم يكتف بعد ، ذلك لأنه لا وجود لعالم ثالث لا يكون عالم القفص ولا العالم الخارجي . لكن ايتسوكو ، في أعماقها ، لم تكن مهتمة بهذه الأمور . لم تكن روحها تعرف سوى الإيجاب ، سوى التأكيد .

لم تكن تستطيع أن تمنع نفسها من الإحساس بأن الشمس التي غمرتها حين اجتازت الباب ، وراء المستشفى ، كانت تبديداً مثيراً ترتكبه السماء بإغراقها الأرض بالضوء بلا سبب . وبعد التفكير ، كانت تحس بأنها أكثر ارتياحاً بكثير في نصف ـ الضوء الموجود في

(١) الزينات جمع زينة وهي جنس زهر من الفصيلة المركبة . (عن «المنهل») .

الشاحنة . وكانت ، عند كل هزّة تحدث في الشاحنة ، تسمع صوتاً صغيراً في التابوت . ولعل هذا الصوت كان يصدر عن غليون زوجها ، الذي وضع قربه لأنه كان شديد التعلّق به ، وكان هذا الغليون يصدم الجدار الخشبي . كان يجب تغليفه بشيء ما . ووضعت ايتسوكو يدها على قطعة الخام البيضاء الجنائزية ، في الموضع الذي كان يصدر الصوت عنه ، وحبست أنفاسها. لقد كفّت الضجة.

أزاحت ذيل الستارة ، ورأت شاحنة أخرى تسبق شاحنتها ، تبطىء سيرها وتدخل باحة كئيبة محاطة بمقاعد خشبية ، وبمبنى هائل الضخامة ، مجهّز بغرفة انتظار . كانت هذه هي محرقة الجثث.

تذكرت ايتسوكو فيما بعد أنها فكرت قائلة في نفسها: «لم أجيء إلى هنا لإحراق زوجي وترميده ، بل جئت لأحرق غيرتي وأرمّدها».

ولكن ، حين ستتكلّس بقايا زوجها ، وتترمّد، فهل أن غيرتها ستحترق هي أيضاً؟ كانت غيرتها ، بمعنى ما ، جرثومة نقلها إليها زوجها . هذه الجرثومة هاجمت لحمها ، وأعصابها ، وعظامها . فإذا كانت تريد إحراق غيرتها ، وترميدها ، فقد كان عليها أن تتبع نعش زوجها حتى أعمق أعماق هذا الأتون ، هذه المحرقة ، ولم يكن ثمة مخرج آخر.

طول الأيام الثلاثة التي سبقت مرض زوجها ، لم يعد هذا إلى المنزل. كان قد ذهب للعمل . وهو لم يكن رجلاً يمكن أن تستأثر به مغامرة حبّ بحيث يتغيّب عن المكتب يوماً بكامله . إنه فقط لم يكن يستطيع العودة إلى المنزل ، حيث كانت ايتسوكو تنتظره . وكانت تذهب خمس مرات يومياً إلى الهاتف العمومي المجاور ، لكنها كانت تتردّد في الاتصال بزوجها . ومع ذلك ، فهي ، حين كانت تتصل به ، كان يجيبها دائماً ولا يكلمها أبداً بفجاجة . لكن صوته المداعب ،

واعتذاراته ، واستعماله المتعمّد للهجة «أوزاكا» ، هذه الأمور كلها كانت تذكّر ايتسوكو بكيفية سحقه عقب سيجارته في المنفضة ، وتشدّد عذابها . كانت تفضل الشتائم . ومع أنه كان يمكن توقّع رؤية هذا الرجل البدين يتلفّظ بالشتائم بسهولة ويسر ، فإن ريوسيكه كان يردّد بصوت عذب تلك الوعود ذاتها التي قرّر منذ زمن طويل أن لا يبرّ بها . كان عليها أن تتخلى عن النضال. وكان أفضل لها بكثير أن لا تتّصل به هاتفياً.

«. . . من الصعب عليّ أن أتحدّث عن المسألة من هنا ، لكنني التقيت مساء أمس برفيق قديم لـ «جنزا» . وقد دعاني بادىء بدء لزيارته في منزله وممارسة لعبة «الماه ـ جونغ» . إنه موظف كبير في وزارة الصناعة والتجارة، وما كان بوسعي أن أكون قليلة التهذيب معه . وكيف؟ أجل، هذا المساء، أعود إلى المنزل . وذلك منذ انتهائي من عملي . . . ولكن ما زال أمامي أشياء هائلة يجب أن أفعلها . . ما إذا كان عليك إعداد العشاء؟ افعلي كما تريدين ، فالأمر عندي سيّان . فلو كنت قد تعشّيت قبلاً ، فسوف أتعشّى مرة ثانية لدى عودتي . علي أن أقطع المخابرة . إن السيد كاواجي ، الموجود الآن قربي ، بدأ يحس بالغيرة . . . أجل، فهمتُ . فهمت . اتفقنا . إلى اللقاء بعد قليل». ومهما كان ريوسوكه مغروراً ، فإنه كان يصطنع دائماً أمام زملائه سروراً واكتفاء بورجوازيين».

كانت ايتسوكو تنتظر . وهي قد ظلت تنتظر . لكنه لم يعد إلى المنزل . فهل كان هذا بسبب الأمسيات النادرة التي كان يقضيها في المنزل ، حيث لم تكن ايتسوكو تخاصمه أبداً ، ولا كانت تقاضيه الحساب؟ كانت تكتفي بالنظر إلى زوجها بعينين مفعمتين حزناً . هذا التعبير على الوجه ، الصامت والحزين ، الذي كان يذكّره بعيني كلبة ، كان يثير غضب ريوسوكيه . ما كانت تنتظره هذه المرأة؟ . . .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كان ريوسوكيه يتخيّل هاتين اليدين الممدودتين مثل يدي متسوّلة ، ويتجنّب نظرة هاتين العينين الشرهتين . وبالنسبة له ، كان هذا يكشف عن خوف الهيكل العظمي الفظيع وحزنه المقيم ، هذا الهيكل الذي أصبحته علاقاتهما الزوجية ، وكان هذا يسلبه أعضاءه الحيوية . كان يدير لها ظهره ، وهو ظهر جسيم وعديم التأثّر ، وكان ريوسوكيه يتظاهر بالنوم . وفي ليلة صيفية ، حين كان مُغفياً ، أحسّ بشفتي زوجته على جسده ، فضربها . «ألا تخجلين؟» هكذا قال بصوت مغبٍ وبدون انفعال، وكأنه سحق بعوضة.

منذ ذلك الحين ، كان يتلذّذ بإثارة غيرة زوجته . وكانت أتيسوكو تلاحظ أنه كان يشتري ربطات عنق جديدة . وذات صباح دعاها وكان يقف أمام المرآة وطلب إليها أن تعقد ربطة عنقه . كانت أصابع ايتسوكو ترتعش من الفرح والخوف؛ وكان يبدو أنها لن تتمكن من أن تفعل ذلك . وأخيراً تمكّنت وعقدت ربطة العنق . وابتعد ريوسوكيه عنها بفظاظة وسأل:

ـ كيف تجدينها؟ أليست ذات رسم جميل؟

ـ أوه ، إنني لم ألاحظها . إنها جديدة ، أليس كذلك؟ هل اشتريتها؟

ـ هيا، هيا، لقد لاحظتها أنت. تماماً.

ـ إنها تناسبك كثيراً.

ـ أجل، بالتأكيد!

من درج مكتب ريوسوكيه ، كان يبرز منديل امرأة ، وكأنه وُضع هنا عن قصد . وكانت تفوح منه رائحة عطر رخيص . وكانت إثر ذلك أشياء أكثر سوءاً ، أشياء ملأت المنزل برائحة حرّيفة .

وأحرقت ايتسوكو ، واحدة فواحدة ، الصور الفوتوغرافية لامرأة ، هذه الصور التي رتّبها ريوسوكيه على مكتبه . كان هذا هو تماماً ما كان يأمله زوجها . «أين هي صوري ؟» هكذا سألها لدى عودته إلى المنزل . وقفت ايتسوكو أمامه ، وفي إحدى يديها أقراص الزرنيخ ، وقدح ماء في يدها الأخرى . فأطار الأقراص من يدها ، وسقطت ايتسوكو على مرآة متحركة ، وشقّت جبينها.

ولكن في تلك الليلة ، كم كانت حامية وعارمة مداعبات زوجها! إنها عاصفة من النزوات في ليلة واحدة! رسم كاريكاتوري للسعادة!

وفي الأمسية التي قررت ايتسوكو فيها مجدداً الانتحار بالسمّ ، عاد زوجها إلى المنزل . وبعد ذلك بيومين ، أصيب بالمرض . وبعد اسبوعين، مات.

ـ رأسي، رأسي! لا أستطيع أن أتحمّله. هكذا قال ريوسوكيه في أنين وهو على عتبة الباب، دون أن يدخل.

كانت ايتسوكو قد قرّرت أن تتناول السمّ حين سيعود زوجها، وها أن خطتها قد أحبطت. وكان يبدو أن زوجها قد عاد لأجل تعذيبها. في ذلك المساء، لم تكن تحس بالبهجة التي كانت تسبّبها لها عادة عودة زوجها، وهي بهجة كانت تغيظها ضد نفسها. وقد وضعت يدها بهدوء على مصراع الباب ، وخفضت نظرتها إلى زوجها ، الذي كان جالساً بلا حراك على الدرجة ، وأحسّت بحركة اعتزاز ، هو اعتزاز بنجاح الرهان الذي لم تفلح فيه ، والذي كان الموت هدفاً له . لم تكن تدرك أن فكرة الموت قد خرجت بسهولة من ذهنها .

سألت: ـ هل شربت كحولاً؟

هزّ ريوسوكيه رأسه ، وألقى نظرة عليها. لم يكن يشكّ في أن

لعينيها هذا التعبير ذاته ، تعبير الكلب الذي كان يبغضه والذي كان دائماً هو تعبير زوجته . إنه نظرة ثقيلة ، محمومة ، ملحّة ، مثل نظرة حيوان يجهل الداء الذي حلّ فيه . وكانت هي النظرة المتوسّلة التي كان بوسع الحيوان أن يوجهها نحو سيده ، وربما ، لأوّل مرة ، كان ريوسوكيه يشتبه في أن شيئاً لا تفسير له يحدث في ذاته . كان مريضاً ، لكن المرض ليس هو المرض فقط.

كانت الأيام الستة عشر التي تلت، أسعد الأيام في حياة ايتسوكو. وكم كانت تتشابه فترتا البهجة القصيرتان هاتان: شهر عسلها ومرض زوجها! كانت راحلة الآن معه نحو بلاد الموت. وكان ثمة هنا ، تماماً كما في رحلة الزفاف والعرس ، الأنفاق من القلب والجسد ، والرغبة نفسها التي لا ترتوي ، والألم ذاته . كان زوجها ممدداً ، مكشوف الصدر ، تعذّبه الحمّى ، والكوابيس ، ويحركه الموت ببراعة ، مثل العروسة الدمية ، وهو يئنّ مثل عروس في أولى لياليها . وفي الأيام الأخيرة ، وقد أصيب دماغه ، كان ينهض بغتة ، وكأنه يمارس التربية البدنية ، ويمد لسانه الجاف ، ويبرز أسنانه المصبوغة بالدم ، الذي كان ينزّ من لثتيه ، وكان يضحك ضحكاً شديداً جداً.

في غرفتهما في الطبقة الثانية من فندق «أتامي» غداة ليلة زفافهما الأولى ، ضحك بالصورة نفسها. كان قد فتح النافذة لينظر إلى المرجة الخضراء ذات التموّجات الخفيفة . كانت هناك عائلة ألمانية مع كلب سلوقي[1] كبير. وكان الغلام الصغير ، البالغ عمره ست سنوات ، على وشك اصطحاب الكلب في نزهة ، حين رأى الكلب ، فجأة ، هراً يندسّ تحت الشجيرات، فانطلق يطارده . وفات الغلام أن يترك الزمام ، فجرّه الكلب على ظهره عبر المرجة الخضراء . ولدى رؤية

(١) الكلب السلوقي levier هو من سلالة كلاب صيد تتميز باستطالة أجسامها وقوائمها (عن «المنهل»).

ريوسوكيه هذا المشهد ، انفجر ضاحكاً ، ضحكة صريحة ومبتهجة . لقد ضحك ، كاشفاً عن أسنانه ، مقهقهاً قدر ما يستطيع . ولم يسبق لأيتسوكو أبداً أن رأته يضحك على هذا النحو.

لبست ايتسوكو بابوجها وركضت نحو النافذة . يا لهذا الضياء الباهر على العشب الأخضر! كان البحر يتلألأ عبر الحديقة، ومنحدر المرجة المرتب ببراعة ، بدا أنه يصل إلى الساحل الرمليّ . كانا قد نزلا إلى بهو الفندق . وكانت علبة تحتوي على كراريس مطوية (بيانات وإعلانات إلخ) ذات ألوان فاقعة ، وهي بالأخص إعلانات لشركة سفريات ، وهذه العلبة كانت معلّقة على عمود دعم ، وفوق العلبة كانت لافتة كتب عليها «تفضّلوا» . أخذ ريوسوكيه كراساً ، وأثناء انتظارهما لطعام الفطور ، طوى أوراق الكراس ببراعة ليجعل منها طائرة شراعية صغيرة . وكانت مائدتهما تقوم قرب نافذة تطلّ على الحديقة . «انظري»، قال لها وهو يطلق الطائرة الشراعية نحو البحر.

يا للسخافة! لم تكن هذه سوى إحدى الخدع التي كان يقوم بها لكي يروق للنساء ولنيل رضاهن . في تلك اللحظة كان يرغب فعلاً في أن يعجب ايتسوكو . كان يرغب حقاً في التأثير على هذه الزوجة الجديدة . يا للأمانة!

كانت ايتسوكو ما تزال تملك بعض المال. وكان والدها وهي ، حينئذ ، العضوين الوحيدين الباقيين من أسرة غنية وعريقة تعود سلالتها إلى جنرال شهير من عهد الحروب الأهلية . وكانت ثروتهما تقوم في سندات محفوظة بحرص شديد . ثم انتهت الحرب العالمية الثانية، وصدر مرسوم يفرض ضريبة على الثروات . وتوفّي والدها . وتدنّى ميراث ايتسوكو إلى مجموعة صغيرة وهزيلة من الأسهم والسندات . وعلى كل حال ، ففي ذلك الصباح ، كانا وحيدين في فندق آتامي ، ويشكّلان ثنائياً حقيقياً . كان مرض ريوسوكيه يعيد لهما

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

هذه الوحدة ، وبصورة غير متوقّعة ، كانت ايتسوكو تتمتّع بهذه السعادة القاسية . وكان يبدو أنها تصيب منها أكثر المتع شراهة ، وأكثرها إثارة للشفقة . إن العنايات التي كانت تسخو بها على زوجها ، كانت ترغم تقريباً الآخرين على تحويل نظراتهم عنهما .

لقد توجبت عدة أيام لأجل تشخيص إصابته بحمّى التيفوئيد . وخلال بعض الوقت ، اعتقد أن الأمر يتعلّق بزكام مؤذٍ جداً يرافقه التهاب القناة التنفّسية : صداع ، وأرق ، وفقدان تامّ للشهيّة . ولكن لم يكن بعد قد ظهر العرضان المميّزان لداء التيفوئيد : الحمّى التي لا تكفّ عن التصاعد ، وعدم انتظام نبضات القلب والحرارة . وخلال اليومين الأوّلين ، كان ريوسوكيه يعاني الصداع ويحسّ بتعب كبير ، ولكن لم تكن تنتابه الحمّى . وغداة عودته إلى المنزل ، لم يذهب إلى المكتب .

ومن غريب الأمر أنه قضى كل ذلك اليوم في ترتيب حاجياته بهدوء ، مثل ولد يلعب في منزل غير منزله . كان يصدر عن هذا النوع من الخدر والاسترخاء ، قلق غامض وغير مفهوم . وحين دخلت ايتسوكو إلى غرفة عمل زوجها لتقدّم له فنجان قهوة، وجدته ممدداً بكل طوله على الحصير ، في مئزره العادي المنقط بحبوب جلبان زرقاء وبيضاء . كان يعضّ على شفتيه وكأنه يريد أن يتحقّق من شذوذ ما . لم تكن الشفتان متورّمتين ، وإن كان قد بدا له ذلك .

حين رأى ايتسوكو قال :

ـ لا أريد قهوة .

وإذ كانت متردّدة، أضاف :

ـ أديري عقدة حزامي نحو الأمام . إنه داخل في جسمي ، ولا استطيع تحمّله . كان يمكن أن أفعل ذلك أنا نفسي ، ولكن ليس من

السهل أن أقوم أنا بذلك .

منذ زمن طويل، وريوسوكيه لا يحبّ أن تلمسه ايتسوكو . وكان يكره حتى أن تساعده في ارتداء سترته . فما الذي دعاه للتصرّف اليوم على نحو مغاير؟ وضعت ايتسوكو الصينية على المكتب وركعت إلى جانب زوجها .

سألها : ماذا تفعلين؟ إنك تبدين مثل مدلّكة .

مرّرت يديها تحت جسم زوجها ودسّتهما حول الحزام المزيّن بحبوب الجلبان . ولم يبذل أي جهد لرفع جسمه ، مسنداً جذعه الجسيم إلى يدي ايتسوكو النحيلتين . كان هذا يؤلمها ، لكنها أسفت لأن تدخلها لم يستمر سوى بعض الثواني .

ـ بدلاً من أن تظلّ ممدداً هكذا ، ألا تريد أن تذهب للنوم؟ هل تريد أن أرتّب لك سريرك؟

ـ دعيني وشأني . أنا جيّد جداً هكذا .

ـ ودرجة حرارتك؟ إنها تبدو لي مرتفعة .

ـ إنها مثلما كانت منذ قليل : طبيعيّة .

وتجاسرت ايتسوكو حينئذ على شيء أدهشها هي ذاتها . ضغطت شفتيها على جبين زوجها ، لترى ما إذا كان محموماً . ولم ينبس ريوسوكيه ببنت شفة . كانت عيناه تتحرّكان بوهن وفتور ، تحت جفنيه المطبقين . بشرة جبينه المدهنة والقذرة . . . هذا الجبين الذي سيفقد قدرته على نضح العرق ـ وهذا تأثير خاصّ لحمّى التيفوئيد ـ لكي يصبح جافاً وملتهباً ، ويكتسب بعد قليل لون جثّة رمادياً .

في مساء اليوم التالي ، ارتفعت درجة حرارته بسرعة إلى ٣٩,٨ درجة . وكان يشكو من أنه يعاني ألماً في كليتيه وفي رأسه . وكان

يحرك رأسه باستمرار ، باحثاً عن مكان نديّ على الوسادة ، ملطخاً وجهها بالدهن وقشور الشعر . وفي تلك الليلة ، أخرجت ايتسوكو الوسادة المائية فوضعت فيها ماء مجلداً . وهو لم يكن باستطاعته أن يتناول ، وبصعوبة ، سوى السوائل . وبشرت له تفاحاً وسقته عصيره في قدح المرضى . وفي صباح اليوم التالي ، جاء الطبيب فقال إن الأمر يتعلّق بزكام أو بنزلة برد .

استسلمت ايتسوكو لهذيانها .

. . وهكذا رأيت زوجي يعود لي أخيراً ، يعاود الظهور أمام عيني ، وكأن قطعة حطام عائمة ألقيت أمامي على الساحل . انحنيت على سطح الماء لاتفحّص بدقّة هذا الجسد الغريب المتألّم . ومثل زوجة صيّاد ، كنت أذهب كل يوم إلى شاطىء البحر . لقد عشت وحيدة ، وكنت أنتظر . وعلى هذا النحو عثرت في النهاية على هذا الجسد العائم في الماء الهادىء ، بين صخور الجون . كان ما يزال يتنفّس . فهل سحبته فوراً إلى خارج المياه؟ كلا ، لم أفعل ذلك . بل بحمية ، بحرارة ، بشغف وبوجد ، ومثابرة ، دون أن أرتاح أو أنام ، بقيت منحنية فوق الماء لأنظر إليه بثبات .

«حتى نفسه الأخير ، كنت أتأمّل هذا الجسد الذي كان ما يزال يتنفّس وهو عائم كلّياً ، لأرى ما إذا كان لا يزال يئنّ . كنت أعلم أنني لو ابتعثته حياً ، فإن هذه القطعة من الحطام ستهجرني . إنها ستفرّ بلا أي شك مع رحيل الجزر ، نحو ساحل بعيد ، لكي لا تعود أبداً» .

«كنت أودع في عنايتي شغفاً ووجداً دون هدف . ولكن من عساه كان يعلم؟ من يمكنه أن يعلم أن الدموع التي سفحتها على زوجي أثناء ساعات احتضاره كانت واقع نهاية الحب والشغف والوجد التي أضاءت ، بالنسبة لي ، هذه الساعات؟» .

تذكّرت ايتسوكو اليوم الذي استأجرت فيه سيارة لنقل زوجها إلى مستشفى كويشكاوا ، الذي يديره صديق لهما ، اختصاصيّ في الأعضاء الداخلية . وبعد مضي ثلاثة أيام ، دخلت المرأة التي أتلفت ايتسوكو صورها الفوتوغرافية إلى الغرفة ، واصطدمت بغضب ايتسوكو . كيف اكتشفت تلك المرأة الأمر؟ هل علمت به من أحد زملاء ريوسوكيه في المكتب؟ لكن هؤلاء لم يكونوا مطّلعين على الأمر بالتأكيد . ولعلها ، مثل كلب ، شمّت رائحة المرض . وجاءت امرأة أخرى خلال ثلاثة أيام متوالية . ثم جاءت أخرى . وأحياناً ، كانت المرأتان تتقابلان وجهاً لوجه ، وتتبادلان لدى الخروج نظرات غاضبة .

لم تكن ايتسوكو تريد تطفّلاً من أحد في جزيرتهما هما الاثنين . وهي لم تبلغ العائلة في «مايدن» ببرقية عن الخطر الذي يحدق بريوسوكيه إلاّ حين لفظ نفسه الأخير . وهي ما زالت تتذكّر البهجة التي أحسّت بها يوم جرى تشخيص مرض زوجها .

لم يكن يوجد سوى ثلاث حجرات في الطبقة الثانية من هذا الفندق الصغير . وفي نهاية الرواق ، كانت نافذة تطلّ على منظر طبيعيّ كئيب . يا لرائحة هذا الكريزول[1] في الرواق! كانت ايتسوكو تحبّها . كانت ، كلما أغفى زوجها قليلاً ، تذرع الرواق جيئة وذهاباً ، متنشّقة هذه الرائحة التي كانت تفضّلها على الهواء في الخارج . إن الفعل الذي كان هذا المنتوج الكيميائي ينقّي به الموت والمرض لم يكن بالنسبة لها فعل الموت ، بل فعل الحياة . وهو ، تماماً مثل نسيم الصباح ، كان يدغدغ منخريها بصورة ممتعة .

منذ عشرة أيام ، كانت الحمّى مستقرّة على ٤٠ درجة ، وكانت ايتسوكو تظلّ جالسة قرب وسادة زوجها . وكان ريوسوكيه مثل عدّاء

(١) كريزول crésol سائل زيتي يستخرج من القطران (عن «المنهل») .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

«ماراتونيّ» يلهث ، عند نهاية السباق ، نافخاً منخريه . إنه وهو ثاوٍ على هذا النحو ، كان وجوده صورة لجسد بشريّ منخرط في سباق سرعة على حلبة لا نهاية لها . كانت ايتسوكو موجودة هنا وحدها لتشجيعه . «اركض قليلاً بعد ، قليلاً فقط!» كان ريوسوكيه يجيل عينيه حوله . وكانت أصابعه تتحسّس ، ساعية إلى بلوغ خطّ الوصول . لكنه لم يكن يتمكّن من أن يمسك سوى حافة الغطاء ، الساخن مثل التبن ، والذي كانت تفوح منه رائحة حريفة لحيوان وحشي .

كشف رئيس الأطباء ، أثناء جولته الصباحية ، عن صدر ريوسوكيه ، الذي كان يرتفع بتنفّس صعب . وحين لمس الطبيب البشرة الملتهبة من الحمّى ، نشأ لديه انطباع بأن بشرة المريض سوف تتفجّر بالماء الساخن . ولعلّ المرض ، ليس ، بعد كل شيء ، سوى تسارع لوتيرة الحياة . وحين وضع الطبيب مسماعه على صدر المريض ، لم يطبع العاج الأصفر على هذا الصدر سوى بقع بيضاء خفيفة ؛ ثم أصبحت البشرة ، هنا وهناك ، فجأة ، محتقنة بالدم ، وتكوّنت عليها نقاط صغيرة حمراء .

وسألت ايتسوكو : ـ ما هي هذه النقاط؟

قال الطبيب بنبرة منفصلة ، ولكن ودّية : ـ إنه الطفح الوردي، وسأوضح لك فيما بعد .

ولدى انتهاء الاستشارة ، رافق ايتسوكو إلى خارج الغرفة وقال :

ـ إنها حمّى التيفوئيد . لقد حصلنا أخيراً على نتيجة تحليل الدم . فكيف وأين التقط ريوسوكيه هذا المرض؟ هو يقول إنه شرب من مياه بئر أثناء رحلة أعمال . وربما كانت أصابته بسبب ذلك . ولكن لا تقلقي . إذا استطاع قلبه أن يتحمّل ، فلن تكون هناك مشكلة . ولكن هذه حالة غريبة إلى حد ما ، بحيث أن التشخيص قد تأخّر . واليوم ،

سنتخذ تدابير لنقله إلى مستشفى متخصّص . فليس لدينا هنا حجرات عزل .

كان الطبيب يدقدق بعباراته الجافة على الجدار المزيّن بلافتة : «التدخين ممنوع» وفي موقف مشوب بالضجر ، كان ينتظر أن تصيح هذه المرأة ذات العينين المحاطتين بدوائر زرقاء ، والمنهكة ، بفعل كلّ هذه الأيام من العناية والجهد ، كان ينتظر أن تصيح بشيء ما ، وأن تتوسّل : «دكتور، أرجوك! لا تقل شيئاً، أبقه هنا!» فإذا نقلت مثل هذا المريض ، فإنه سيموت! دكتور ، إن حياة بشرية هي أهمّ من القانون! لا ترسلوه إلى مستشفى المصابين بالأمراض المعدية ! حاول أن تدخله إلى حجرة معزل في المستشفى الجامعي!». وبفضول لبق ، كان ينتظر من ايتسوكو مثل هذه الدعوات المعبّر عنها بعبارات مبتذلة .

لكن ايتسوكو لم تتلفظ بكلمة .

قال الدكتور : ـ أنت متعبة ، أليس كذلك؟

ـ كلا ، أجابت ايتسوكو بنبرة كان يمكن اعتبارها بطولية .

لم تكن خائفة من العدوى (كان هذا ، كما بدا ، السبب الوحيد لعدم إصابتها بعدوى التيفوئيد) . ورجعت إلى الكرسيّ قرب زوجها وعادت إلى شغلها . كان الشتاء يقترب ، وكانت تحيك لزوجها صدرة صوف . في الصبيحة ، كانت الحجرة باردة . وخلعت صندلها وفركت اخمصي قدميها ، واحدة بالأخرى .

ـ إنهم يعرفون ماذا أصابني ، أليس كذلك؟ هكذا سأل ريوسوكيه بنبرة منغومة مثل نبرة طفل .

ـ أجل .

نهضت ايتسوكو وهي تنوي أن ترطّب بقطيلة[1] قطنية شفتي

(١) قطيلة قطن tampon هي سدادة يحشى بها الجرح لوقف النزف (عن «المنهل»).

ريوسوكيه ، الجافتين والمشقّقتين بفعل الحمّى . لكنها لم تفعل ذلك قط ، وضغطت خدّها مقابل خد زوجها . كان وجه المريض غير المحلوق يحرق وجهها مثل رمل حارّ .

ـ لا تقلق . سوف تشفيك ايتسوكو بالتأكيد . ولا تنشغل بشيء . فإذا متّ أنت ، فسوف أموت أنا أيضاً . (من الذي يستطيع أن يرغمها على البرّ بهذا الوعد الكاذب؟ على كل حال . لم يكن هنا أيّ شاهد ، حتى ولا اللّه ، الذي كانت ايتسوكو لا تؤمن به). لكن هذا لن يحصل، ولسوف تشفى بالتأكيد. قبّلت ايتسوكو بقبلات محمومة شفتي زوجها الخشنتين والملطختين بدمه . وكان وجه ريوسوكيه يتقلّص تحت وجه زوجته.

انفتح الباب قليلاً ، ولدى سماع ايتسوكو صوت المقبض ، تركت زوجها، وأشارت لها ممرضة بعينيها وخرجت إلى الرواق ، الذي كانت تنتظر في نهايته ، مستندة إلى النافذة ، امرأة ترتدي فستاناً طويلاً ومعطفاً من الفرو.

كانت ايتسوكو قد رأت صورة هذه المرأة. وهي تبدو للنظرة الأولى ، أوراسية[1] . وكانت أسنانها جميلة جداً حتى لتكاد تبدو اصطناعية ، وكان منخراها جيدي القطع . وكان ورق السيلوفان الذي غلفت به باقة أزهار يلتصق بأظافرها الحمراء الفاقعة . وفي موقف الزائرة ، كان شيء ما ، عديم البراعة ، ومرغم ، أشبه بحيوان نهض على قائمتيه الخلفيتين ، محاولاً السير . كان يمكن أن يكون عمرها أربعين عاماً ، وكانت التجاعيد عند زاويتي عينيها تكذب بسرعة سنّ الخامسة والعشرين ، التي كان يمكن أن تعطى لها عند أوّل نظرة.

قالت المرأة المجهولة: «مرحباً ، يا سيدتي».

(١) أوراسية eurasienne، أي تنتمي إلى أصول أوروبية وآسيوية (هـ . م).

كانت تتكلم بنبرة ريفية خفيفة من الصعب تبيّنها . وكانت ايتسوكو ترى فيها إحدى تلك النساء التي لا بد وأن رجالاً بلداء يجدون فيهن سحراً وارداً من البعيد. إنها المرأة التي سببت لها كثيراً من الآلام. ولكن كان يستحيل على ايتسوكو أن تجمع على الفور بين الألم الماضي والتشخيص الحاضر لمسبّبته . هذا الألم قد نضج ـ طريقة غريبة للتعبير عن هذا الشيء ! ـ بحيث كان يصبح شيئاً خيالياً ، ليست له أية علاقة بهذا الكيان الملموس . كان ذلك مثل سنّ مقتلعة؛ فهو لم يعد يسبّب له أيّ ألم . وتماماً مثل مريض شفي من أمراض هيّنة ، لكنه يجابه خطراً حقيقياً ، كانت ايتسوكو تجد غير جديرة بها فكرةُ أن هذه المرأة كانت سبب آلامها.

قدّمت المرأة بطاقة زيارة تحمل اسم رجل ، وقالت إنها جاءت عوضاً عن زوجها . وعلى البطاقة ، كان مسجلاً اسم المدير العام لشركة كان ريو سوكيه يعمل لحسابها.

قالت ايتسوكو: ـ ليس مرخصاً استقبال زوّار . ولا يسمح بدخول أحد.

تعتّمت نظرة المرأة .

ـ لكن زوجي طلب إليّ أن أراه وأن أسأله كيف حاله.

ـ حسناً، إليك حالة زوجي: لا أحد يستطيع رؤيته.

ـ ليتني أستطيع أن ألقي نظرة عليه. وسيكون زوجي راضياً.

ـ لو كان زوجك هنا ، لسمحت له بالدخول.

ـ ولكن لماذا يستطيع زوجي الدخول، وأنا لا؟ ليس لهذا أي معنى. إن كيفية كلامك تجعلني اعتقد أنك تتألمين في صدد شيء معيّن.

ـ حسناً ، لا يستطيع أحد أن يراه . هل يرضيك هذا؟

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

ـ إنني أجد أقوالك هائلة ، وغير طبيعية . فهل أنت زوجته . . . زوجة ريو سوكيه؟

ـ أنا المرأة الوحيدة التي أدعو زوجي ريو سوكيه .

ـ أرجوك ! إليك بعض الأزهار . ليست هي شيئاً كثيراً ، لكنني اعتقدت أنها تخلق لمسة فرح في حجرته .

ـ شكراً .

ـ أيتها السيدة سوجيموتو ، هل أستطيع رؤيته؟ كيف حاله؟ ليس مرضه خطراً ، أليس كذلك؟

ـ يمكن أن يعيش أو أن يموت . . . الحقيقة غير معروفة .

أثارت نبرة ايتسوكو الساخرة المرأة . فتجاوزت هذه اللياقات ، وقالت :

ـ حسناً ، إذا كان الأمر هكذا ، فسوف أراه ، سواء راق لك هذا أم لم يرق .

ـ تعالي إذن ، تفضّلي بالدخول ، وافعلي كأنك في بيتك .

استدارت ايتسوكو واتجهت نحو الغرفة .

ـ هل تعرفين ماذا يشكو زوجي؟

ـ كلا .

ـ إنه مصاب بالتيفوئيد .

وقفت المرأة ، وتغيّر لونها .

ـ التيفوئيد؟ هكذا همست في سؤال .

لا بد أن هذه المرأة فظّة . فقد كان ردّ فعلها وهيئتها المرتعبة كردّ فعل امرأة عجوز ، علمت أن أحداً ما مصاب بالسلّ ، فصاحت «حمانا اللّه!» . بل وصل بها الأمر إلى رسم إشارة الصليب! عشيقة شخص

غريب، هذه! فتحت ايتسوكو الباب بلطف . كانت مسرورة بردّ فعل المرأة وهيئتها المرتعبة . وقرّبت الكرسيّ من وسادة زوجها .

لم يكن لدى المرأة خيار آخر سوى الدخول إلى الحجرة باحتراس . وكانت ايتسوكو مبتهجة جداً بإطلاع زوجها على الحالة العصبية لدى الزائرة .

خلعت المرأة معطفها ، لكنها لم تكن تعرف ماذا تصنع به . ففي كل مكان يمكن أن توجد باسيلات عصوية[1] . وكان من الخطر أيضاً وضع معطفها بين يدي ايتسوكو ، التي كانت تقوم بالتأكيد بإفراغ حوض زوجها . وبدا أن من الأصوب أن تحتفظ بمعطفها ، فوضعته على كتفيها ، وأرجعت الكرسي إلى أبعد ما يمكن ، وجلست .

نقلت ايتسوكو إلى زوجها الاسم المكتوب على البطاقة . وألقى ريوسوكيه نظرة على المرأة ، لكنه لم يقل أية كلمة . وشبكت ساقيها . كانت شاحبة وصامتة .

كانت ايتسوكو ، وكأنها ممرضة ، تقف وراء الزائرة وهي تراقب التعبير على وجه زوجها ، وقطعت أنفاسها فكرة مباغتة وقلقة : «ماذا لو أن زوجي لم يكن يحبّ هذه المرأة؟» هكذا قالت في دخيلتها . حينئذ سيكون كل ألمي بلا جدوى . وسنكون ، زوجي وأنا ، معذّبين في نزاع مضحك . ومنذ الأعوام الأخيرة ، لم تكن حياتي سوى صراع خالٍ من المعنى . وعلي الآن أن أعثر في عيني زوجي على علامة حبّ لهذه المرأة ، وإلّا فسيكون الأمر لا يطاق . فإذا لم يكن يحبّها ، هي والنساء الثلاث اللواتي لم أسمح لهن برؤيته ، فكيف سأستطيع ، بعد كل ما حدث ، أن أتحمّله؟

---

(١) جراثيم بشكل عصي صغيرة ، وهي غالباً مولدة للمرض (هـ . م) .

كان ريوسوكيه ما يزال ينظر إلى السقف ، وتحرّك تحت غطاء السرير ، الذي كان قد انزاح بالعرض . . ورفع ركبتيه ، فانزلق غطاء السرير إلى أرض الغرفة . تراجعت المرأة قليلاً ، ولكن حتى دون أن تتنازل وتمدّ يدها . وسارعت ايتسوكو لتعيد ترتيب السرير.

خلال بضع الثواني هذه ، أدار ريوسوكيه رأسه نحو الزائرة . وكانت ايتسوكو ، المنشغلة بغطاء السرير ، لا تستطيع رؤيتهما . لكن حدسها قال لها إن زوجها والمرأة قد تبادلا غمزة ، غمزة ازدراء لها . هذا الرجل ، المصاب بحمّى محرقة ، قد ابتسم وغمز الزائرة بعينه.

لم يكن ذلك مجرّد حدس . بل إنها حزرت ذلك من حركة لاحظتها على وجنة زوجها . وقد أحسّت حينئذ بارتياح لا يستطيع فهمه أولئك الذين يحكمون تبعاً لمفاهيم عاديّة.

تألقت ابتسامة ناعمة على وجه ريوسوكيه غير المحلوق، (هل تراه ابتسم في أيّ يوم ـ من الأيام على هذا النحو لايتسوكو؟) ثم قال بصوته المنغوم:

ـ يا للخسارة لأنني لا أستطيع أن أنقل إليك هذا المرض! فستكونين قادرة على العيش رغماً عنه .

ـ أوه ، كيف تستطيع قول هذا؟ هكذا أجابت الزائرة ضاحكةً ، ونظرت لأول مرة إلى ايتسوكو مواجهةً .

وأردف ريوسوكيه يقول: ـ لا أستطيع مقاومة ذلك.

وساد صمت مرتبك . ثم، فجأة ، ضحكت المرأة ضحكة مغتصبة.

وبعد ذلك ببضع دقائق، انصرفت.

في تلك الليلة ، احتلّت الباسيلات العصوية دماغ ريوسوكيه.

وفي غرفة انتظار في الطابق السفلي ، كان جهاز راديو يطلق موسيقى جاز صاخبة.

قال ريوسوكيه بأنين : لا أستطيع أن أتحمّل هذا. وكان يحسّ بنبضات اهتزازيّة في رأسه ، وأضاف : أنا مريض مثل كلب ، وهذا الراديو. . .

كانت «لمبة» الضوء قد غُطّيت بقطعة من القماش الموصليّ لكي لا تبهر عيني المريض. وتسلّقت ايتسوكو على كرسيّ فعقدت القماشة دون طلب مساعدة من ممرّضة . وكان للنور الذي يتسرّب عبر قطعة القماش الموصلية الشفافة تأثير سيّىء وهو إلقاء ظل مخضوضر على وجه ريوسوكيه . وفي هذه الإضاءة الغريبة، كان يبدو أن عينيه المحتقنتين بالدم مفعمتان بغضب ومحجبتان بالدموع.

وضعت ايتسوكو شغل الصوف، ونهضت .

قالت: ـ «سأنزل لأطلب منهم إقفال الجهاز».

ولدى وصولها إلى الباب، سمعت وراءها صيحة شكوى مرعبة. استدارت ايتسوكو. كان ريوسوكيه قد نهض جالساً، وضمّ غطاء السرير بين يديه، كما يمكن أن يفعل طفل. وثبّت نظره على الباب.

سمعته الممرضة ، فدخلت إلى الحجرة . وساعدت ايتسوكو في إرقاد ريوسوكيه ، وأعادت يديه إلى تحت الغطاء . ودون الكفّ عن الأنين ، استسلم المريض. ثم بعد ذلك ببضع لحظات ، نظر حوله ونادى:

ـ ايتسوكو! ايتسوكو!

حين سمعت ايتسوكو اسمها ، تساءلت كيف استطاع أن يختاره من بين العديد من الأسماء الأخرى. كان يبدو أنه لا يطيع إرادته الخاصة بل إرادتها . وكانت لديها القناعة الغريبة بأنه يتلفّظ بهذا الاسم

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

بإيعاز منها ، وكأنه يتقيد بقاعدة معينة .

أمرته قائلة : قُلْهُ مرة أخرى!

كانت الممرّضة قد ذهبت لإحضار الطبيب . وانحنت ايتسوكو على زوجها ، فأخذته بذراعيها وهزّته بقسوة . ولهث قائلاً من جديد :

ـ ايتسوكو! ايتسوكو!

وفيمابعد ، في الليل ، صاح ريوسوكيه دون تمييز : «ما أشدّ السواد! ما أشدّ السواد!» ثم ارتمى خارج السرير واصطدم بالطاولة ، مسقطاً قماقم الأدوية وإبريقاً ، وبعد ذلك داس على الزجاج المكسّر وجرح قدميه جروحاً فظيعة . وتقدّم ثلاثة رجال ، ومنهم البواب ، وسيطروا عليه .

في اليوم التالي ، جرى حقنه بإبر مهدّئة ، ومُدِّد على حمالة ، ثم نقل في سيارة إسعاف . كان ثقيل الوزن . وكانت السماء تمطر . وأظلّته ايتسوكو بمظلّة من باب المستشفى حتى الحاجز الحديدي ، حيث كانت تنتظره سيارة الإسعاف .

مستشفى الأمراض المعدية والسارية : بابتهاج رأت ايتسوكو هذا المبنى الفظيع ، القائم في الجانب الآخر من الجسر ، الذي كان يلقي ظلّه على الطريق نحو الجادّة الوعرة . إن حياة شبيهة بتلك التي يحياها المرء في جزيرة ، حياة في شكلها المثالي ، هذه الحياة التي كانت تشتهيها ايتسوكو على الدوام ، سوف تبدأ . لم يكن باستطاعة أحد أن يتبعهما إلى هناك . وما من أحد يستطيع الدخول . كان يعيش هنا وحدهم أولئك الذين جعلوا من مقاومتهم للجراثيم علة وجودهم الوحيدة . كانت تلك ـ موافقة دائمة على الحياة ، موافقة قاسية لا تهتمّ ألبتة بالمظاهر . موافقة على الحياة في ما هو أبعد من القانون ومن الأخلاق ، موسعة ومطلوبة بلا انقطاع بالهذيان ، وبالشبق ، وبالبراز

الممزوج بالدم ، وبالتقيّؤات ، وبالإسهال وبالروائح الكريهة . وتماماً مثل جماعة من الباعة الذين يقدمون سلعهم بأصوات صاخبة ، كان على الهواء أن يمتلىء ، في كل لحظة ، بهذه الصيحات : «ما زلت حياً! ما زلت حياً!» . محطة السكة الحديدية هذه ، حيث الحياة تذهب وتجيء ، بلا نهاية ، وحيث كان المسافرون يأتون ويسافرون ، يصعدون إلى القطارات وينزلون منها . هذه الكتلة من الأجسام التي يحركها بصورة موحدة ، شكل وجودها المتماثل ، أي الداء المعدي . وهناك ، كانت قيمة الحياة البشرية وحياة الجراثيم تقتصر في كثير من الأحيان على الشيء ذاته : كان المريض والطبيب الممارس يُحوَّلان إلى جراثيم ، إلى حياة عديمة الهدف . فالحياة لا وجود لها هنا إلاّ لكي يجري تأكيدها ؛ ولم تكن مقبولة هنا أية رغبة دنيئة . هنا كانت تسود السعادة ، السعادة الأكثر تعرّضاً لتفكك جميع عناصرها .

كانت ايتسوكو تعيش هنا بصورة كاملة ، مليئة ، وسط الموت والروائح الكريهة . وكثيراً ما كان زوجها يلطّخ سريره ، وفي اليوم التالي لوصوله إلى المستشفى الجديد ، كان برازه مختلطاً بالدم . إن النزيف المعوي الذي كان يخشى حدوثه ، قد بدأ .

ومع أن الحمّى الشديدة ، كانت مستمرّة ، فإنه لم يكن يهزل ، ولا يشحب لونه . وعلى سريره غير المريح ، كان جسده الضارب لونه إلى الورديّ والملتمع ، يثوي مثل جسد طفل . ولم تعد لديه القوة للتحرّك . كان يظلّ ممدداً ، خاملاً بلا نشاط ، ولا حيوية ، ممسكاً بطنه بكلتا يديه ، أو مداعباً صدره بقبضتيه المطبقتين . وكان يمر بأصابعه ببلاهة تحت منخريه لكي يشمّها .

أمّا ايتسوكو ، فكانت حياتها تتلخّص في ثبات نظرتها . لم يعد

باستطاعة عينيها الانطباق، وهما أشبه بنافذة تُركت مفتوحة ليقتحمها بلا رحمة ، الريح والمطر . كانت الممرضات يدهشن من أعمال العناية المحمومة والمهووسة، التي تغذقها ايتسوكو بسخاء على هذا المريض نصف العاري، الفائحة منه رائحة البول، والذي لم تكن تنام قربه سوى ساعة أو ساعتين يومياً. وحتى في ذلك الحين، كانت تحلم بأن زوجها، المدفوع إلى هاوية، يصيح منادياً إياها باسمها، فتستيقظ على الفور.

في نهاية المطاف ، اقترح الطبيب عملية نقل دم ، وذلك في الوقت ذاته مع تلميحه إلى أنه لا ينبغي تعليق أمل كبير على النتيجة . وكانت نتيجة عملية نقل الدم هذه أنها جعلت ريوسوكيه أكثر هدوءاً، وساعدته على النوم . دخلت ممرضة ومعها الفاتورة . وخرجت ايتسوكو معها إلى الرواق.

وجدت هناك شاباً كان وجهه المشوّش السحنة يختفي جزئياً تحت قبعته . وقد خلعها حين رأى ايتسوكو وانحنى بصمت . كانت ثمة بقعة صلعاء فوق أذنه اليسرى. وكان في عينيه بعض الحَوَل، وأنفه شديد النحول.

سألته ايتسوكو : ـ ماذا تريد؟

لم يجب ، وكان يدير قبعته بأصابعه ، ويرسم بقدمه اليمنى دوائر على أرضية الرواق.

ـ أوه ، هذه؟ قالت ايتسوكو وهي تريه الفاتورة .

ردّ الشاب بالإيجاب محدثاً إشارة برأسه .

لاحظت ايتسوكو سترة الفتى القذرة ، وهو ، بعد تلقّيه النقود ، ذهب ، وهو يفكر في دم الشاب الذي يدور الآن في جسم ريوسوكيه.

قالت في نفسها : «كأن هذا يمكن أن ينقذه! لماذا يؤخذ دم هذا الغلام لأجل رجل لديه الكثير جداً من الدم؟ هذه جريمة» .

فكرت في ريوسوكيه وهو في سرير المرض.

«سيكون الأصوب بيع فائض دم ريوسوكيه المشبع ببكتريات عصوية . بيعه لأشخاص بصحة جيدة . حينئذ سوف يستعيد ريوسوكيه صحته ، والأشخاص ذوو الصحة الجيدة سوف يصابون بالمرض . وستحصل البلدية على مالها مع الأموال المخصصة لمستشفى الأمراض المعدية والسارية» . ولكن لم يكن ينبغي أن يستعيد ريوسوكيه صحته . فلو أنه شفي ، لرحل مجدداً .

ولاحظت ايتسوكو أن أفكارها تتيه. كانت تحلم نصف حلم ومستيقظة نصف يقظة . وقد بدا لها أن الشمس قد غابت فجأة . وكان كل شيء حولها يبدو غارقاً في العتمة . وكانت كل نافذة تؤطر سماء مغيب شفقي ، حيث كانت تركض الغيوم على خلفية بيضاء. ترنّحت ايتسوكو وأغمي عليها . إنها نوبة خفيفة لفقر دم دماغي موضعي . وقد ألح الأطباء عليها لتأخذ قسطاً من الراحة . ولكن بعد ذلك بأربع ساعات ، جاءت ممرضة لتقول لها إن ريوسوكيه يحتضر.

قرب منشّفة الأوكسجين التي كانت ايتسوكو تمسك بها أمامه ، كانت شفتا ريوسوكيه تتحرّكان وكأنّه كان يحرص على أن يقول شيئاً ما . ولكن ، أية كلمات لا يمكن سماعها يمكن أن تشكل الشفتان في هذا الجهد اليأس؟

«كنت ممسكة بالمنشّفة بكل قواي، بحيث أن يديّ وكتفيّ قد خدرت . وصرخت بصوت حاد: «خذوا المنشّفة، وبسرعة،» هرعت الممرضة راكضة ، وأخذت الجهاز من يدي».

«في الحقيقة لم يكن ذلك من التعب. بل لقد خفت ، هذا هو

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

الأمر بكل بساطة . لقد خفت من هذه الكلمات التي لا يمكن سماعها، والتي كان يتلفظ بها زوجي حين كان ثاوياً هنا ، مجابهاً المجهول . . . فهل كانت هذه هي أيضاً غيرتي؟ أم أنه خوفي من هذه الغيرة؟ لست أدري . ولو أنني فقدت كل سيطرة على نفسي لصرخت «مت! هيّا مت!» .

«في ساعة متأخرة من الليل ، كان قلبه يواصل النبض ، وبدا أنه لا يريد أن يتوقّف . غادر الطبيبان وسادته وقال أحدهما للآخر : «إذا نجا من الموت ، لن يدهشني ذلك». وبعينين مفعمتين بالمقت رحت أنظر إليهما وهما يبتعدان . هل يمكن ، بعد كل شيء ، أن ينجو ويعيش؟ لقد كانت هذه الليلة هي ليلة آخر معركة لنا .

«في تلك اللحظة ، كنت أرى أن السعادة غير المؤكدة ، التي كنت أستطيع تصوّرها لزوجي ولي ، إذا ما شفي، وفقدان الأمل في رؤيته يعيش ، كانا تقريباً الشيء ذاته . إذاً ، كان يبدو لي أنني ، من الآن فصاعداً وفي كل لحظة ، سوف أجد السعادة مجدداً . ولكن ليس هذه السعادة غير المؤكدة. كان أسهل علي بكثير أن أواجه يقين موت زوجي، من أن أواجه عدم تأكد بقائه على قيد الحياة. كان أملي في أن أراه يحتفظ بحياته، باقياً ـ أي أملي ـ وكانت صلواتي من أجل موته تعود إلى الشيء نفسه. لكن جسده استمرّ يعيش! إنه سيخونني!

«من المحتمل أن يكون الآن في اللحظة الحرجة» هكذا قال الدكتور بأمل. واستولت الغيرة عليّ مجدداً . كانت دموع تتساقط على يدي اليمنى ، التي كانت تمسك وجه ريوسوكيه . وفي الوقت ذاته ، كانت يدي اليسرى تسعى لانتزاع المُنَشَّقة من فمه . وقرب السرير ، كانت الممرضة نائمة على كرسي . وكانت الحجرة تمسي باردة أكثر فأكثر مع تقدّم الليل . وعبر النافذة ، كنت أستطيع أن أرى إشارات

محطة سكة حديد «شانجوكو» تنفصل في الظلمة ، وكذلك اللافتات الضوئية . كانت صفارات القطارات وضجّة العجلات المختلطة بأصوات أبواق السيارات تمزّق الجوّ الليلي . وغطيت نتفيّ بشال صوفي لحماية رقبتي من البرد اللاذع .

«لو أنني أبعدت الآن مُنَشَّقة الأوكسجين ، لن يعرف أحد ذلك . ولن يرى ذلك أحد . لم أكن أؤمن إلاّ بالشهادة البشرية . ومع ذلك ، لم أستطع القيام بذلك ، وحتى الفجر ، واصلت الإمساك بالمنشّقة مغيّرة يدي على التوالي . أية قوة منعتني؟ الحبّ؟ كلا ، ليس هو بالتأكيد. حبّي كان سيتمنى له الموت. أهو العقل؟ ليس هذا أيضاً. كان عقلي سيكتفي بالتأكيد من أن أحداً لم يرني. أم هو الجبن؟ كلا. وبعد كل شيء، فإنني حتى لم أخف من العدوى. إنني لا أعرف بعد ماذا كانت هذه القوة.

«لكنني في الساعة الأكثر برودة قبل بزوغ النهار ، أدركت أنه ليس من الضروري القيام بأيّ عمل غير منطقي . كانت السماء تشحب . وكانت مجموعات من السُحُب تنتظر اللحظة التي تعكس فيها أشعة الفجر المضيئة ، ولكن كل ما تستطيع تلك السحب أن تفعله كان إعطاؤها السماء هيئة قساوة . وفجأة ، أصبح تنفّس ريوسوكيه غير منتظم كليّاً . ومثلما يحوّل طفل شبعان وجهه فجأة عن ثدي الأم ، حوّل ريوسوكيه وجهه عن جهاز التنشُّق ، وكأن الخيط الذي كان ما يزال يمسكه للحياة قد قطع . ولم أحسّ بأية مفاجأة . ووضعتُ المُنشّقة قربه على الوسادة وأخذت من نطاقي مرآة يدوية . كانت هذه ذكرى من أمي ، التي توفيت وأنا صبيّة . كانت مرآة عتيقة الطراز ، مؤطرة بديباج أحمر . أدنيتها من فم زوجي . لم يتغشَّ الزجاج بالبخار . كانت شفتاه ، بتعبيريهما الحَرِد ، ينعكسان في المرآة،

مرتسمتين بوضوح» .

* * *

ألم يكن قبول ايتسوكو دعوة ياكيشي للمجيء إلى «مايدن» مؤسسة على التصميم نفسه الذي دعاها إلى مستشفى الأمراض المعدية والسارية؟ أفلا يعادل مجيئها إلى «مايدن» عودتها إلى هناك؟

كانت كلما تنفّست أكثر هواء عائلة سوجيموتو ، يذكّرها أكثر بهواء المستشفى . وكان يبدو أن روحاً مدمّرة يستحيل مقاومتها ، تمسكها بأغلال غير مرئية .

في منتصف شهر نيسان، دخل ياكيشي مساءً إلى غرفة ايتسوكو ليحثّها على إنهاء رتق صدرته وإصلاحها .

في ذلك المساء ، حتى الساعة العاشرة ، كان كل سكان المنزل ـ ايتسوكو ، وكانسوكيه وزوجته ، وأزاكو وولدها ، وكذلك سابورو وميو منشغلين بالمشغل في صنع أكياس لأجل الزعرور البستاني ، وهو عمل كان متأخراً بعض الشيء . في الزمن الاعتيادي ، كان صنع الأكياس يبدأ مع بداية نيسان ، ولكن في ذلك العام ، استأثر بأفراد العائلة موسم خارق لنبتات الخيزران ، فكانوا متأخرين بالنسبة إلى الزعرور . فإذا لم تكيّس حبات الزعرور هذه حين تكون بحجم طرف الإصبع ، فإن سوس الحبوب سيدخل إليها ويمتص عصيرها . وهكذا كان أفراد العائلة يصنعون آلاف الأكياس الضرورية . وكان قرب كل واحد منهم كدسة من الأوراق المأخوذة من مجلات مصورة قديمة ، كانوا يثبتونها بواسطة الصمغ المعجون الموجود في قصعة موضوعة وسط الجماعة . كانوا يتنافسون في السرعة ، وكانت عديدة تلك الصفحات التي يتوجب عليهم ثنيها دون أن يتاح لهم الوقت لقراءتها .

هذه المهمة الليلية كانت تثير غضب كانسوكيه . فكانت تتخلّل حركاته احتجاجات لا تنقطع : «إنني أبغض هذا العمل . إنه شغل لأرقّاء . ولست أرى لماذا علينا أن نقوم به . وأنا أراهن على أن الأب قد ذهب إلى النوم . وهذا هو شأنه بالضّبط . ولكن لماذا نبقى هنا، عاملين بطواعية؟ وماذا لو تمرّدنا؟ فإذا لم نناضل نحن من أجل زيادة في الأجر ، فسوف يواصل استثمارنا . ما رأيك يا شياكو؟ ماذا لو طالبناه بأن يضاعف أجرنا؟ طبعاً، نظراً لأننا لا نتلقى أي أجر ، فإن أجراً مضاعفاً يعادل الصفر . هيا! انظروا إلى هذه المجلة : «موقف الشعب الياباني من انتفاضة الصين الشمالية» ما رأيكم في هذا؟ وعلى قفا الورقة ذاتها : «وجبات للفصول الأربعة في زمن الحرب» .

مع كل هذا الهذيان، كان كانسوكيه يصنع بالكاد كيسين في حين يصنع كل شخص من الباقين عشرة أكياس . وكان يبدو أحياناً أن كل هذه التظلمات والشكاوى إنما تهدف إلى إخفاء ارتباكه حيال تبعيته الكاملة ، التي كانت ظاهرة تماماً ، بل فاقعة! وكانت شياكو ترى بطولة وقحة في الوضع التهريجي الذي كان يتخذه طوعاً، مخافة أن يسقط بصورة غير إرادية . وكانت شياكو تتمجّد بقدرتها على أن تكون محبة للخصام مثله ، لكنها كانت تكنّ له تملقاً كبيراً ، وتعتقد أن عليها ، كزوجة طيّبة ، أن تشارك في استياء زوجها ضد حميها ، وهي ، تماماً مثل كانسوكيه ، كانت تبغض ياكيشي من صميم قلبها . وكانت ، وهي تصنع نصيبها الخاص من الأكياس ، تساعد في الوقت ذاته زوجها ببراعة وبصورة سريّة ، في إكمال نصيبه . وبصورة غير شعورية، كانت ايتسوكو تبتسم وهي تلاحظ تفاني شياكو الخفي .

قالت أزاكو : ـ ما أسرعك في العمل ، يا ايتسوكو!

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

ـ إنها نتيجة في منتصف الوقت! قال ذلك كانسوكيه ، الذي دار حول الطاولة ليحصي الأكياس التي صنعها كل واحد. كانت ايتسوكو الأولى ، مع ثلاثمئة وثمانين كيساً.

كانت مهارة ايتسوكو تفوت أزاكو ، عديمة الاحساس ، كما كانت تغيب عن بال سابورو وميّو ، اللذين كانا يعجبان بنشاط ايتسوكو دون تفكير ، ولكن بالنسبة لكانسوكيه وزوجته ، كان ذلك شيئاً فريداً ، بعض الشيء ومخالفاً للمألوف ، وهذا شعور كانت تدركه ايتسوكو ذاتها . وبالنسبة لكانسوكيه ، على الأخص ، كان الرقم الذي حقّقته مؤشراً على قدرتها على البقاء ، وكان هو في الوقت ذاته إهانة ظاهرة.

وقال بنبرة ساخرة: حسناً ، إن ايتسوكو تبدو تماماً الوحيدة بيننا القادرة على كسب معيشتها بصنع الأكياس .

أخذت أزاكو هذه المسألة بحرفيتها وسألت:

ـ هل تدرّبت على صنع الأكياس ، يا ايتسوكو؟

لم تكن ايتسوكو تحسّ بأي عطف على الفكرة المسبقة البورجوازية المنفرة لدى هؤلاء الأشخاص، التي كان يبدو أنها تقوم بفعل محترميتهم الدنيئة والتعيسة . إن ايتسوكو ، بصفتها من سلالة الجنرال الشهير في الحروب الأهلية ، لم تكن تستطيع أن تغفر لهم زهوهم كمحدثي نعمة . وهكذا ردّت عن عمد بنبرة عدوانية :

ـ في الواقع ، نعم.

تبادل كانسوكيه وشياكو نظرة. وفي ذلك المساء، كان موضوع حديثهما في السرير هو سلالة ايتسوكو التي تتيح لها مثل هذا الاستخفاف وهذه الوقاحة.

في أثناء ذلك الوقت، لم تكن ايتسوكو تعير وجود سابورو انتباهاً كبيراً. وفيما بعد، لم تكن تستطيع أن تتذكر بوضوح أي شيء يشبه . كان ذلك أمراً طبيعياً ، ذلك لأن سابورو لم يكن ينبس بكلمة ، ولا يبتسم إلاّ بين حين وآخر إزاء ثرثرات عائلة سيّده ، وكان سابورو يقوم بمهمته ، بأصابع غير بارعة . وعلى قميصه المرقع ، كان يلبس سترة عتيقة ، كبيرة جداً ، أعطاه إياها ياكيشي ، وكان سابورو يجلس باحترام في بنطاله الكاكي الجديد تماماً ، وكان يبقي رأسه محنياً في الضوء الخفيف.

قبل عشر سنوات، كانت أسرة سوجيموتو ما تزال تستعمل مصابيح متوهّجة. والذين يستطيعون التذكر كانوا يقولون أن الغرف كانت حينئذ بصورة أفضل . ومنذ اعتماد الكهرباء ، أصبح يتوجّب لسوء الحظ استعمال اللمبات ذات المئة واط . لكنها لم تكن تملك سوى قوة أربعين واطاً . ولم يكن يمكن سماع الراديو إلاّ في الليل ، وإذا كانت الظروف الجويّة تسمح بذلك.

ومع ذلك ، ليس صحيحاً أنها لم تكن تنتبه إليه . فقد كانت ايتسوكو ، في الوقت نفسه وهي تثني أكياسها ، تراقب أحياناً كم أن أصابع سابورو كانت غير بارعة . هذه الأصابع الضخمة والخشنة كانت تثير غضبها . وألقت نظرة جانبية ، فرأت شياكو تساعد زوجها . فخطر ببالها بصورة غامضة أنها تستطيع أن تفعل الشيء نفسه إزاء سابورو . لكنها لاحظت أن ميو ، الجالسة تجاهها ، إلى جانب سابورو ، قد ساعدته منذ أن انتهت من الكدسة المخصصة لها. وقد عزّاها ذلك وأراحها.

قالت ايتسوكو فيما بعد وهي تتذكّر : «حينئذ شعرت بالراحة والتعزّي . أجل ، بدون أدنى غيرة ، والواقع أنني أحسست ببهجة معيّنة إذ حرّرني ذلك من كل مسؤولية . وحاولت ألاّ أنظر إلى ما يفعله سابورو . ولم يكن ذلك صعباً جداً . إن ظهري المحنيّ ، وصحتي ، واجتهادي في مهمتي ـ كل هذا دون النظر إليه ـ كان يحاكي صمت سابورو ، وظهره المحنيّ ، واجتهاده في المهمة» . . . ولكن لم يكن يحدث أي شيء .

دقت الساعة الحادية عشرة . وانسحب كل أفراد العائلة ، والخادمان ، كلّ إلى مسكنه .

بماذا أحسّت ، حين دخل ياكيشي في الساعة الواحدة صباحاً إلى غرفتها ، وهو يدخّن غليونه ، وسألها ما إذا كانت تنام جيداً في الآونة الأخيرة . كانت أذن هذا الرجل المسنّ تدار كل ليلة نحو غرفة ايتسوكو! هذه الأذن المترصّدة لأصغر الحركات التي كانت تحدث في غرفة ايتسوكو المواجهة لغرفته! أليست آذان الشيوخ صَدَفَات حقيقية يغسلها الموج ، وهي ملأى بالحكمة؟ إن الأذنين اللتين تبدوان ، بشكلهما ، أكثر من أي جزء آخر من الجسم البشري ، ملكاً لحيوان ، هما ، عند رجل مسنّ ، تجسيد للحكمة . فهل لهذا السبب كانت ايتسوكو ترى شيئاً آخر سوى القبح في عناية ياكيشي نحوها؟ وهل كانت تشعر بأنها محبوبة ومحميّة من قِبل هذه الحكمة؟

بيد أننا إذا أعطينا هذا الأمر تفسيراً فاتناً على هذا النحو ربما سنكون قد مضينا بعيداً بعض الشيء . كان ياكيشي واقفاً وراء ظهر ايتسوكو ، ينظر إلى تقويم معلّق على دعامة الباب .

ـ حسناً ، يا لك من كسول! إنك ما زلت في الأسبوع الماضي!

استدارت ايتسوكو قليلاً .

ـ حقاً؟ أطلب منك المعذرة .

ـ لا بأس! ليس في الأمر سوء .

كان صوته مفعماً بالرضى وباعتدال المزاج ، وفي حين كان يتكلم ، سمعته ايتسوكو يمزّق وريقات التقويم . ثم كان الصمت . وفجأة أحست بأنها ممسوكة من الكتف ، في حين كانت يد باردة ، بمثل جفاف الخيزران ، تنزلق في صدارها . تراجعت قليلاً ، لكنها لم تنبس ببنت شفة . ليس لأنها لم تستطع أن تصرخ ، لكنها لم تأت بحركة .

كيف يُفسَّر شعور الرضوخ الذي أحسّت به ايتسوكو في تلك اللحظة؟ أهي الرغبة؟ أم البلادة؟ وهل كانت تقبل هذا مثلما يرشف شخص متعطّش الماء الآسن؟ كلا . لم تكن ايتسوكو متعطشة أبداً . لقد توصّلت بغتة إلى أن لا تطلب أي شيء . وكان يبدو أنها جاءت إلى «مايدن» لكي تجد مجدّداً قاعدة لهذا الاستقلال الرهيب الذي اكتسبت عادته في مستشفى الأمراض المعدية والسارية . كانت تشرب مثل شخص يغرق يبتلع بدون إرادته ماء البحر حسب قانون طبيعيّ معيّن . إن عدم طلب أيّ شيء يعني أن المرء قد نسي حرية الاختيار أو النبذ . إنها ، بتقريرها على هذا النحو ، لم يعد لديها أيّ اختيار آخر سوى شرب أيّ ماء كان ، حتى ماء البحر .

بيد أن ايتسوكو لم يكن لديها أبداً فيما بعد التعبير القلق لشخص يغرق . وحتى ساعة موتها ، لن يعرف أحد ، كما يبدو ، أنها كانت تغرق . هذه المرأة ، المقيّدة والمكممة بملء مشيئتها ، لن تطلق أيّ نداء .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كان يوم ١٨ نيسان هو يوم «الرحلة إلى الجبل» ، فهكذا كان يسمّى الخروج التقليديّ لمشاهدة أشجار الكرز مزهرة . وكان ذلك اليوم بالنسبة للجميع ، يوم عطلة ، حيث تتنزّه الجماعات العائلية في الروابي لأجل التأمّل في الأشجار وهي في إبّان إزهارها .

كان الجميع في آل سوجيموتو ، باستثناء ياكيشي وايتسوكو، قد أكلوا ما يزيد عن حاجتهم من نثار نبتات الخيزران ، المسمّى «جيامي» . وكان «أوكورا» ، المؤاكر السابق ، يُخرج من العنبر محصول نبتات الخيزران ويعبّئها في مقطورة دراجته لحملها إلى السوق ، حيث كان يجري فرز النبتات إلى ثلاثة أنواع ، تباع بأسعار مختلفة . وكان الفتات يجمع في كومة كبيرة ويطهى في طناجر لأجل إكمال وجبات آل سوجيموتو ، باستثناء ياكيشي وايتسوكو .

لكن يوم الرحلة إلى الجبل كان فرصة عظيمة . وقد حشيت الـ جيوباكوس[1] بالمآكل من أجل مأدبة حقيقية . إن العائلة بكاملها ، مع حُصُرٍ مزيّنة برسوم مزهرة تُحمل تحت الساعد ، قد اتّجهت في طريقها من أجل النزهة ، حيث سيتناولون الطعام في الهواء الطلق ، وكانت بنت أزاكو الكبرى مسرورة جداً في ذلك اليوم ، لأنها لن تذهب إلى المدرسة .

وقد تذكّرت ايتسوكو تلك الفترة .

«لقد قضينا يوماً ربيعياً لطيفاً جداً . وكان المنظر الطبيعي شبيهاً ببعض الصور التي تزيّن كتبنا المدرسية ، وكان يبدو أن كلاً منا يلعب دوراً أمام هذا المنظر البديع :

(١) جيوباكوس Jyubakos مجموعة علب مبرنقة تدخل إحداها في الأخرى (هـ . م).

«كانت رائحة سماء مألوفة تطفو في الهواء ، هذه الرائحة الحاضرة دائماً في الحياة الريفية . وكل هذه الحشرات الطائرة ! إن دمدمة النحال والحنظبات[1] تملأ الجو ، وطيور السنونو تنزلق في الريح التي أدفأتها أشعة الشمس» .

في صباح الرحلة نحو الهضاب ، كان كل أهل المنزل منهمكين في الإعداد .

وبعد انتهاء إيتسوكو من تحضير وجبات الأرز ، نظرت من النافذة المعرّشة ، ورأت ابنة «أزاكو» الكبرى وهي تلعب وحدها على بلاط المدخل . وكانت تلبس صدرية من الصوف ذات لون أصفر فاقع مثل لون أزهار الخردل ، وهو ما يشهد بفساد ذوق أمّها . ماذا يمكن أن تفعل هذه البنت الصغيرة البالغة ثماني سنوات من العمر ، والمقرفصة هكذا وعيناها مثبتتان على الأرض؟ كانت على بلاط المدخل غلّايةٌ يتصاعد منها البخار . وكانت نوبوكو تنظر بانتباه إلى شيء ما يتحرّك في الأرض الموحلة بين بلاطتين .

كانت تلك نمالٌ تطفو في الماء الغالي الذي سُكب على وكرها . وكانت نمالٌ لا تحصى تتلوّى في الماء الساخن الذي كان يخرج من فتحة الوكر . وكانت الطفلة تضع رأسها قصير الشعر بين ركبتيها ، وتراقب النمال ـ في صمت ، ويداها مثبتتان على خدّيها ، دون أن تبعد خصلات الشعر المنسدلة على وجهها .

أحست ايتسوكو ، وهي تنظر إليها ، بشعور من الطراوة . وإلى أن نادت أزاكو ، وقد لاحظت اختفاء الغلّاية ، ابنتها من باب

(١) الحنظبات جمع حنظب وهو حشرة من فصيلة الحنظبيات لها فكّان كقرن الأيل (عن قاموس «المنهل»).

المطبخ ، ظلت ايتسوكو تراقب ظهر نوبوكو الصغير المكسوّ بالصدرة الصوفية الصفراء الضيّقة ، وكأنها كانت ابنتها هي نفسها في حياة سابقة . ومنذ ذلك الحين ، كانت ايتسوكو تحسّ بشعور أمومي نحو هذه البنت الدميمة التي لها تقاطيع أمها .

وعند لحظة الرحيل ، نشأت مناقشة حامية حول من الذي سيبقى في المنزل .

وفي النهاية ، امتثل المتناقشون لاقتراح ايتسوكو وعيّنت ميو للبقاء . وقد اندهشت ايتسوكو لكون رأيها العفويّ قد اتُّبع ، لكن الأمر كان بسيطاً جداً : إن ياكيشي يفعل ما تريده .

وحين كان أفراد العائلة يسلكون ، واحداً إثر الآخر ، الدرب الممتدّ من ملكهم نحو القرية المجاورة ، دهشت ايتسوكو ، مرة أخرى مجدداً ، لواقع أن العائلة تبدو وكأنها مقادة بلا وعي بشعور شديد ومزعج بالفئوية الاجتماعية . كانت تلك غريزة حادة ، بهيمية ، مثل تلك الغريزة التي تتيح فقط عن طريق الشمّ أو اللمس، لنملة عاملة، أن تتعرّف إلى نملة من وكر مختلف ، أو تتيح للملكة أن تتعرّف إلى النمال العاملات ، وللعاملات أن يتعرّفن إلى الملكة . ولم يكن أفراد العائلة يدركون ذلك ، ولم يكن ثمة أيّ برهان على أنّ هذا المفهوم يمكن أن يخطر ببالهم ، ولكن ، بصورة غير إرادية ، كان ياكيشي يسير في المقدمة ، ثم تأتي ايتسوكو ، فكانسوكيه ، فشياكو ، فأزاكو ، ثم نوبوكو (ترك أخوها الصغير ناتزيو في رعاية ميو) وأخيراً كان يأتي سابورو الذي يحمل على كتفه صرّة هائلة الضخامة ، ملأى بالمآكل .

واجتازوا ، في عمق ملكهم ، قطعة من الأرض شبه مهجورة ، وكان ياكيشي قد غرس فيها كرمة قبل الحرب . وكان ثلث هذه القطعة من الأرض مزروعاً بأشجار دراق فتية ، وهي الآن في إبان إزهارها .

وكان يشغل باقي الأرض ثلاث دفيئات مخربة دمّرت زجاجها الأعاصير الاستوائية ، وقصديريات[1] للزيت ملأى بماء آسن ، ونصبات عريش عادت إلى الحالة البرية ، وقشّ يابس كانت تتساقط عليه أشعة الشمس .

ـ أليس هذا فظيعاً؟ هكذا قال ياكيشي وهو يدفع بعصاه الأسليّة الضخمة إحدى الدعائم التي تسند دفيئة . وأضاف : «حين سنحصل على بعض النقود ، سوف نصلح كل هذا» .

أجابه كانسوكيه : ـ هذا ما تقوله دائماً . ولكن من المحتمل أن الدفيئات ستظل دائماً في هذه الحالة .

ـ هل تريد أن تقول إنه لا تأتينا نقود أبداً؟

أجاب كانسوكيه رافعاً صوته : كلا ، إطلاقاً . فإنك أيّها الأب حين تتلقّى النقود ، تكون دائماً أكثر أو أقل مما يكفي للقيام بالإصلاحات .

ـ حقاً؟ هل تريد القول إن النقود تكون دائماً أكثر أو أقل لكي تأخذ راتبك؟

وأثناء حديثهم ، وصلوا إلى أعلى رابية مكسوة بأشجار الصنوبر ، حيث توجد ، متفرقة ، أربع أو خمس أشجار كرز جبليّ . وكانت عائلات من المزارعين قد اتّخذت مكانها كلّ تحت إحدى شجرات الكرز . وحيّا هؤلاء بودّ عائلة سوجيموتو ، لكنهم لم يعرضوا التخلّي عن مكانهم ، كما اعتادوا ذلك في الماضي .

تبادل كانسوكيه وشياكو بصوت منخفض أقوالاً فظّة في صدد

(١) القصديرية Estagnen هي وعاء أو قدر من القصدير (هـ . م).

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

العائلات الأخرى . وبناء لتعليمات ياكيشي ، فرش آل سوجيموتو حصرهم على قسم من المنحدر يستطيعون منه أن يشاهدوا الأزهار في مشهد بانورامي واسع . وجاء نحوهم مزارع من معارفهم ـ وهو رجل في زهاء الخمسين من العمر ، يلبس سترة ذات مربعات وربطة عنق وردية ـ ويحمل قارورة وكأساً ليقدم لهم شراب الساكي الخام لأيام الأعياد. وقبل كانسوكيه كأساً وشربها بابتهاج.

«لماذا يتصرف على هذا النحو؟ هكذا قالت ايتسوكو في دخيلتها» ، وهي تطلق لأفكارها العنان ، وتراقب كانسوكيه . «لو كنت مكانه ، لما قبلت» . لكن أفكارها لم يكن يحسب لها حساب . «ومع ذلك ، فإن كانسوكيه أخذ كأس الساكي ، بالرغم من الملاحظات اللاذعة التي تلفّظ بها قبل قليل . كان يمكن أن يُعذر لو أنه يحبّ حقاً الساكي الخام ، لكن الجميع يعلمون أنه لم يحبّه قط. إنه يتصرّف على هذا النحو لأنه يجد لذّة في شرب الساكي المقدّم من هذا الرجل الذي يجهل أنهم اغتابوه من وراء ظهره ، هذه البهجة الدنيئة والتعيسة . هذه البهجة المسيئة . هذه البهجة في الهزء الخفيّ ، المتستّر . إن بعض الأشخاص ليس لهم من هدف آخر . ويبدو أن الله يتسلى بصنع أشياء عبثيّة كهذه» .

حينئذ أخذت شياكو الكأس ، وذلك فقط لأن زوجها قد فعل ذلك.

ورفضت ايتسوكو ، وهذا ما أعطى الجميع سبباً إضافياً لوصفها بأنها امرأة غير امتثالية .

إن ترتيباً معيّناً للأشياء بدا أنه يقوم ، في ذلك اليوم ، داخل دائرة العائلة ، وهو ما أعجب ايتسوكو وسرّها . كانت راضية عن ياكيشي ، ذي المزاج الجيّد ، لكنه غير حسّاس ، وإلى جانبه ، هي

بالذات ، وهي مثله غير حسّاسة . ثم إنها مسرورة من سابورو ، الذي كان ضجراً لأنه ليس لديه من يتكلّم معه . وكانت راضية عن عناية أزاكو الأمومية بابنتها ، وحتى عن عداء كانسوكيه وزوجته ، المخبّأ تحت غطاء التسامح . كان هذا نظاماً للأشياء أوجدته ايتسوكو ، ولا أحد سواها .

انحنت نوبوكو فوق ايتسوكو، وفي يدها زهرة برية . وسألت :

ـ ما هذه الزهرة ، يا خالتي ايتسوكو؟

لم تكن ايتسوكو تعرف أيّ شيء عن هذه الزهرة ، فسألت سابورو .

ألقى سابورو نظرة على الزهرة ، وأعادها إلى ايتسوكو قائلاً :

ـ «هذه زهرة دوريّ القرية» .

ليس اسم الزهرة الغريب هو الذي أدهش ايتسوكو ، بل السرعة المذهلة لليد التي أعادتها إليها .

وكانت شياكو ، ذات السمع المرهف ، قد سمعت تبادل الأسئلة ، فقالت:

ـ هذا الفتى يبدو عليه أنه لا يعرف شيئاً ، في حين أنه يعرف كل شيء ، فليغنِّ لنا أغنية تانري ـ كيو[1] . وسوف تدهشون لما يعرفه .

تضرّج وجه سابورو بحمرة الخجل ، وخفض عينيه.

قالت شياكو وهي تمدّ يدها ببيضة مسلوقة : غنِّ ، أرجوك ، ولا تستسلم للخجل . انظر سوف أعطيك إياها ، غنِّ لنا .

---

(١) فرقة دينية شنتوية (هـ . م).

ألقى سابورو نظرة على البيضة التي كانت تمسكها شياكو بين أصابعها ، وكانت إحدى هذه الأصابع مزيّنة بخاتم ، يلمع فيه حجر رخيص الثمن . ومرّ ألق في عينيه السوداوين فقال :

ـ لا أريد بيضة . وسوف أغنّي .

ثم ابتسم ابتسامة اعتذار صغيرة .

ـ **لو أن العالم بأسره**، هكذا بدأت شياكو .

وتابع سابورو ، بهيئة جدية :

انتشر أمام عيني.

ثم أدار نظره نحو القرية المجاورة التي كانت تمتدّ تحتهم ، وبدأ بالغناء . وكانت القرية قائمة في واد صغير . وأثناء الحرب ، أقيمت فيها قاعدة جوية ، ومن هذا المكان البعيد ، كان الضباط يسيرون مسافة طويلة يومياً للذهاب والعمل في مطار **هوتاروغايكه** . وهناك ، كانت أشجار الكرز تنمو على طول جدول . وكانت ثمة أيضاً أشجار كرز في الملعب الصغير لمدرسة ابتدائية . وكان يرى هناك بعض الأولاد يتمرّنون على القضيب الحديدي المغروس في الرمل . وكانوا أشبه بكرات يدفعها الهواء .

وغنّى سابورو أغنية «صلاة تيرني» :

أتأمل العالم بأسره المنشور أمامي
عالم لا تدري فيه نفسي ما يحدث
لعدم وجود من يعلّمها
لا أحد يعرف شيئاً ، ذلك هو المقدّر علينا
ولكن ها هو الله يظهر أمام عيوننا
ويعلّمنا جميعاً حتى أدنى الأشياء .

وعلّق ياكيشي بلهجة أستاذية قائلاً : هذه الصلاة كانت محظورة أثناء الحرب، فإن عبارة «أتأمل العالم بأسره المنشور أمام عيني، عالم لا تدري فيه نفس ما يحدث» تبدو أنها ، بصورة منطقية ، تشمل الامبراطور أيضاً ، بحيث منعتها الدائرة الإعلامية .

لم يحدث في ذلك اليوم شيء خاص.

وبعد ذلك بأسبوع ، حصل سابورو ، شأنه كل عام ، على ثلاثة أيام من العطلة . وهكذا استطاع الذهاب إلى تيرني للاشتراك في العيد الكبير يوم ٢٦ نيسان. وهناك وجد والدته وذهبا معاً إلى «المعبد الكبير» .

لم تكن ايتسوكو قد ذهبت بعد أبداً إلى تيرني . وكان ثمة معبدٌ بديع جرى تشييده بفضل هِباتِ المؤمنين في البلاد بأسرها ، وبفضل عملهم المنزّه عن الغرض والمسمّى «هينوكيشين» وفي وسط المعبد ، كانت «طاولة المنّ» ، وقد سمعت ايتسوكو رواية العديد من القصص حول هذه الطاولة التي سيسقط عليها المنّ ، في نهاية الأزمان . وبانتظار ذلك ، كانت رقاقات الثلج الراقصة في الريح ، تسقط على تلك الطاولة ، عبر السقف المفتوح مثل كوة .

«هينوكيشين»! كانت هذه الكلمة تذكر برائحة الخشب الجديد ، ورنين الإيمان الواضح ، والعمل المنجز في الفرح . وكان الشيوخ الذين لم يعد باستطاعتهم العمل يُحضرون ، بمثابة إسهام في العمل ، قليلاً من التراب الموضوع في منديل .

وقالت ايتسوكو في نفسها مختصرة أفكارها : «حسناً ، خلال هذه الأيام القصيرة لغياب سابورو ، كان الشعور الذي أحسست به حديداً تماماً عليّ . ومثل بستانيّ ، يروز في راحته ، بعد أعمال عناية

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

حريصة ، ثمرة درّاق رائعة ويحسّ لذلك بالبهجة ، فقد رزت في يدي وزن غيابه وسررت بذلك كثيراً . ومن الخطأ القول إنني أحسست بنفسي وحيدة خلال هذه الأيام الثلاثة . كان غيابه بالنسبة لي شيئاً جديداً ، ونديّاً . كان هو البهجة والفرح . وفي كل مكان بالمنزل ، كنت ألمس غيابه ، وفي الباحة ، والمشغل ، والمطبخ ، وفي غرفته» .

على النافذة الناتئة لحجرة سابورو ، كانت عدّة سريره منشورة في الهواء . وكان غطاء سريره المقلّم بالأزرق الغامق من القطن الناعم والخشن . واتجهت ايتسوكو نحو المبقلة ، وراء المنزل ، لقطف الملفوف لأجل وجبة العشاء . وكانت حجرة الشاب متّجهة للجنوب الغربي ، وكانت الشمس تنير كل زواياها ، حتى المأطورة الممزّقة في عمق الغرفة .

إن ايتسوكو لم تأت إلى هنا للنظر في الغرفة . بل كان قد اجتذبها العطر الخفيف الذي كان يطفو في الشمس الغاربة ، وهي رائحة مماثلة للرائحة التي تفوح من حيوان فتيّ ممدد على العشب الدافىء . وتوقّفت لحظة قرب غطاء السرير المقلّم الذي كانت رائحته هي شميم الجلد ولمعانه . وبدافع الفضول ، ضغطت بأصبعها على على الغطاء ، وكأنها تلمس شيئاً حيّاً . وأجابت ضغطها مرونةٌ دافئة في القطن الذي نفختـه الشمس . وابتعدت هابطة ببطء على السلم الحجري ، الغارق في ظل سنديانة ، واتجهت إلى المبقلة .

في ذلك المساء ، استعادت ايتسوكو الرقاد الذي كان يجافيها منذ زمن طويل .

٣

أصبحت أعشاش السنونو خاوية منذ عشية الأمس ، كما يبدو.

وكان لحجرة كانسوكيه وزوجته ، في الطبقة الثانية من المبنى ، نافذتان؛ إحداهما في الشرق ، والأخرى في الجنوب . وأثناء الصيف ، كان الزوجان يستمتعان عبر نافذة الجهة الشرقية ، بمراقبة طيور السنونو التي كانت تبني أعشاشها تحت طنف باحة الدخول.

جاءت ايتسوكو تعيد كتاباً كانت قد استعارته من كانسوكيه ، فقالت ملاحظة ، ويداها على حاجز النافذة :

ـ لقد رحلت السنونوات ، أليس كذلك؟

ـ بلى ، ولكن اليوم أصبحنا نستطيع أن نتميّز قصر أوزاكا . وفي الصيف ، تكون السماء ملأى بالضباب ، بحيث لا يمكن رؤية القصر.

كان كانسوكيه ممدداً ، يقرأ كتاباً . ووضعه جانباً ، وفتح النافذة الجنوبية على مصراعيها ، وسدد إصبعه نحو الأفق ، في الجنوب الشرقي .

حين كانوا ، من هنا ، ينظرون إلى القصر ، لم يكن في الإمكان رؤية أيّ جزء يستند بمتانة إلى الأرض . وكان يبدو وكأنه معلّق في الهواء . وحين يكون الطقس نيّراً وزاهياً ، كان يمكن للمرء أن يتصوّر أن شكلاً ما ، ربما كان روح القصر ، يبرز من الحجارة ، وينهض على رؤوس أصابع قدميه، للنظر بصورة دائرية ، من هذا الارتفاع . وفي نظر ايتسوكو ، كان برج قصر أوزاكا بمثابة جزيرة شبحيّة تخدع باستمرار عيون ضحايا غرق المراكب.

وفكرت قائلة في دخيلتها: «افترض أنه لا أحد يعيش فيه ، ولكن ماذا لو أن أحداً قد بقي في هذا البرج المليء بالغبار؟».

وقد توصّلت إلى الاستنتاج بأنه لا يوجد هناك أحد ، وأطلقت تنهُّدة ارتياح . يا لهذا التخيّل المزعج الذي لم يكن بوسعه منعها من القيام بافتراضات طائشة بالنسبة للوجود الممكن لكائن ما ، في برج رئيسي لقصر قديم وناءٍ! كان هذا خيالها الذي يزعزع باستمرار دعائم سعادتها : أن لا تفكر في شيء.

ـ في أيّ شيء تفكّرين ، يا ايتسوكو؟ أفي ريوسوكيه؟ أم أن . . . هكذا قال كانسوكيه ، وهو يجلس قرب النافذة الناتئة .

إن صوتها ، وإن كان مختلفاً تماماً ، كان يذكّر ، في تغيّرات مقامه ، بصوت ريوسوكيه ، وهذا ما أرغم ايتسوكو ، المندهشة ، على الإجابة بصراحة :

ـ كنت أتساءل ما إذا كان أحد يعيش في القصر.

أيقظت ضحكتها الصغيرة المخنوقة وقاحة كانسوكيه .

ـ أنت تحبّين الناس ، بعد كل حساب . أليس كذلك ، يا ايتسوكو؟ الناس ، الناس ، الناس . . . إن لك ذهنية طبيعية لا أستطيع

أن أدّعيها . إنك فقط بحاجة إلى أن تكوني صريحة قليلاً مع ذاتك . هذا هو تشخيصي . فإذا ما توصّلتِ أنتِ . . .

صعدت شياكو ، التي كانت قد ذهبت إلى المطبخ لغسل أواني الفطور المتأخر ـ صعدت على السلّم، حاملة صينية مغطاة بفوطة ، وكانت تتدلّى من إحدى أصابعها صرة صغيرة أسقطتها على ركبتي كانسوكيه قبل أن تضع الصينية على المائدة .

ـ ها هو ، أخيراً .

ـ أوه ! أهو الدواء الذي كنت أنتظره؟

فتح الصرّة وأخرج منها علبة تحمل عبارة «هيمرودس باودر» . وكان هذا دواء أميركياً ضدّ الربو ، تمكّن من تأمينه له صديق يعمل في إحدى الدور التجارية في أوزاكا . ولم يكن كانسوكيه يكف عن التذمر الساخط من صديقه ، معتقداً أن الدواء لن يصل أبداً .

اغتنمت ايتسوكو هذه الفرصة لكي تذهب ، لكن شياكو استبقتها محتجّة :

ـ إنك تذهبين فور عودتي . ويمكن أن نتساءل لماذا.

وفكرت ايتسوكو في دخيلتها : «أجل ، لو بقيت هنا ، لما كان هناك مجال للتساؤل عما سيحدث» .

ومثل جميع الذين يحسّون بالضجر ، كان لدى كانسوكيه وزوجته حسّ بالطيبة ، مَرَضيّ تقريباً . وكانت الغيبة ، وطيبة تفاخرية ـ وهما صفتان مميزتان لأهل الريف ـ قد سيطرتا ، بدون علمهما ، على كانسوكيه وشياكو ، وجعلتاهما يتبنّيان هذا التمويه لناس المجتمع : الانتقادات والنصائح .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

قال كانسوكيه : لا تكوني خبيثة ، يا شياكو . لقد كنت أعطيها نصيحة ، وهذا ما جعلها تركن إلى الفرار .

ـ دعها تبرّر ذاتها بذاتها . وأنا أيضاً لديّ نصيحة أقدّمها لها . وأودّ أن أظهر لها أنني إلى جانبها . وربما سأسمي هذا الأمر استفزازاً ، وهو غير بعيد عن ذلك ، في الحقيقة .

ـ حسناً ، امضي وافعلي ما يروق لك . ولا تتضايقي .

كان كانسوكيه وشياكو ما زالا يتلفّظان بأقوال المتزوّجين الجدد ، التي لا تعجب شخصاً ثالثاً . وكانت هذه المهزلة قد مُثّلت كل يوم وكل مساء أمام قاعة خالية من الحضور ، وكان يقوم بتمثيلها هذان الزوجان اللذان يعانيان الضجر في هذه الزاوية من الريف . وفي الواقع ، فكلاهما لم يكونا يتعبان أبداً من دورهما المدروس جيداً ، ومن مسرحيّتهما المهيّأة للنجاح ، ولا كانا يطرحان للبحث تبرير دوريهما . وهما سيمثّلان هذين الدورين حتى نهاية شيخوختهما ، ربما تحت عنوان «الترغلّتان» . أدارت ايتسوكو لهما ظهرها بحزم وتصميم ، ونزلت على السلم .

ـ هل أنت مضطرة حقاً للذهاب؟

ـ أجل ، علي أن أذهب لأنزّه «ماغي»، ولدى عودتي ، سآتي لرؤيتكم .

ـ إن لديك إرادة حديدية، قالت شياكو .

كان ذلك في صبيحة موسم كاسد في المزرعة ، وهادىء بمقدار ما يمكن أن تكون هادئة أيام خمود الطبيعة ، التي تسبق الحصاد . كان ياكيشي ، في حديقة أشجار الإجاص ، يبحث عن شيء يفعله . وقد

ذهبت أزاكو، مع ناتسيو على ظهرها، أو هو يركض إلى جانبها، إلى مركز التوزيع في القرية ، لتأخذ منتجات غذائية يجري توزيعها للأطفال. وكان نوبوكو يرافقها ، لأن ذلك اليوم كان يوم عطلة بمناسبة عيد اعتدال الخريف . وقد ذهبت ميو بهدوء ودعة ، ترتّب المنزل ، غرفة فغرفة . وأطلقت ايتسوكو سراح كلب الصيد ماغي ، الذي كان مربوطاً بشجرة ، قرب باب المطبخ .

فهل سوف تسلك طريق جادّة مينومو للقيام بدورة طويلة حتى القرية المجاورة؟ كان ياكيشي يقول إنه ، في عام ١٩٣٥ ، حين كان يسلك هذه الطريق في ساعة متأخرة من الليل ، تبعه ثعلب طوال الطريق حتى الشارع العام . لكن هذا سوف يستغرق ساعتين من الوقت . فهل ستذهب إلى المقبرة؟ إنها قريبة جداً .

أحست ايتسوكو بالكلب ماغي يشدّ زمامه ، فتركته يسير وفق مشيئته . ودخلا إلى بستان كستناء ، حيث كانت تغني صراصير الخريف . كانت بقع من الشمس متناثرة على الأرض .

وكانت نباتات فطر قد نبتت تحت الأوراق اليابسة . وكان ياكيشي يحتفظ بثمار الفطر هذه خصيصاً لايتسوكو وله شخصياً . وقد صفع ياكيشي نوبوكو لأنه قطف إحدى هذه الفطور في يوم من الأيام .

كان كل نهار من هذه الفترة الخاوية مشابهاً لعطلة إلزامية ، ويرهق ايتسوكو ، تماماً مثل فترة راحة مفروضة على مريض لا يحس برغبة فيها . وكان أرقها يزداد باستمرار . لم تكن الحياة تقدّم أي هدف في مثل هذه اللحظات . كان العيش في الحاضر فقط يجعل من كل يوم رتابة لا متناهية . ولو أنها راحت تفكر في الماضي ، فإن الألم الذي يذكّر به كان يفكك جميع الأشياء ، ويتلفها ويدمّرها . كان جوّ وقت الراحة هذا يخيّم على المنظر الطبيعي وعلى الفصل . لم يكن يمكن

لا يتسوكو أن يكون لديها إزاء أيام العطلة سوى شعور طالبة قديمة كفّت عن أن تكون لها عطلة . وأفضل من هـذا أيضاً ، ففي زمن ارتيـادها المدرسة ، كانت تبغض العطلة الصيفية . ولم تكن هذه بـالنسبة لهـا سـوى إلـزام وواجب مفـروض ؛ هـو واجب الـذهـاب والمجيء هي بذاتها ، وأن تفتح الباب هي ذاتها ، والركض وحـدها في الشمس . وبـالنسبة لهـذه التلميـذة التي لم يسبق لهـا أبـداً أن لبست مـلابسهـا بذاتها ، ولا انتعلت حذاءها بذاتها ، فإن واقع إلزامها بالذهاب كل يوم إلى المدرسة ، كان يعني الحرية الأكثر إمتاعاً . وهل هناك شيء أكثر فعالية من فترة الهدوء هذه في المزرعـة ، لكي تجعلك ضحية بـلادة شبيهة ببلادة الحياة في المدن؟

كان شيء ما يعذّب ايتسوكو . كان عطش يفترسها ، عطش شبيه بعطش السكّير ، الـذي خوفـاً من التقيؤ إذا احتسى حسوة أخـرى من الشراب ، يصبّ لنفسه كأساً أخرى ليشرب مجدداً .

كانت عناصر جميع هذه الأحاسيس موجودة حتى في الريح التي كـانت تهبّ عبر حـديقة الكستنـاء . ولم يعـد للريـح عنف الإعصـار الاستوائي المدمر (التيفون) . كانت تمسك هبوبها ، وتكتفي بإرعاش أوراق الشجـر بلطف فاتن للنسـاء وسحره . ومن دار المؤاكـر ، كـان يُسمع صوت قـطع الحطب . وبعـد شهر أو شهـرين ، سيبدأ إحـراق الخشب لصنع الفحم . وعلى تخوم الغابة الصغيـرة ، أقيمت مفحمة صغيرة ، حيث كان أوكورا يقوم بإعداد الوقود لأسرة سوجيموتو.

كان ماغي ، كلب الصيد ، يجر ايتسوكو إلى جميع الجهات في الغابة الصغيـرة الحافلة بـالأشجار ، وكـان ذلك يـرغم ايتسوكـو على التخلّي عن مشيتها الكسول لامرأة حامل . وكانت ، كما هي العادة ، تلبس الكيمونو ، وكانت ترفع طرفه الأسفل ، لكي لا تمزّقـه أوراق

أرومات الشجر.

كان الكلب منهمكاً في اقتفاء أثر مـا . وكان يمكن رؤيـة جنبيه يـرتفعات حين يتنفّس . وكـانت الأرض مـرتفعـة بعض الشيء ، في مـوضـع معين . وحسبت ايتسـوكـو أن خلداً يختبىء تحت هـذه التلّة الصغيرة ، فراحت تتفحصها في الوقت نفسـه مع الكلب . ثم شمّت رائحة عرق خفيفة جداً . كان سابورو يقف هناك . فوثب الكلب عليه ولحس وجهه .

كان سابورو يمسك بإحدى يديه المعول الموضوع على كتفه ، ويحاول ضاحكاً صدّ الكلب . لكن الحيوان استمرّ يقفز عليه ، فاضطر سابورو لأن يصيح :

ـ سيدتي ، إن سمحتِ ، أرجوكِ أن تسحبيه إلى الوراء .

خرجت ايتسوكو من شرودها وشدّت الزمام .

كانت قد قضت بضعة اللحظات هذه وهي تنظر إلى المعول على كتف سـابورو يتحـرّك في الهواء ، في حين كـان جسمه ينتفض بقـوة لإبعاد الكلب . كانت تلك حركة راقصة وكانت الشمس المتسرّبة عبر أوراق الشجـر ، تتلألأ على شفـرة المعول الـزرقـاء المغـطى نصفهـا بالوحل . وقالت في دخيلتها: «حذارِ! ماذا لو أن هذه الشفرة سقطت علي؟» .

كانت ، وهي تعي الخطر بوضوح ، تحسّ بأنها منفرجة بصورة غريبة . ولبثت ساكنة بلا حراك .

سألته : ـ أين تعمل؟

ونظراً لأنها لم تكن تتحرّك ألبتة، فقد امتنع عن التقدّم . ولو عادا

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

معاً وهما يثرثران فإن شياكو ستراهما من نافذة الطبقة الثانية من البناية . ولو تابعت طريقها ، فسيكون على سابورو أن يسلك الطريق المعاكسة . وهذا الحساب السريع حمل ايتسوكو على البقاء حيث كانت لمتابعة الحديث .

ـ أعمل في حقل الباذنجان يا سيدتي . وقد اعتقدت أن من الأفضل نكش المواضع التي قطفنا منها تلك الخضار .

ـ ألا تستطيع أن تفعل هذا في الربيع؟

ـ بلى ، ولكن ليس لدي ما أفعله في هذا الوقت .

ـ وأنت لا تستطيع أن تبقى بدون أن تفعل أيّ شيء؟ أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح .

تأمّلت ايتسوكو مطولاً عنق سابورو النحيف والمبرنز . كانت تجدها لطيفةً هذه الطاقة التي تجعل من المستحيل عليه أن يترك المعول . وإضافة إلى ذلك ، فقد أدهشها واقع أن هذا الشابّ ، الفاقد الحساسية ، مثلها ، كان يحسّ بالضجر أثناء الفترة الخاوية .

ثم ألقت نظرة على الوقاء القماشي الممزق الذي كان يلبسه على قدميه العاريتين .

استسلمت ايتسوكو لأفكارها :

«لو أن الناس الذين يغتابونني عرفوا كم من الوقت قضيت وأنا مترددة في إعطائه الجوارب القصيرة الجديدة ، فأنا أتساءل ماذا سيكون رأيهم . إن أهل القرية يعتبرونني امرأة ساقطة . لكنهم يقومون ، بأكبر هدوء ، بأشياء أسوأ ، لماذا لا أستطيع أن أفعل وأتصرّف؟ إنني لا

أطلب أي شيء . إنني أتمنى لو أن العالم بأسره قد تغيّر ، في صباح أحد الأيام ، وأنا مغمضة عينيّ . لقد حان الوقت تماماً لكي يأتي ذلك الصباح ، ذلك الصباح النقيّ . وهذا الصباح لن يكون ملكاً لأحد ، ولن يجيب على توسّل أيّ كان . إنني أحلم بلحظة ، تخون أعمالي ، فيها ، دون أن أطلب ذلك ، وكلياً ، هذا الجزء من ذاتي الذي لا يطلب أي شيء ، أعمالي الصغيرة ، أعمالي غير الملحوظة . .

«أجل ، ففي مساء أمس ، نشأ لدي شعور بأن مجرد التفكير بإعطاء سابورو زوجي الجوارب القصيرة الجديدين ، سيكون عوناً كافياً . والآن ، ما عدت متأكدة من ذلك . فإذا أعطيتهما له ، فماذا سيحدث؟ سوف يبتسم قليلاً ، ويهزأ قليلاً ، وسيقول: «شكراً» ثم سيدير ظهره ليبتعد ، وأستطيع أن أرى ذلك منذ الآن .

وما أشد الحزن الذي سوف يسود!

«من يستطيع أن يعرف خلال كم شهر تعذّبت في وزن هذا الخيار الصعب: منذ عيد الربيع في «تيرني»، لدى نهاية شهر نيسان ثم أيار ثم حزيران ـ هي فصل الأمطار الطويل ـ وتموز وآب . وفيها صيف قاحل ومحرق ـ ثم أيلول ـ وأنا أتمنى أن أعيش مرة أخرى التأكيد المرعب الذي عرفته لدى وفاة زوجي . وستكون تلك هي السعادة» .

واتخذت أفكار ايتسوكو سياقاً آخر .

«ومع ذلك فأنا سعيدة . ولا يحقّ لأحد أن يقول إنني في هذه اللحظة غير سعيدة» .

وببطء ، وبشكل رصين ، سحبت من كمّها زوجي الجوارب

القصيرة والجميلة.

ـ انظر! هذه هديّة . لقد اشتريت لك هذه الجوارب أمس ، في هانكيو .

نظر سابورو إلى ايتسوكو وهو يواجهها بصراحة ، وبهيئة متسائلة (هذا على الأقل هو تفسير ايتسوكو) .

ولكن لم يكن في هذه النظرة شيء سوى أكثر الأسئلة براءة . ولم يكن في هذا السؤال أدنى تشكّك. لكن سابور لم يكن يفهم لماذا ستعطيه هذه المرأة الأكبر منه سناً والبعيدة دائما عنه ، لماذا ستعطيه ، بلا سبب ولا داع ، جوارب جديدة وأنيقة؟ ثم تبيّن له أنه سيكون بلا تهذيب بالنسبة لهُ أن يظل صامتاً كلّ هذا الوقت . ابتسم ، وبعد أن مسح يديه الموحلتين ببنطاله ، وتناول الجوارب القصيرة ، قال: ـ شكراً جزيلاً .

ثم ضمّ عقبيه ، وحيّاها . كان يحيّي دائماً بهذا الشكل.

قالت ايتسوكو : ـ لا تقل لأحد إنني أنا التي أعطيتك إياها.

ـ حسناً ، يا سيدتي.

ثم ، بلا اهتمام زائد ، دسّ الجوارب الجديدة في جيبه ومضى.

كان هذا كل شيء . ولم يكن يحدث أيّ شيء.

هل كان هذا كلّ ما كان قد بقي مما انتظرته ايتسوكو ، وأملت فيه ، منذ عشية أمس؟ كلا ، بالتأكيد . وبالنسبة لها ، فإن هذا الحادث الصغير كان قد أُعِدَّ بعناية كما يجري إعداد احتفال كبير ، وابتداء من هذا الحادث الصغير كان يحدث في دخيلتها تحوّل

كبير . كانت غيوم تمرّ . وأظلم السهل حينئذ ، واتخذ المنظر الطبيعيّ مظهراً آخر تماماً . وفي الحياة أيضاً ، يمكن أن يحدث مثل هذا التغيّر . إن تعديلاً صغيراً في كيفية الرؤية يمكنه أن يحقّق ذلك التغير ، ويجعل الحياة مختلفة كلياً.

كان لدى ايتسوكو ما يكفي من الاعتزاز ليمنعها من الاعتقاد بأن هذا التغير سيحدث تلقائياً ، هذا التغير الذي لن يتحقق إلّا حين تبلغ رؤية الكائنات البشرية حدّتها عند الخنازير البرية . ولم تكن تريد التسليم بأنه ما دام لدينا عيون بشرية وحسب ، فلا أهمية لكون كيفية الرؤية عندنا يمكن أن تتغيّر ، بما أننا في خاتمة المطاف سنصل إلى الاستنتاج ذاته .

إن باقي ذلك اليوم أصبح فجأة شديد الحيوية . وكان يوماً عجيباً والحق يقال.

اجتازت ايتسوكو غابة الكستناء للنزول نحو منحدر الجدول المعشب. وقرب ذلك المنحدر كان يوجد الجسر الخشبي المؤدي إلى ملك آل سوجيموتو . وكان دغل من الخيزران يحدّ الضفة المقابلة . وكان هذا الجدول يصب في المجرى المتاخم لـ «الحرم المقدس» ، ثم يغير اتجاهه فجأة ويسيل نحو الشمال الغربي ، حيث تمتد مزارع الأرز .

نظر ماغي إلى مياه الجدول وراح ينبح بعض الأولاد الذين كانوا يتخبّطون في الماء ويصطادون أسماك الشبوط . وراح الأولاد يسخرون من الكلب المسنّ وصاحوا موجهين الكلام إلى صاحبته ، التي لم يكونوا قد رأوها بعد ، لكنها ، كما توقعوا ، كانت تمسك بزمام الكلب ، وكانوا يردّدون في كلامهم العبارات المهينة نفسها للأرملة الشابة . وحين ظهرت ايتسوكو على منحدر الجدول ، تسلّق الأولاد المنحدر المقابل ، وحركوا بحمية شديدة سلالهم الخاصة بصيد

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

السمك وفرّوا عبر دغلة الخيزران المشمسة ، وكانت سيقان الخيزران المنخفضة ما زالت تتراقص ، وكأن الأولاد كانوا مختبئين فيها .

رنّ جرس درّاجة من وراء الدغل ، وسرعان ما ظهر ساعي البريد على الجسر . وهذا الرجل ، البالغ الخامسة والأربعين من العمر ، كان يستاء منه الناس ، بسبب عادته في التسوّل .

سارت ايتسوكو حتى الجسر وأخذت البرقية التي مدّها لها الساعي ، طالباً منها توقيعاً إذا لم يكن لديها ختم (كان هذا الاستعمال الانجليزي قد وصل إلى الريف) . وجعل ساعي البريد يحدّق في قلم الحبر ذي الأكر الذي أخرجته ايتسوكو لتوقّع به .

ـ ما هذه المسكة والريشة؟

ـ هذا قلم حبر ذو أكر . وهو ليس مكلفاً جداً .

ـ ما أغرب شكله! هل أستطيع النظر إليه؟

وقد أهدته إياه بلا أسف ، لأن إعجابه بدا عظيماً جداً . وصعدت السلّم الحجري ومعها البرقية الموجهة إلى ياكيشي . كان في الأمر ما يلهي ويسلّي : يا للصعوبة التي اضطرت لتذليلها لأجل إعطاء سابورو زوجي الجوارب الجديدة والجميلة ، وبأية سهولة أعطت ساعي البريد المزعج هذا قلم حبر ذا أكر ! وفكرت في دخيلتها قائلة : «تلك هي الأمور . إذا كنا لا نحب ، يكون من السهل التفاهم مع الناس . إذا كنا لا نحبّ» .

كان آل سوجيموتو قد باعوا هاتفهم ، في الوقت نفسه مع بيعهم البيانو من طراز بيشستاين . وكانوا حالياً يستخدمون التلغراف بدلاً من الهاتف ، وحتى الأمور غير المستعجلة كانت ترسل إليهم على هذا النحو ، أي بواسطة التلغراف ، من أوزاكا ، وهكذا لم يكونوا يجدون

البرقيات غريبة الشكل ، حتى لدى وصولها في منتصف الليل .

حين فتح ياكيشي البرقية ، تألّق وجهه وأنار . كان مرسل البرقية هو كايزاكو مياهارا ، وزير الدولة . وكان هو الصديق القديم لياكيشي ورفيقه في المدرسة . وقد حلّ محل ياكيشي في رئاسة شركة البواخر التجارية ، وبعد الحرب ، انطلق في السياسة . وكان ذاهباً نحو منطقة كيوشو ، حيث سيقوم بجولة دعاية مهيأة للانتخابات المقبلة . وكان لديه نصف نهار من وقت الفراغ وسوف يتوقف لمدة ثلاثين أو أربعين دقيقة للثرثرة مع ياكيشي . وكان الشيء الأكثر إثارة للدهشة هو أن هذه الزيارة تصادف هذا اليوم بالذات ، أي يوم استلم ياكيشي البرقية .

وكان عند ياكيشي حينئذ زائر ، وهو موظف في تعاونية زراعية . ومع أن الجوّ كان لا يزال دافئاً جداً ، فقد كان ذلك الرجل يقوم بجولة تفتيشية مرتدياً سترة ملقاة بإهمال على كتفيه ، مثل مئزر الحمّام . وكانت رابطة الشبان قد اشتكت من كون الفساد سائداً بين القادة المسؤولين ، والحكام ، وقد جرت الانتخابات في هذا الصيف . وهذا الموظف الجديد ، الذي جرى انتخابه في مجلس الإدارة ، كان يقضي وقته في زيارة الملاّكين القدامى ليسألهم رأيهم . وكانت هذه المنطقة حصن حزب المحافظين ، وكان الموظف المذكور يعتقد أن هذه الطريقة الحديثة هي أفضل حلّ .

ورأى أن وجه ياكيشي قد تألق لدى قراءته البرقية فسأله عن الخبر الجيّد الذي تلقّاه . تردّد ياكيشي ، وكأنه يملك سرّاً سعيداً لا يريد الكشف عنه فوراً . لكنه لم يكن يستطيع الاحتفاظ به لنفسه . إن السيطرة المفرطة على الذات هي أمر سيّء بالنسبة لرجل مسنّ .

ـ إنها برقية من مياهارا ، وزير الدولة . وقد قرّر المجيء لقضاء فترة من الوقت معي . ونظراً لأنها زيارة شبه رسمية ، فسأكون شاكراً

لك لو أنك لم تقل شيئاً عنها لأهل القرية . إنه يريد قضاء وقت فراغ وتسلية ، ولا أريد إزعاجه . إن مياهارا هو رفيق قديم في «المدرسة العليا» ، وقد دخل إلى «شركة السفن التجارية» بعدي بعامين .

كان منظر الأريكة وكراسي الصالون الأحد عشر ، غير المستعملة منذ زمن طويل ، يذكّر بأشخاص تعبوا من الانتظار . وفوق وقائها الأبيض ، المخاط من قماش القنّب كان يحوم جو من الجفاف والتيبُّس لا علاج له . ومع ذلك ، ففي هذا الصالون ، كانت ايتسوكو تشعر بإحساس مطمئن . وحين يكون النهار مشمساً ، كان يعود إليها أن تفتح نوافذ هذه الحجرة في الساعة التاسعة صباحاً . وكانت النوافذ تسمح حينئذ بمرور الشمس الصباحية . وفي هذا الفصل ، كانت الأشعة تبلغ بالكاد خدّي التمثال النصفي البرونزي لياكيشي .

وفي صباح أحد الأيام ، بعد وقت قليل من وصولها إلى «مايدن» دهشت ايتسوكو لرؤية طائفة من الفراشات ، كانت تحطّ على باقة من أزهار الخردل الموضوعة في إناء ، ثم طارت عبر النافذة المفتوحة ، وكأنها كانت تنتظر هذه اللحظة .

وبمساعدة من ميو ، رتبت ايتسوكو الحجرة ، وكانت كل منهما تعمل بنشاط بخرقة قماش وبمنفضة ريش . وقد أزالت الغبار أيضاً عن الواجهة الزجاجيّة التي كانت تحتوي على طائر فردوس معبّر . ولكن لم يكن في وسعهما إزالة رائحة العفونة المشبعة بها قطع الأثاث .

قالت ايتسوكو ، وهي تنظف التمثال النصفيّ البرونزي وتنظر حولها : آه لو كنّا نستطيع إزالة رائحة العفونة !

لم تجب ميو . وهذه الفلاحة ، التي كان يبدو أنها تنام نصف

نوم ، كانت تقف على كرسيّ ، وتقوم بتنظيف اللافتة الحاملة عبارة معينة ، مكتوبة بخطّ جميل بواسطة ريشة رسام ، ومؤطّرة .

ـ يا لها من رائحة فظيعة ! هكذا قالت ايتسوكو مجدداً ، وكأنها تحدّث نفسها .

أدارت ميو رأسها نحوها وقالت :

ـ أجل ، إنها رائحة فظيعة حقاً .

غضبت ايتسوكو . ونظراً لأن غضبها كان يتصاعد ، فقد كانت تفكر في الثقل الفلاحي الرابط الجأش ، البارد الأعصاب ، الذي كان يتصف به سابورو وميو . ولكن في حين كانت رابطة جأش سابورو تريحها ، كانت برودة أعصاب ميو تثير غضبها . وكانت ميو وسابورو يتشابهان أكثر بكثير من شبهها هي مع سابورو ، ومن هنا كان مصدر غضبها الشديد .

وجرّبت ايتسوكو الجلوس على الأريكة التي سيقدمها ياكيشي بصورة ودّية هذا المساء للوزير . واتخذ وجهها حينئذ تعبير شابّة مشبعاً بالتعاطف الخاصّ برجل منهمك جداً وهو يتفحّص صالون صديق قديم له نسيه المجتمع . إن الوزير ، كما يبدو ، سوف يقتطع عدة دقائق من يومه ، الذي كانت كل دقيقة وكل ثانية منه مطروحة بالمزاد العلني إذا صحّ التعبير ، لكي يقدّم لمضيفه على نحو احتفالي هذه الهدية الوحيدة .

«كل شيء جيّد على هذا النحو . ولا يستحق الأمر القيام باستعدادات» . هكذا قال ياكيشي لايتسوكو مع تعبير بهيج على وجهه الخشن .

بل إن زيارة هذا الموظف الكبير كان يمكن أن تقدَّم إلى ياكيشي

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

نوعاً من الانبعاث غير المنتظر . «حسناً ، سيقول له الوزير ، لماذا لا تعود إلى الخدمة في الوظيفة العامّة؟ إن زمن الجهلة من محدثي النعمة لفترة ما بعد الحرب قد تولّى ، وقد كفّ هؤلاء عن الفساد في الأرض . وفي السياسة وفي الأعمال ، تجري العودة الآن إلى سَلَف السابقين العظماء الأغنياء بالتجربة والخبرة» .

حين سيسمع ياكيشي هذه الأقوال ، فإن سخريته ، تحت ستار التواضع ، سوف تنطلق وتلتمع بكامل ألقها .

«لقد انتهيت . إن الشخص العجوز الذي أصبحته أنا ، لم يعد صالحاً لأي شيء . ربما كنت أستطيع أن أقلّد مزارعاً ، لكن الأشخاص الشيوخ لا ينبغي لهم أن يأخذوا حمامات باردة، كما يقال . إنني لم أعد صالحاً إلا للتسلّي بواسطة النباتات في الأصص . لكنني لا آسف على شيء . فإنني راضٍ عن عيشتي هكذا . ولست أدري ما إذا كان عليّ أن أقول ذلك أمامك ، لكنني أعتقد أن من الخطر في زمننا التمسّك بالبقاء في المرتبة الأولى . ويمكن للعالم أن ينقلب بين لحظة وأخرى . إنه عالم مصطنع . والسلام مصطنع . وكذلك فالحرب مصطنعة والازدهار مصطنع . وفي هذا العالم المصطنع ، يعيش حشد من الناس ويموتون .

«بالطبع ، إن جميع الناس يعيشون ويموتون . وهذا تحصيل حاصل . ولكن في هذا العالم المصطنع ، لا يوجد شيء يستحق أن يضحي المرء حياته من أجله . ومع ذلك ، فإن رجلاً مثلي لا يستطيع أن يعمل بدون أن يضحّي بنفسه ، كلا ، لست أنا الوحيد في ذلك . وفي الواقع ، حسب رأيي ، لا يستطيع أحد أن ينجز مهمته بدون تضحية بنفسه . ولكن لا يوجد اليوم سوى شخصيات كئيبة تتصرف وكأنها ليس لديها مهمة أو عمل جدير بالتضحية . هكذا يظهر لي

العالم الراهن . والأمر ليس مفرحاً ولا بهيجاً . لكنني رجل عجوز لم يعد لديه زمن طويل يعيشه .

«ولكن لا تنفعل أكثر مما ينبغي . وخذ كلّ هذا مثل آراء لا نفع فيها . وإنني شخص فانٍ لم يعد صالحاً لشيء» .

إن الشعور الذي سيولده ياكيشي في ذهن الوزير يمكن تصنيفه تحت هذه التسمية : «تقاعد هادىء» ، وهي بطاقة فاتنة ومغرية ستبعده ، أي ياكيشي ، عن الشهرة والثروة . وأية فائدة سيجني ياكيشي منها؟ إن هذا سيعطي تقاعده قيمة اجتماعية وسيغذّي عنده تقديراً مفرطاً للدفيئات التي كان يخفيها هذا النسر المسنّ فاقد الأوهام ، والتي كانت أكثر حدة منها في أيّ وقت مضى .

في الصباح ، أشرب ندى المنغوليا، وفي المساء ، أقبل كل بتلات الأقحوان المتساقطة .

كان هذا هو الشعر المفضّل الذي يحبّ ياكيشي أن يستشهد به ، وهو مأخوذ من الشاعر الكلاسيكي الصيني لي ساو ، والمسطور بخط جميل بريشة الشاعر ذاته ، ومؤطّر ومعلق على جدار الصالون . وبالنسبة إلى حديث النعمة ، فإن القيام بمثل هذه التسلية كان إنجازاً كبيراً . وبما أن غرابة أطوار واحدة قد كفت لتنمية ذوقه نحو التسليات ، فإن هذا الميل لدى مزارع إلى النقل بالخطّ الجميل ، قد وضع حداً ، بشكل بديهي تماماً ، لمطامح ياكيشي . لكن الناس ذوي الأرومة الطيبة نادراً ما يروق لهم هذا الذوق الرفيع .

انهمك الجميع في المنزل حتى ساعة متقدّمة من فترة بعد الظهر . وكان ياكيشي لا ينفك يردّد أنه ليس من الضروري القيام باستقبال باذخ ، وخارق . ولكن كان الجميع يفهمون أنه سيضجر إذاً

أخذوا الأمر بشكل حرفيّ . كان كانسوكيه وحده يرود الطبقة الثانية من المبنى ، متهرباً من أيّ عمل . وكانت ايتسوكو وشياكو ترتّبان ببراعة قطع الحلوى بالأرز بمناسبة عيد اعتدال الخريف ، في علب مبرنقة . وقد قامتا أيضاً بإعداد مآكل في حالة بقي الوزير لتناول الغداء ، مع إعدادهما أيضاً وجبة لأمين سرّ الوزير وسائقه .

وأرسلت المزارعة لذبح دجاجة . وحين اتجهت نحو خمّ الدجاج ، تراكض أولاد أزاكو لحضور الذبيحة .

ـ هيّا ، تعالوا إلى هنا . ألم أمنعكم دائماً من النظر إلى ذبح الدجاجة؟ هكذا صاحت أمّهم من المنزل.

لم تكن أزاكو تعرف الخياطة ولا الطبخ ، لكنها كانت تظنّ أنها قادرة على تربية أولادها على تقاليد البورجوازية الصغيرة . وهكذا فقد استشاطت غضباً حين أحضر ولدها نابوكو كتاباً للصور المتحركة مستعاراً من ابنة آل أوكورا . وقد أخذت منه أمه الكتاب ، وأعطته بدلاً عنه كتاباً مصوراً لأجل دراسة اللغة الإنجليزية، ولكي ينتقم نابوكو من والدته ، لطّخ بالدهان الأزرق وجه ملكة بريطانيا.

وحين كانت ايتسوكو تُخرج من صوان السفرة الصينيات المبرنقة وتنظّفها واحدة فواحدة ، كانت ترتعش خوفاً بانتظار صيحات الدجاجة المضحّى بها . وقد نفخت بخار تنفّسها على زاوية الصينية التي كانت تمسك بها ، ثم نظفتها . واتخذ البرنيق المعنبر صبغة غامقة أكثر ، ثم صفت وعكست وجه ايتسوكو. وهي ، مع متابعتها العمل ، كانت تتخيّل المشهد الذي كان يجري في العنبر ، أي ذبح الدجاجة .

كان العنبر غير بعيد عن المطبخ . وقد دخلت إليه الفلاحة المقوّسة الساقين ، ممسكة بدجاجة . وكان داخل العنبر مضاءً بنور

فترة بعد الظهر ، وكانت الزوايا المعتمة تبدو أكثر عتمة أيضاً . وكانت انعكاسات معدنية تجعل الناظر يخمن تخميناً ، الأبعاد المطموسة للرفوش والمعازق المسندة لقاء جدار العمق . وكان مصراعان أو ثلاثة مصاريع لأبواب محطمة موضوعة هي أيضاً مقابل الجدار . وكان ثمة أيضاً ظهرية[1] لنقل التراب ، وجهاز رشّ لأجل نثر سلفات النحاس على أشجار الكاشي ، المعروفة باسم مشمش اليابان.

جلست المرأة في أريكة صغيرة ، عرجاء ، وقطعت بالمقص جناحي الطائر الذي كان يتخبّط بين ساقيها ذواتي العقد.

وحينئذ رأت الولدين ، اللذين كانا يتابعان بانتباه ، من على باب العنبر ، كل حركة من حركاتها.

ـ يا للأولاد الشنعاء! ويا آنستي الصغيرة ، سوف تؤنّبك أمك! هيا، انصرفوا من هنا! ليس هذا مشهداً للأولاد.

قوقأت الدجاجة عدّة مرات. وفي خم الدجاج ، سمعت مثيلاتها صوتها ، فراحت تقوقىء هي أيضاً.

كانت نوبوكو ، والصغير ناتسيو ، الذي يمسك بيد أخته ، وعيونهما اللامعة في الظلام ، وهما يحبسان أنفاسهما ، وينظران إلى الفلاحة المنحنية على الطائر الذي كان يتخبط ويتلوّى ليحرّر جناحيه . ثم مدّت يدها بهدوء نحو عنق الدجاجة .

وبعد لحظة ، سمعت ايتسوكو صيحات الضحيّة النفّاذة ، وهي صيحات مفعمة بالألم والرعب.

كانت الساعة قد بلغت أربعاً بالضبط، ولم يكن الوزير قد وصل

(١) الظهرية Hotte سل يحمل على الظهر (هـ . م).

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

بعد . وقد نجح باكيشي في إخفاء غيظه والتصرّف كما لو أنه ليس متعباً من الانتظار . ونظراً لأن العتمة كانت تتكثّف تحت أشجار القيقب في الحديقة ، فقد كف عن إخفاء نفاد صبره . وراح يدخّن في غضب ، وفجأة ، اتجه نحو بستان الفواكه للعناية بأشجار الإجاص خاصّته .

حاولت ايتسوكو أن تساعده ، بذهابها نحو الموضع حيث ينتهي الشارع عند حاجز المقبرة الحديدي ، لرصد ظهور سيارة ليموزنية كبيرة تتجّه نحو منزل آل سوجيموتو . واستندت إلى الجسر تنظر إلى بعيد حتى الموضع الذي تنعطف عنده الطريق بلطف . ولما كان بصرها ينطلق إلى أبعد من ذلك ، لبلوغ النقطة حيث الشارع لم يكن مبلطاً ولا معبّداً ، وهو ، في الواقع غير ناجز ، وكانت تتأمل منحنياته حتى أبعد ما يمكن للشخص أن يراه (كانت الطريق تجتاز حقول أرز مزدهرة ، جاهزة تقريباً لجني محصولها ، وحقول ذرة صفراء ذوات صفوف مستقيمة ، وغابات صغيرة من الأشجار النامية فوق غدران صغيرة ، وخط هانكيو المكهرب ، وطرقات قروية ، وجداول) أحسّت ايتسوكو بأنها مأخوذة في دوار . وكان تصوّر أن سيارة ركاب كبيرة تستطيع اجتياز هذه الطريق والوصول إليها يبدو لها أكثر من حلم ؛ إن هذا يتاخم المعجزة . وقال لها أولاد سألتهم ، إن سيارتين أو ثلاث سيارات قد توقّفت هنا حوالي الظهر ، ولكنها اختفت بعد ذلك .

وفكرت ايتسوكو في دخيلتها : «بالطبع ، إنه اليوم عيد اعتدال الخريف. ولكن ماذا فعلنا نحن؟ جميع قطع الحلوى هذه التي أعددناها منذ صباح اليوم ، وصففناها في علب ، ثم وضعناها في صوان غرفة الطعام فهي لا يستطيع الأولاد اكتشافها وإتلافها ! كنّا منشغلين جداً بحيث أن أحداً منا لم يتذكّرها . لقد صليت مرة أمام مذبح الأسلاف . لكننا لم نفعل سوى إحراق البخور كما كنا نفعل كلّ يوم . وقد قضينا كل وقتنا في تغذيب أنفسنا بصدد وصول أشخاص

أحياء ، ونسينا كلياً الموتى» .

وشاهدت ايتسوكو عائلة تخرج بصورة صاخبة من حرم «هاتوري» المهدّس . وكانت تلك عائلة عادية : زوجان متوسطا السنّ ، وأربعة أولاد ، منهم فتاة صبيّة في زيّ طالبة . كان الأولاد يبتعدون باستمرار عن الجماعة ، ويتخلّفون أو يتقدّمون. ولاحظت ايتسوكو أن الأولاد كانوا يلعبون لعبة : كانوا يقبضون على جراد في مستديرة معشبة . وكان الفائز هو الذي يقبض على أكبر عدد من الجراد دون أن يطأ العشب ، وكان المغيب يهبط على مرجة العشب الدائرية . وعبر المدخل ، كانت القبور ، وكذلك الأشجار وحواجز العوسج والعليق الكثيفة ، تمتلىء بالعتمة شيئاً فشيئاً . وكان قسم المقبرة القائم على أبعد منحدر هو فقط المضاء بالشمس الغاربة . هناك ، كانت تلمع حجارة الأضرحة والأدغال الدائمة الخضرة . وكان المنحدر أشبه بوجه إنسان يغمره ضوء هادىء .

كانت ايتسوكو تراقب بازدراء هذين الشخصين المتوسطي السنّ ، اللذين كانا يثرثران ويبتسمان أثناء سيرهما ، ناسيين الأولاد . وحسب مفاهيم ايتسوكو الوجدانية ، كان الأزواج دائماً عديمي الإخلاص والنساء يعانين الآلام باستمرار بسببْ ذلك . وقد انتهى الأمر بالأزواج الناضجي السنّ إلى التوقّف عن الكلام ، وذلك سواء لأن أحدهما قد تعب من الآخر ، وإمّا عن بغضاء متبادلة . ولكن كان يبدو مع ذلك أن هذا الرجل ، الذي يلبس «بلازر» مقلماً ، وبنطالاً غير مطرز وزوجته بذلة زرقاء بلون زهر الخزامى ، حاملة كيس مآكل تبرز منه زجاجة ترموس ، كانا خارجين تماماً عن مفهوم ايتسوكو الوجداني والعاطفي . وكان يبدو أنهما ينتميان إلى ذلك النوع من الأشخاص الذين يخصّصون مغامرات عالمنا للخوض في مواضيع الحديث بعد العشاء ، ثم ينسونها كلياً.

وحين وصلا إلى الجسر ، ناديا أولادهما ، متطلّعين في قلق نحو كل جانب من الطريق الخالية تماماً . وفي النهاية ، اقترب الرجل من ايتسوكو ، وسألها بتهذيب : «هل تستطيعين أن تقولي لنا أين يجب أن ننعطف للوصول إلى محطة أوكاماشي من خط سكة حديد هانكيو؟» .

وحين كانت ايتسوكو تدلّهما على درب «القادومية» عبر حقول الأرز ومباني البلدية ، دهش الزوجان من نبرة كلامها النقية جداً، نبرة الحيّ الأنيق في طوكيو . وبعد قليل ، تجمع الأولاد الأربعة ، وعيونهم مرفوعة نحو ايتسوكو . ومدّ غلامٌ تناهز سنة سبعة أعوام قبضته المطبقة أمامها بهدوء ، ثم أبعد أصابعه قليلاً وقال : «انظري!» .

وفي القفص الذي كانت تشكله أصابع الولد ، كانت تلاحظ جرادة ذات لون أخضر فاتح ، وهي تمد قوائمها ثم تقلّصها .

وضربت البنت الكبرى ، ممرّرة يدها تحت يد الغلام ، يد شقيقها ببراعة . ففتح آلياً أصابعه ، وطارت الجرادة ، بعد أن قفزت قفزتين على الأرض وغاصت في دغلة العوسج والعليق المحيطة بالطريق .

ونتج عن ذلك شجار بين الولدين ، قام الأبوان بتهدئته ضاحكين . وحيّا الجميع ايتسوكو باحترام ، واستأنفوا السير فوصلوا إلى الطريق المعشبة بين حقول الأرز .

تساءلت ايتسوكو فجأة ما إذا كانت قد وصلت السيارة الليموزين[1] التي كان ينتظرها آل سوجيموتو منذ زمن طويل . استدارت ايتسوكو ، وتفرّست مجدداً في الشارع العام ، بقدر ما

(١) سيارة خاصة بستة ركاب . (هـ . م).

تستطيعه من بعد ، ولكن لم تكن قد ظهرت أيّة سيارة . كانت الطريق تمضي متزايدة العتمة . في شفق الغروب .

حلّت ساعة الرقاد ، والوزير الزائر لم يصل . وكان جوّ مرهق وثقيل يخيّم على أهل المنزل . في حين أن الأسرة ، حاذية حذو ياكيشي ، الصامت والغاضب ، لم يكن لديها خيار آخر سوى التصرّف وكأن الزيارة ستحدث بالتأكيد .

منذ مجيء ايتسوكو ، لم يستثر أيّ حدث مثل هذا الانتظار . ولم يكن ياكيشي يقول أية كلمة عن عيد اعتدال الخريف ، وكان يبدو أنه نسيه . واستمرّ ينتظر . وكان موزعاً بين الأمل وخيبة الأمل . وكانت حالته النفسية والذهنية تشبه حالة ايتسوكو ، في هذا الصدد، وهي التي تنتظر يائسة ومهجورة ، عودة زوجها .

«إنه سيأتي ، سيأتي بالتأكيد» ، كان ياكيشي يخاف من أن يتلفّظ بهذه الكلمات . فلو فعل ذلك ، لبدا له أن الزيارة سوف تستبعد نهائياً .

حتى ايتسوكو ، التي كانت تعرف جيداً ياكيشي ، لم تكن تستطيع أن تصدق بأن الآمال التي غذّاها طوال ذلك اليوم لم تكن سوى فرصة تقدّم في المجتمع . ونحن نكون أقلّ جراحاً في العمق ، حين تتمّ الخيانة في الأشياء التي نأملها أكثر مما في تلك الأشياء التي نحاول ازدراءها ، ومثل هذه الخيانة يعادل طعنة خنجر في الظهر .

كان ياكيشي يأسف لأنه أطّلع على برقية الموظف في التعاونية الزراعية ، وهذا ما سيعطي أولئك الناس الفرصة ليطبّقوا عليه بطاقة «شخص مهجور» . وقد أبدى هذا الموظف رغبته في إلقاء نظرة على وجه الوزير ، وقد تأخّر في منزل آل سوجيموتو حتى الساعة الثامنة ،

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

مقدماً مساعدته كلما استطاع ذلك . وهكذا فقد رأى كل شيء : قلق ياكيشي ، وهيئة كانسوكيه الساخرة ، وهو يتلفّظ بعبارات نصف مازحة ، واستعدادات العائلة كلها لاستقبال ذلك الضيف الرفيع القيمة ، واقتراب الليل ، وقلق الجميع وغصّتهم ، والأمل المفقود نهائياً .

أمّا ايتسوكو ، فإن واقع هذا اليوم قد علّمها درساً : إن المرء لا يكسب أبداً في انتظار أيّ شيء كان . وفي الوقت نفسه ، ولأول مرة منذ مجيئها إلى «مايدن» ، كانت تشعر بإحساس عطف غريب نحو ياكيشي بسبب جهوده المؤلمة لتلافي الجرح الذي سبّبته خيانة آماله . ويمكن تماماً أن يكون قد أرسل البرقية أحد رفاق ياكيشي في أوزاكا ، وهي تهريجة تصوّرها فاعلوها في لقاء شربوا فيه أكثر من اللازم .

كانت تبدي له لطفاً خفيّاً ، موفّرة نزعته الشكوكية، وهي لا تريد أن يعتبر هذا العطف بمثابة شفقة .

بعد الساعة العاشرة مساء ، فكر ياكيشي ، فاقد الشجاعة ، لأوّل مرة في ريوسوكيه ، بإحساس مذل بالخوف . كان شعور بالخطيئة لم يسبق له أبداً أن عرفه طوال عمره ، يتسرّب الآن إلى قلبه وهو يمضي متزايداً ، تاركاً له إحساساً بالمرارة . ولكن كان يبدو له من جهة أخرى أن هذا الإحساس ، عند إنعام التفكير ، يمكن أن يدغدغ القلب . وكان يرى برهاناً على ذلك ايتسوكو ، التي بدت له هذا المساء أجمل منها في أيّ وقت مضى .

ـ لقد نسينا تماماً عيد اعتدال الخريف! فهل تحبّين أن تأتي معي غداً إلى مقبرة طوكيو على ضريح ريوسوكيه؟ هكذا سألها .

ـ هل ستصحبني إلى هناك؟ قالت ايتسوكو بصوت شبه مبتهج .

وبعد فترة أضافت قائلة : يا أبتاه ، لا تقلق عليّ في صدد ريوسوكيه . فحتى أثناء حياته ، لم يكن هو ملكي .

كان اليومان التاليان ممطرين . وفي اليوم الثالث ، في ٢٦ أيلول ، كان الطقس صاحياً . ومنذ الصباح ، اهتمت العائلة بأسرها بالغسيل الذي كان قد تكدّس .

وحين كانت ايتسوكو تنشر جوارب ياكيشي القصيرة ، المرقعة من نواح عدة (إنه سينزعج بالتأكيد لو اشترت له غيرها) تساءلت فجأة عما يكون سابورو قد فعل بالجوارب التي أعطته إياها . وفي هذا الصباح ، لاحظت أن قدميه ما زالتا عاريتين في خفّيه الممزقين . كان ذلك حين قال ، بابتسامة أكثر حميمية بصورة ظاهرة : «مرحباً يا سيدتي» كانت ثقوب في القماش تظهر ، على عرقوبيه القذرين ، جروحاً صغيرة يمكن أن تكون ناتجة عن شوك الأعشاب البرية .

قالت في نفسها : «أنا أفترض أنه ينوي لبسها حين سيخرج . إنها حقاً لا تكلف غالياً ، لكن غلاماً من القرية يمكن أن يعتقد ذلك» . ولم تكن تستطيع ألبتّة أن تسأله لماذا لا يلبسها .

كانت قد مُدّت حبال بين أغصان أربع بلّوطات قرب المطبخ وكانت كلّ حبال القنّب مشغولة الآن بقطع الغسيل ، التي كانت الريح الغربية ، التي تهب على غابة الكستناء ، تهزّها وتجعلها تصفق .

كان كلب الصيد ماغي ، المقيّد تحت الحبال ، لا يكفّ عن الذهاب والمجيء ، تحت الأشكال البيضاء التي كانت تتحرّك بمرح فوق رأسه ، وكان بين حين وآخر ، يطلق زمجرة طويلة . وبعد نشر الغسيل ، راحت ايتسوكو تخطر متنزّهة بين الحبال . وهبّت عليها لفحة ريح مباغتة ألصقت لها على خدها وزرة ما زالت مبلّلة . وهذه الصفعة الندية وردّت لها خدها .

أين كان سابورو؟ لدى إغماضها عينيها ، استعادت مجدداً رؤية لعرقوبين القذرين والجراح الصغيرة التي كانت قد رأتها هذا الصباح . إن طابع غرابته ، وابتسامته ، وفقره ، وهندامه المهمل ، كل هذا كان يدهشها . وفقره اللطيف الذي كان يجتذبها أكثر من أي شيء آخر! وفي نظر ايتسوكو ، كان فقره يلعب دوراً فاتناً مماثلاً للدور الذي يلعبه الخجل عند فتاة صبيّة .

وقالت في نفسها : «ربما كان في غرفته، مستغرقاً بهدوء في قراءة رواية شعبية» .

اجتازت ايتسوكو المطبخ وهي تمسح يديها على مئزرها . وقرب الباب ، كان يوجد صندوق قمامة . وكان عبارة عن صفيحة زيت كانت ميو تلقي فيه بقايا الوجبات ونفايات الخضار . وحين كان يمتلىء ، كانت تفرغه في خندق للأوساخ والنفايات.

شيء ما في صفيحة القمامة اجتذب نظر ايتسوكو واستوقفها . فَتَحْتَ الخضار المصفرّة وحسك السمك ، كانت تلمع قطعة من نسيج صوفيّ جديد ، إنه لون أزرق سبق لها أن رأته . فأخرجته بلطف . كانت هي الجوارب القصيرة الجديدة والجميلة! وتحت الزوج الأزرق ، اكتشفت الزوج الكستنائي . وكما يتبيَّن من شكلهما ، فإنهما حتى لم تُجْرَ محاولة للبسهما . وكانت بطاقة المخزن ما زالت معلّقة فيهما .

ظلّت فترة ساكنة بلا حراك أمام هذه اللقية المربكة . وأفلتت الجوارب من أصابعها وسقطت في صندوق القمامة . وبعد بضع دقائق ، نظرت حولها ، ومثل أمّ تطمر جنيناً ، طمرت زوجي الجوارب بسرعة تحت النفايات . وفي حين كانت تغسل يديها ، أخذت تنظّفهما مجدّداً بعناية على مئزرها ، واستمرّت تفكر . ولم يكن من السهل

عليها ترتيب أفكارها . وقبل التوصّل إلى ذلك ، استولى عليها غضب غير مبرّر ، وأملى عليها كيفية التصرّف . كان سابورو في غرفته ، يقوم بارتداء ملابس العمل . وحين رأى ايتسوكو قرب النافذة ، جلس في وضع لائق وراح يزرّر قميصه . ولم يكن قد ربط كمّيْهِ بعد . وألقى نظرة على وجه ايتسوكو . ولم تكن بعد قد تلفّظت بكلمة . وزرّر كمّيه في صمت . وظلّت هي دون أن تقول كلمة . كان سابورو مندهشاً من تعبير وجهها الذي لم يتغيّر لحظة واحدة .

ـ ماذا فعلت بالجوارب التي أعطيتك إياها في ذلك اليوم؟ هل تسمح وتريني إياها؟

كانت ايتسوكو تتكلم بلطف ، ولكن كان يمكن تبيّن تهديد ، في هذا اللطف غير المجدي . كانت غاضبة ، غضباً لم يكن يمكن تفسيره ، غضباً وُلد مصادفة من تعقّد انفعالاتها ومشاعرها . وكانت تغذّي هذا الغضب ، وتوسعه وتطلقه بأكبر ما يمكن . وإلاّ ، لما طرحت على سابورو هذا السؤال . إن غضبها ، الذي ولد من متطلبات اللحظة ، كان مجرّداً بحتاً.

مرّ ألق في عيني سابورو السوداوين . وكان يفكّ أزرار كمّه الأيسر ويعيد تزريره . وظل صامتاً .

ـ ماذا هناك؟ لماذا لا تجيب؟

أسندت ذراعها مقابل حافة النافذة ، ثم نظرت إلى سابورو نظرة ساخرة . وهي في غضبها بالذات ، كانت تتذوّق كل لحظة من هذه اللحظات . يا للشيء الخارق! إنها لم تستطع أن تتصوّره حتى الآن . كانت تستسلم لهذا الشعور بالنصر . وإذ كانت تراقب هذه الرقبة البرونزية وهذين الخدّين المحلوقين حديثاً ، لم تكن تدرك أن كلماتها

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كانت مفعمة بنبرات مداعبة .

ـ هيّا ، ولا تكن مرتبكاً هكذا . لقد رأيتها، هذا كل شيء . لقد ألقيت في صندوق القمامة . فهل أنت الذي ألقاها هناك؟

ـ أجل ، أنا الذي ألقيتها .

أجاب سابورو بذلك دون تردّد ، وقد أربك ذلك ايتسوكو ، وسبّب لها الاضطراب.

وفكرت في دخيلتها قائلة : «إنه يحمي شخصاً ما . وإلاّ ، لكان تردّد قليلاً» .

وفجأة ، سمعت ايتسوكو صوت بكاءٍ وراءها . كانت هي ميو التي تبكي ، وكانت تلبس مئزراً عتيقاً من الصرج[1] الرماديّ ، كبيراً جداً عليها . وتلعثمت بين لحظتي بكاء ، قائلة : «أنا التي ألقيت بها . . . أنا التي ألقيت بها . . .» .

ـ ماذا تقولين؟ ولِمَ تبكين؟ . . .

حين كانت ايتسوكو تلفظ هذه الكلمات ، ألقت نظرة على وجه سابورو ، كانت عينا الشاب مفعمتين بالقلق، وبدا أنهما تريدان الاتصال «بميو» ، وهذا ما حفز ايتسوكو على انتزاع المئزر من على وجه ميو وذلك بممارسة تلامس القسوة والفظاظة .

كان وجه ميو المضرّج كلّه بالحمرة مفعماً بالذعر . كان هو الوجه المبتذل لامرأة قروية . وكان ثمة شيء قبيح في هذه التقاطيع المغمورة بالدموع والبكاء. وكان خدّاها الأحمران والمنتفخان يشبهان ثمرتي كاكي (مشمش اليابان) يمكن أن تنسحقا إذا ضغط عليهما! وكان

(١) الصرج Serge نسيج صوفي متين (عن «المنهل»).

جفناها فقيرين ، وعيناها الكبيرتان ثقيلتين بدون تعبير ، وأنفها أنفاً عادياً . كانت شفتاها وحدهما تضجران ايتسوكو قليلاً . كانتا رقيقتين . هاتان الشفتان الرطبتان واللامعتان بالدموع ، اللتان كان البكاء يرعشهما ، كانتا بالاستدارة المطلوبة بالضبط ، وتشبهان كبّة غزل صغيرة ذات لون أحمر قانٍ .

ـ هيا! لماذا فعلت هذا؟ إنني لست منزعجة بسبب الجوارب القصيرة الجديدة ، لكنني فقط لا أفهم . . . ولذلك أنا أسأل . . .

وقاطعها سابورو قائلاً : ـ أجل، يا سيدتي . .

كانت سهولة موقفه تكذب سلوكه الطبيعي .

ـ في الحقيقة أنا الذي رميتها ، يا سيدتي . لقد كانت تبدو لي أجمل مما ينبغي بالنسبة لي ، فرميتها .

قالت ايتسوكو : لا تقل حماقات كهذه . فهي غير مقبولة .

إن ميو ، التي خافت من إطلاع ياكيشي على عمل سابورو ، الذي لا بدّ وأن يعاقبه ، لم تستطع ترك سابورو يغطيها أكثر من ذلك ، وهكذا صاحت ، قبل أن يقول سابورو المزيد :

ـ أنا التي رميتها ، يا سيدتي . فمنذ أن أعطيتها لسابورو ، أراني إيّاها ، وقد قلت له إنني أشكّ في أنك أهديتها له بلا سبب . حينئذ غضب وقال لي : «حسناً ، احتفظي بها» . ثم ذهب . وقد رميتها لأن المرأة لا تستطيع أن تلبس جوارب رجل» .

ومن جديد ، غطّت ميو وجهها بمريولها . كان ما قالته مقبولاً . . . إن كان المرء يجهل هذه الكذبة التقيّة «المرأة لا تستطيع أن تلبس جوارب رجل» .

قالت ايتسوكو ، التي فهمت الآن ، بنبرة رضوخ : هيا ، لا تبكي . فكيف ستفكر شياكو والآخرون إذا رأوك تبكين؟ ليس من سبب لإثارة هذا القدر من الارتباك من أجل زوج أو زوجين من الجوارب. هيّا، اهدأي ، وجفّفي دموعك .

اجتنبت ايتسوكو عن عمد النظر إلى سابورو ، وأحاطت بذراعها كتف ميو ، وأخرجتها من هناك ، وليس بدون أن تتفحص الكتفين اللتين تمسك بهما على ذلك النحو ، ورقبة الخادمة القذرة قليلاً ، وشعرها السيّىء التسريح .

وقالت ايتسوكو في دخيلتها : «امرأة كهذه! امرأة كهذه!»

عبر أشجار السنديان ، كانت تلمع شمس الخريف النيّرة . ولأول مرة في هذا العام ، ارتفعت صيحات الضُرّب[1] . وبفعل المفاجأة ، غاصت ميو بقدميها في بركة كوّمتها الأمطار الأخيرة ، ولطّخت بالماء الموحل أسفل كيمونو ايتسوكو . «أوه!» صاحت هذه وهي تترك كتف ميو ، التي سارعت وقرفصت ، وفركت بعناية ثوب ايتسوكو ، وذلك بالمئزر الذي استخدمته ميو لتجفيف دموعها .

في نظر ايتسوكو ، التي كانت تقبل دون أن تقول شيئاً هذا البيان الصامت للإخلاص ، فإن مثل هذه البادرة لم تكن اهتماماً مؤثراً ، بل هي عمل مشحون بعداء لبق وكئيب.

وفي اليوم التالي، حيّا سابورو ، وكان يرتدي الجوارب القصيرة الجديدة المهداة إليه من ايتسوكو ، حيّا هذه وكأن شيئاً لم يكن ، وهو يضحك ببراءة .

* * *

(١) الضُرّب نوع من الطيور ، وقد تُطلق الكلمة على المرأة السليطة اللسان (عن «المنهل»).

أصبح لدى ايتسوكو الآن سبب للعيش .

ومنذ ذلك اليوم ، حتى حادت عيد الخريف ، المكدّر ، في ١٠ تشرين الأوّل كان لديها سبب للعيش .

ولم يسبق لايتسوكو أبداً أن بحثت عن خشبة للخلاص . فكان من الغريب إذن أن سبباً للوجود قد أعطي لها .

من السهل بما فيه الكفاية اعتبار الحياة بصفتها بلا قيمة . وفي الواقع ، فمن المستحيل تقريباً على الناس الموهوبين حساسية معيّنة أن ينسوا ذلك. وقد كانت غريزة ايتسوكو في هذا الميدان تشبه شبهاً غريباً غريزة الصيّاد . وهي إذا لاحظت في البعيد ، في الغابة ، ذيل أرنب برّيّ أبيض ، فإن غريزتها سرعان ما كانت تستيقظ ، ودمها يحمى ، وعضلاتها تتصلّب ، وأعصابها تتوتّر . وخلال أيام الفراغ ، حين لا يكون لديها هذا السبب للعيش ، كانت تصبح امرأة أخرى ، ممضية وقتها في الخمول ، ولا تفكر إلاّ في النوم قرب النار .

وبالنسبة لأشخاص معينين ، كان العيش بسيطاً تماماً: وبالنسبة لآخرين، كان من الصعب العيش ، لأقصى حد . ولم تكن ايتسوكو تحس بأقل ضغينة ضد فقدان التوازن هذا ، غير العادل ، الذي هو أشد تأثيراً من ظلم التمييز العنصري .

كانت تفكر قائلة في نفسها : «الأفضل أخذ الحياة مأخذ سهولة . وبعد كل شيء ، فالناس الذين حياتهم سهلة ليس عليهم أن يقدموا عذراً قائماً في ما وراء هذه الحياة السهلة . لكن الذين يجدونها صعبة ، يستخدمون بعد ذلك بقليل بمثابة عذر ، أكثر من مجرد واقع العيش . إن القول إن الحياة صعبة ، ليس شيئاً يمكن التباهي به . إن قدرتنا على اكتشاف كل صعوبات الحياة يساعد أغلب الناس على

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

جعلها سهلة . وبدون هذه القدرة ، ستكون الحياة دائرة فار وانزلاقية ، حيث لن نجد أيّة نقطة ارتكاز.

«هذه القدرة تمنعنا من النظر إلى الحياة تحت هذا الضوء . إن الذين لا يقومون أبداً برؤية الحياة على هذا النحو ، لا يعرفون هذه القدرة . ومع ذلك فليس هذا سوى شيء عادي : وفي الوقاع ، فليس هذا سوى ضرورة يومية . إن الذي يُفْقِد ميزان الحياة توازنه ويجعل الكفّة تميل لكي تعطيه أهمية أكبر مما له فعلاً ، سوف يعاقب على ذلك في الجحيم . وحتى إذا كان المرء لم يغشّ في صدد وزن الحياة ، فإن هذه الحياة ستكون مثل معطف بلا وزن تقريباً . والمريض هو وحده الذي يحس الثقل الذي يصلّب كتفيه .

«عليّ أن أرتدي معطفاً أثقل من معاطف الآخرين ، هكذا كانت تقول مفكرة في دخيلتها ، وتضيف قائلة : لأنه حدث أن روحي قد ولدت في بلد الثلوج والجليد ، وما زالت تعيش هناك . وبالنسبة لي ، فإن صعوبة العيش ليست سوى شكة[1] الأسلحة التي تحميني» .

إن سبب العيش هذا كان يخفّف عليها اليوم التالي ، والذي بعده ، وكل ما كان يمكن أن يعدّ لها المستقبل . كل هذا كان ما يزال ثقيلاً ، بالتأكيد ، لكن تغيّراً مرهفاً في مركز الثقل كان يلقي بها بفرح وتفاؤل في المستقبل . فهل كان هذا هو الأمل؟ كلا ، إطلاقاً .

طوال اليوم ، كانت تراقب خلسة ما يفعله سابورو وميو . إن رؤيتهما يتبادلان القبل تحت شجرة أو اكتشافها في منتصف الليل خيطاً معيناً يصل ما بين غرفتيهما المنفصلتين ، لم يكن يمكن أن يسبّب لها

(١) شكة armure مجموع آلات الوقاية المعدنية الحربية كالدرع والخوذة إلخ (عن قاموس «المنهل»).

سوى الألم . ولكن نظراً لأن عدم اليقين كان يمكن أن يسبّب لها ألماً أكثر فإن ايتسوكو كانت مصمّمة على ارتكاب أيّما عملٍ مخزٍ سيتيح لها اكتشاف برهان حبّهما.

إذا اقتصر المرء على النتيجة ، في محاكمة الأمور، فإن شغفها كان شهادة مخيفة وحقيقة صادقة على الشغف الإنساني غير المحدود في تعذيب النفس . إن الشغف الذي كانت تنفقه بتبذير وذلك فقط لتدمير آمالها، كان قياساً نموذجياً للوجود البشري ، للحياة الإنسانية ، التي ربما كانت مقيّدة ، وربما محوّلة الاتجاه. ذلك لأن لحالات الحب والشغف شكلاً ، وهذا الشكل يولّد زراعات علم حياتية (بيولوجية) تستطيع الحياة البشرية أن تنمو وتتطوّر فيها بصورة كاملة .

كان لدى ايتسوكو الانطباع بأن ما من أحد يلاحظ أنها لا تكفّ عن مراقبة روحات سابورو وميو ومجيئاتهما . كانت ايتسوكو هادئة تماماً وتعمل أكثر من المعتاد . كانت تفتّش غرفتيهما في غيابهما ، تماماً كما قام ياكيشي في السابق بتفتيش غرفتها . لكنها لم تكن تجد شيئاً . ولم يكونا من الذين يسجّلون يوميات . وكانا عاجزين عن كتابة رسائل حب ولم يكونا يعيان هذا التواطؤ اللطيف في الحب ، حيث اللحظة الراهنة تبدو مزيّنة بجمال الذكرى . وبالنسبة لهذين الاثنين ، لم يكن يوجد لا شهادة ولا احتفال بذكرى . وحين كانا يلتقيان ، لم يكن بالتأكيد سوى انصهار النظرات ، والأيدي، والشفاه، وضروب العناق ، وبعد هذا . . ربما . . . آه كم أن هذا سهل! وما أجمل هذا العمل ، وكم هو بسيط ، ومجرد! إن المعنى والكلمات لا نفع فيها ، تماماً مثل بادرة بطل رياضيّ يطلق رمحه ، وتماماً مثل الوضع المخصّص للمهمّات البسيطة . . . هذا العمل ، وهذا الموقف اللذان يبدوان متخذين للامتثال لهذه القاعدة السيطة ، المجردة ، الجميلة جداً! ومن مثل هذا العمل ، لا تبقى أدنى شهادة ، تماماً كما لا يبقى أي أثر السنونوة ،

تحلّق لحظة فوق السهل.

كانت أحلام ايتسوكو وتأمّلاتها تتّخذ أحياناً سياقاً آخر ، وفي لحظات معيّنة ، كانت تحسّ بأنها مجرورة نحو ظلمات فضاء خارجيّ ، في التأرجح المضطرب جداً لمهد قائم في قمة نافورة مياه متلألئة .

في غرفة ميو ، اكتشفت ايتسوكو مرآة رخيصة الثمن ، مؤطرة «بالسيليلويد» ، ومشطاً أحمر ، ومرهماً من نوع رديء ، ودهاناً ، وكيمونو للخروج وحيداً وعاديّ النوع ، مطبّعاً برسوم صغيرة ، كما وجدت حزامات مدعوكة ، وتنّورة داخلية جديدة ، وفستاناً صيفياً من قماش خشن ، وقميص نوم متجانساً. (في الصيف ، كانت ميو لا ترتدي سوى هذين الثوبين للذهاب وشراء حاجياتها من المدينة) ، كما شاهدت ايتسوكو مجلة نسائية مصوّرة قديمة ، كانت صفحاتها ، التي قلبت كثيراً ، أشبه بأزهار اصطناعية متسخة ، ورسالة باكية من صديقة قروية . وعند النظر عن كثب أكثر ، عثرت ايتسوكو وهي تتعلق بكل شيء ، خصلات شعر شقراوية.

في غرفة سابورو ، لم تر ايتسوكو سوى الأشياء الأساسية لنمط معيشة أكثر بساطة أيضاً .

«هل هما محترسان لتلافي عمليات بحثي بمقدار ما أنا بارعة في كشف أسرارهما؟» هكذا تساءلت ايتسوكو . وأضافت مفكرة : «أم أن ما أبحث عنه في استقصاءاتي المتأنّية يفوتني لأنه معروض للنظر ، مثل كتاب بو[1] الذي استعرته من كانسوكيه؟».

حين كانت ايتسوكو تغادر غرفة سابورور ، التقت في الرواق

(١) المقصود الشاعر الأميركي ادغار الن بو (هـ . م).

بياكيشي الذي كان متجهاً نحوها . ولما كان الرواق يفضي إلى حجرة ميو ، فإنه لم يكن على ياكيشي أن يسير فيه ، إلّا إذا كان ذاهباً إلى الحجرة المذكورة .

ـ هل أنتِ هنا؟

ـ أجل.

لم تقدم ايتسوكو أيّ اعتذار . وحين كانا عائدين نحو حجرة ياكيشي ، اصطدم العجوز بها عن عدم براعة ، وليس ذلك بسبب ضيق الرواق ، بل بدون سبب ، مثل جسم ولد حرٍ تجرُّه أمّه .

وحين استقرّا في الحجرة ، سألها ياكيشي :

ـ ماذا كنت تفعلين في تلك الغرفة؟

ـ كنت أريد أن أرى مفكّرته.

حرك ياكيشي شفتيه بصورة غير واضحة ، ثم لزم الصمت .

* * *

كان يوم ١٠ تشرين الأول يوم عيد الخريف في عدة قرى مجاورة . وقد ارتدى سابورو ملابس العيد وذهب قبل غياب الشمس مع أعضاء «رابطة الشبان» وكان العيد عادة حاشدةً بالحضور ، بحيث كان من الخطر إحضار الأولاد الصغار إليه . وبالتالي ، فإن أفضل وسيلة لوضع حدّ لتوسلات نوبوكو وناتسيو هي أن يطلب منهما البقاء مع والدتهما في المنزل. وبعد العشاء، اتّجه ياكيشي ، وايتسوكو ، وكانسوكيه وشياكو وميو نحو المعبد المحلّي وعيد القرية .

كانت الطبول تقرع في كل ناحية منذ المغيب . وكان الهواء يحمل أيضاً صيحات وأغاني . هذه الأصوات الضاجّة التي كانت تمزّق الفضاء الليليّ فوق حقول الأرز ، والشبيهة بتغريدات الطيور

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

وصيحات الحيوانات المختلطة ، لم تكن تعكّر الصمت؛ وهي ، في الواقع ، كانت تزيده شدة . وفي الريف ، حتى في المواضع البعيدة عن المدن الكبيرة ، يكون صمت الليل عميقاً ، وتقطعه ، من حين إلى آخر ، أصوات الجنادب .

حين أنهى كانسوكيه وشياكو استعدادات الرحيل ، فتحا النوافذ وأصغيا فترة إلى قرع الطبول المتصاعد من كل الجهات . «لا بد أن هذا الصوت هو قرع الطبول في معبد هاشيمان ، قرب محطة سكة الحديد» . «لا بد أن هذا هو قرع الطبول في المعبد الشنتوي في القرية ، إلى حيث نحن ذاهبان» ، «إنه ، كما أعتقد ، طبل القرية المجاورة ، الذي يسلم إلى الأولاد ، وأنوفهم مزوّقة بالدهان الأبيض ، وهم يتناوبون في قرع الطبل . إن صوت هذا الطبل هو الأضعف ، وهو ، أحياناً ، يكفّ عن القرع كلياً» .

كانا مستغرقين جداً في متعة حلّ هذه الأحاجي وصبيانيّين في آرائهما المختلفة ، التي كانت تقودهما إلى حدود الشجار تقريباً ، بحيث كان يخيّل أنهما يمثلان دوراً في مسرحية . وكان من الصعب الاعتقاد بأن هذه المحادثة بينهما كانت محادثة زوج في الثامنة والثلاثين من عمره ، وزوجة في السابعة والثلاثين .

ـ كلا ، إن صوت قرع الطبول هذا يأتي من . . . أوكاميشي . . . أي من معبد هاشيمان قرب محطة سكة الحديد.

ـ يا إلهي كم أنت عنيدة! ها قد مرّت ستة أعوام وأنت تعيشين هنا ولا تعرفين بعد اتّجاه المحطة.

ـ حسناً . إذن هل تتلطّف وتحضر لي خريطة (أو قطعة ورق بيضاء) وبركاراً؟

ـ حسناً ، أيتها السيدة ، ليس لدينا أشياء كهذه هنا .

ـ أجل ، إنني سيّدة ، لكنك لست «سيداً»، ولست أنت سوى رجل عادي.

ـ هذا مفهوم . ولا تستطيع أي كان أن تصبح امرأة رجل عادي . إن جميع نساء العالم العاديات يتزوجن موظفاً كبيراً ، أو بائع سمك ، أو نافخ بوق . لقد ولدت أنت متوّجة بشعر جميل . وبصفتك امرأة رجل عادي ، فأنت مثال النجاح الأنثوي . وباستطاعتك إدارة حياة زوج . وبالنسبة لامرأة ، لا يوجد نجاح أكبر من هذا، أليس كذلك؟

ـ إنك لم تفهم جيداً . لقد قصدت أن أقول بأنك رجل مبتذل .

ـ مبتذل؟ لكن هذا شيء رائع! إن أكبر نقطة التقاء بين الفن والحياة هي الابتذال. إن ازدراء الابتذال معناه ازدراء ما لا يستطيع المرء أن يحصل عليه . إن رجلاً يخاف أن يكون مبتذلاً لا يصبح ، بعد ، رجلاً . إن أزمان «الهايكو»(١) القديمة، قبل بيشو ، وقبل شيكي ، كانت تعرف قوّة عهد لم يكن قد اختفت منه بعد روح الابتذال.

ـ أجل ، وشعرك الهايكو يبيّن الابتذال في أعلى درجة من تطوره .

كانت نغمة هذا الحوار السطحي تكشف عن موضوع أبدي: احترام شياكو الذي بلا حدود لـ «سعة ثقافة» زوجها ، وقدرته الموسوعية . وقبل عشرة أعوام ، لم يكن أمثال هؤلاء الأزواج والزوجات نادرين بين مثقفي طوكيو . وكان كانسوكيه وزوجته ما زالا يحتفظان بهذا التقليد.

(١) الهايكو: بيت شعر شعبي ياباني مؤلف من ١٧ مقطعاً (هـ . م).

أشعل كانسوكيه سيجارة واستند إلى النافذة يدخّن . كان الدخان الذي ينفثه يحوم في الجو الليلي مثل شعر أبيض يهيم على الماء ، ويتعلّق بأغصان شجرة قريبة . وبعد لحظات من الصمت، قال:

ـ ليس الأب جاهزاً بعد، أليس كذلك؟

ـ ايتسوكو هي غير الجاهزة . ولهل الأب يساعدها في عقد زنّارها . وربما كان هذا يصعب تصديقه ، لكنه يذهب إلى حد شدّ حزام تنّورتها الداخلية ، وحين ترتدي ملابسها ، يقفلان باب غرفتهما، ويتحدّثان بصوت منخفض ، طوال وقت غير معروف . . .

ـ حقاً ، إن «الأب» يعيش حياة مجون ، في أعوامه الأخيرة .

وبصورة طبيعية تماماً ، وصلا إلى الحديث عن سابورو ـ وخلصا إلى نتيجة وهي أن تصرف ايتسوكو الهادىء في الأيام الأخيرة يثبت أنها تخلّت عن حبّه ، أي سابورو . إن الإشاعات تتبع أحياناً منطقاً أكثر دقّة من الوقائع ، وهذه الوقائع ، يمكن أن تكون أكثر خداعاً من الإشاعات .

لأجل الوصول إلى معبد القرية ، كان ينبغي اجتياز الغابة القائمة وراء المنزل . وغير بعيد عن حرج الصنوبر الذي أخذا يتأمّلان عبره أشجار الكرز المزهرة ، في ذلك الربيع ، وصلا إلى شعبة في الطريق ، أو في الدرب ، وخلال بعض الوقت ، سارا بحذاء مستنقعات مكسوّة بأقصاب الخيزران وبأشجار كستناء الماء . وهبطا على تلّة مسلّطة الأغدار ، كانت في أسفلها مجموعة من المنازل . وفي منتصف طريق السفح المقابل ، كان يقوم المعبد الشنتوي .

كانت ميو تسير في المقدمة ، حاملة مصباحاً من الورق . وكان كانسوكيه يتبعها ، مضيئاً الدرب بمصباح جيب . وعند تشعّب الزقاق ،

انضمّ إليهما تاناكا ، وهو مزارع خشن وشريف ، كان ذاهباً هو أيضاً إلى العيد ، ويعزف على الناي في سيره . كانت موهبته مدهشة ، لكن أنغامه ، التي بدت لهم حزينة ، كانت تجعل الموكب ، الذي يقوده مصباح من الورق ، صامتاً مثل موكب جنائزي . ولأجل إثارة بعض الاندفاع ، راح كانسوكيه يصفّق بيده مع كل نغم ، وحذا حذوه الجميع . وكان صوت التصفيق يرتدّ عليهم كصدى كهفيّ منبعث من على سطح الغدير .

قال ياكيشي : أليس هذا غريباً؟ من هنا ، يبدو قرع الطبل أكثر بعداً .

قال كانسوكيه : يكون هذا بسبب شكل الأرض ووضعها .

في تلك اللحظة ، تعثّرت ميو وكادت تقع أرضاً . فاستولى كانسوكيه على المصباح وسار في مقدمة الجماعة . ما كان بالإمكان ترك هذه الفتاة البلهاء تقودهم .

كانت ايتسوكو تسير على حافة الدرب ، هناك حيث حلّت محل كانسوكيه ، ورأت المصباح ينتقل إلى يدٍ أخرى . وفي هذه الإضاءة ، كانت سحنة ميو تبدو مخضرّة . ولم يكن في عينيها أي ألق بل كان يبدو أنها تجد صعوبة في التنفّس .

كانت عينا ايتسوكو قد تعلّمتا الرصد بصورة جيّدة جداً ، بحيث أنها ، في هذه اللحظة حين انتقل المصباح إلى يد أخرى ، قد أدركت هذه التفاصيل . لكنها سارعت إلى نسيان ذلك مثلما أن مصابيح أيام العيد المعلقة في أطناف المنازل ، كانت تنتزع صيحات الإعجاب من الطابور الصغير الصاعد على المنحدر .

كان أغلب القرويين قد ذهبوا إلى العيد ، غير تاركين لحماية

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

منازلهم سوى المصابيح الكبيرة المتلألئة في القرية الصامتة . وقد عبر آل سوجيموتو الجسر الحجريّ فوق الجدول الذي يجتاز المدينة . وكانت طيور الأوز تسبح فيه نهاراً ، لكنها أصبحت الآن حبيسة في أقفاصها ، وكان مرور الأشخاص الغرباء تجعلها تقوقىء صائحة .

قال ياكيشي : إنها أشبه بأطفال يبكون ليلاً .

راح الجميع يضحكون . كانوا يفكرون في ناتسيو وأمّها التي لم تكن معنية بهندامها .

كانت ايتسوكو تنظر إلى ميو في الكيمونو المطرّز بالأزهار ، وهي قد عملت بشكل لا تستطيع معه أن ترى في عينيها أدنى ضوء من العداء . لم تكن ايتسوكو تهتمّ بما يمكن أن ترى العائلة . كانت لا تهتمّ إلاّ بميو .

إن مجرّد التفكير بأن هذه القروية البليدة الذهن تستطيع أن تحدس بغيرتها كان أكثر مما تستطيع كرامة ايتسوكو أن تتحمّله . أكان ذلك بسبب سحنة ميو الشاحبة ، وفستانها الكيمونو؟ لم يكن بإمكان ايتسوكو أن تقول بتحديد ، ولكن في هذه الليلة ، كانت الفتاة بعيدة عن أن تكون بلا فتنة وسحر .

«يا للعالم الغريب! هكذا كانت تفكر ايتسوكو . وتابعت: حين كنت طفلة ، كان يستحيل التفكير في أن خادمة يمكن أن ترتدي سوى كيمونو معرّق ، إن السماح للخدم بأن يرتدوا أقمشة أنيقة كان معناه الاستهزاء بالتقاليد ، ومهاجمة نظام المجتمع . ولكانت والدتي تطرد على الفور فتاة من هذا النوع» .

وسواء جرى النظر إليها من أسفل أو من أعلى ، فإن الرتبة

الاجتماعية هي بديل ممتاز عن الغيرة . وأيّ برهان يمكن إعطاؤه أفضل من كون واقع أن ايتسوكو لا تُظهر أبداً هذا الحسّ البالي للرتبة الاجتماعية في موقفها إزاء سابورو؟

كانت ايتسوكو ترتدي كيمونو حريرياً مطرّزاً بأزهار أقحوان ، وهو فستان نادراً ما يرى في القرية ، وذلك تحت دثار قصير من قماش أسود لامع . وكانت تفوح حولها رائحة ماء كولونيا من نوع «هوبيغانت» ، كانت تحبه كثيراً ، وهو عطر غير ملائم لعيد قرويّ ، وهو ، بصورة بديهية تماماً ، موجّه نحو سابورو . إن ياكيشي بالذات ، الذي لم يكن يشكّ في أي شيء ، هو الذي بخّره على رقبتها وعنقها وعلى زغب خفيف، بلون بشرتها ، كانت قطيرات لامتناهية الصغر قد بقيت لحظة ، لامعة مثل لألىء ، وفاتنة الجمال . كانت بشرة ايتسوكو مطلّسة، وكان ثمة تضادّ فتّان بين رقبتها الجميلة المعهود بها على هذا النحو لعناية ياكيشي ، واليد الخشنة والمرصعة بالتراب ، أي يد ياكيشي . ومع ذلك ، فإن هذه اليد الخشنة كانت قد تابعت تقدّماً قليلاً لتبلغ نهدي ايتسوكو المعطرين . وكان قد بدا لياكيشي آنذاك أنه ، لأوّل مرة ، يحسّ بشعور مهدىء بأنه يمتلكها فعلياً.

وحين وصلوا إلى زقاق قرب مركز توزيع الأرز ، هاجمتهم فجأة الرائحة الكريهة لمصابيح الاسيتيلين التي كانت تنير أكواخاً خشبية صغيرة . كان أحد هذه الأكواخ يبيع حلوى وملبساً ، وكوخ آخر يبيع مطاحن هوائية صغيرة ، غرست جذوعها في حزمة من القشّ ، وثالثة أيضاً تبيع مظلات صغيرة من الورق المطرّز بالأزهار . وكان يباع كذلك، وإن كان ذلك خارج الموسم، مفرقعات وصواريخ، وأوراق لعب للأولاد ، وبالونات . حين كانت فترة العيد تقترب ، كان هؤلاء الباعة يذهبون إلى حوانيت أوزاكا لشراء قطع الحلوى بثمن مخفض .

ثم كانوا يهيمون متسكّعين حول محطة «أوميدا» في «هانكيو» مستعلمين من المارة عن مكان الاحتفال بالعيد في ذلك اليوم . وكانوا إذا ذهبوا بادىء ذي بدء إلى معبد هاشيمان ، بمحطة أوكاماشي ، ووجدوا منافسيهم قد استقرّوا هناك ، فقد كانوا يتّجهون نحو مكان أقل أهمية . إنهم ، وقد تلاشى حلمهم بالأرباح الضخمة ، كانوا يذهبون إلى هناك في جماعات صغيرة عبر الحقول وكانت مشيتهم تشهد برضوخهم . وفي ذلك المساء ، كان العديد من الحمّالين والباعة يتألفون من رجال شيوخ ونساء عجائز .

وكان أولاد قد تجمّعوا حول سيارات صغيرة تدور في حلقة مدورة . وبعد أن تفرّج آل سوجيموتو على معروضات الباعة والتجار ، ناقش أعضاؤها شراء سيارة صغيرة بخمسين يناً لأجل ناتسيو .

قال ياكيشي : إنها غالية جداً ، أجل، إنها غالية جداً ، إن ايتسوكو سوف تشتري له واحدة في المرة القادمة حين ستذهب إلى أوزاكا . وسيكون ذلك أرخص ثمناً بكثير . ومن جهة أخرى، فإن جميع الأصناف التي تباع في هذه الأكواخ تنكسر في اليوم التالي .

كان قد تكلّم بصوت عال ، وقد تفحّصه بائع الألعاب بهيئة غاضبة . وردّ له ياكيشي نظرته بمثلها .

وقد تغلّب ياكيشي . وأدار العجوز وجهه واستعاد أقواله المنمقة الموجهة إلى الأولاد . إن ياكيشي، الذي أسكره انتصاره بصورة صبيانية ، اجتاز بوابة المعبد الأول ، وصعد السلم الحجري . مؤكّد أن الأسعار ، في «مايدن»، كانت أرفع منها في «أوزاكا» . ولم يكن آل سوجيموتو يشترون من «مايدن» سوى الضروري جداً .

وحين بدأوا يصعدون الدرج ، اقتحمتهم ضجّة مثل دويّ ارتداد موج على الشاطىء . وفوق بئر السلم ، كانت السماء الليلية تمتلىء بشرارات . كانت صيحات الاندهاش ، المختلطة بطقطقة قضبان الخيزران ، تطرق آذانهم بشدة . وكانت أغصان شجرة سرو عتيقة تنهض ، عارية ، وسط الضوء الباهر لأنوار الفرح .

قال كانسوكيه : إذا صعدنا من هذه الناحية ، فلا أعتقد أبداً أننا سنصل إلى المعبد .

في منتصف طريق الدرج، سلكوا الدرب المؤلفة من تسعة وتسعين منعطفاً ، والمؤدية إلى ما وراء حرم المعبد ، (المذبح) . وحين توصّلوا إلى ذلك ، كانت ميو ، وليس ياكيشي ، هي التي انبهرت أنفاسها وكادت تنقطع . وكانت تفرك بيديها الكبيرتين ، وبصورة مرتبكة ، خدّيها الشاحبين .

كانت واجهة المعبد تشبه متن سفينة حربية ترفع مقدمها في دوّامة هادرة من النار والضجّات وأصوات الملاحين والجنود البحريين . إن النساء والأولاد ، الذين لم يكونوا يجرؤون على الدخول في الدوامة ، كانوا يقفون فوق ، غائصين بأنظارهم في الباحة ، التي تحوّلت إلى جحيم حقيقيّ ، كانت درجاته الحجرية وجداره تحميهم بالكاد. وقد ظلّوا صامتين ، ذلك لأن الظلال والأشباح التي كانت تلقيها النار، وظلال الرجال الذين كانوا يقفون بين ألسنة اللهب وبينهم كانت تدور بجنون ، فوق رؤوس الأشخاص المتعلّقين بالحاجز الحجري ذي الدرابزين .

في لحظات معيّنة ، اشتدّت نيران الفرح إلى حدّ أن ألسنة اللهب كانت تبدو أنها تبثّ بصورة متبادلة بعض طاقة جديدة . كانت وجوه المتفرّجات والأولاد ، الذين أضيفت إليهم عائلة

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

سوجيموتو ، تبرز بوضوح في هذا الضوء . وكان الحبل الذي يصل ما بين الجلاجل المعلّقة في طنف المعبد أحمر كأن الشمس الغاربة قد أضاءته . ثم راحت الظلال تتواثب وكأنها تنفّذ رقصة ، مغرقة هذه الإضاءة خلال لحظة ، تاركة الجمهور في أعلى الدرجات غامضاً ، صامتاً وكئيباً .

«مؤكد تماماً أنهم أصيبوا بالجنون!» هكذا قال كانسوكيه في نفسه ، وهو يخفض نظره على الجمهور الذي كان يتحرّك باضطراب تحتهم . وألقى نظرة نحو ايتسوكو ، التي كانت قربه ، ولاحظ أن كمّ معطفها الصغير ممزّق ، وهذا ما بدا أنها تجهله . وكانت تبدو له فاتنة بصورة غريبة ، في هذا المساء . وصاح بها : أوه ، يا ايتسوكو! معطفك ممزّق!

كانت لديه موهبة أن يقول ما ليس بحاجة إلى التعبير عنه .

في هذه اللحظة ، تصاعد من صيحات الجمهور الحاشد نغم جديد . إن رسالة كانسوكيه غير النافعة لم تصل إلى ايتسوكو . وفي اللون الفظّ لأنوار الفرح ، كان وجهها الجانبيّ يظهر أكثر صرامة من المعتاد ، أكثر مهابة قليلاً ، وأكثر قسوة . وفي أسفل ، كان الناس يتزاحمون بالمرافق ، ويندفعون مسرعين باستمرار نحو إحدى البوابات الثلاث . ولأول نظرة ، كانت حركات الجمهور تبدو وكأنها ليس لها هدف خاص ، لكن هذا الجمهور كان يتّجه نحو رأس أسد هائل الضخامة ، يقوم فوقه . إن رأس الأسد هذا ، الذي كان يفتح شدقيه ويغلقهما ، ولبدته الخضراء تخفق هائمة فوق الجمهور، كان يسبح ، وكأنه يشقّ الأمواج . وكان يحرّك رأس الأسد ثلاثة شبان يلبس كل منهم كيمونو قطنياً ، وكانوا مجبرين على استبدال بعضهم بعد الجهد، لشدّة ما كان هذا العمل مرهقاً.

كان أكثر من مئة شابّ يتبعون الأسد ، ويحمل كل منهم مصباحاً من الورق الأبيض ، وكانوا يتجمّعون حول الأسد ويتدافعون ، صادمين مصابيحهم بعضها ببعض. وبعد حين ، كان الأسد يتحرّر ، وكأنه قد انتابه غضب شديد، وينطلق نحو رواق آخر . ومجدّداً ، كان الشبّان يتبعونه ، ومجدّداً ، يرفعون المصابيح ، التي ظلّ بعضها مضاءً ، بصورة معجزة؛ وكان أصحابها يجهلون في كثير من الأحيان أنها كانت قد كسرت ، وأنه لم يبق من كل منها سوى العصا الصغيرة . وخلال هذا الوقت ، كانوا يصيحون بملء أصواتهم .

في مركز الباحة ، أقيمت مجموعات من أقصاب الخيزران ، وحين كانت تشعل النيران فيها ، كانت الجذوع بكاملها تلتهب بسرعة وتتفجّر ؛ وحين كانت تنهار ، كان يجري إشعال مجموعة قضبان خيزران أخرى . إن أنوار الفرح ، لدى مقارنتها بهذا الاشتعال ، كانت تبدو ، في أربع زوايا الباحة ، مثل ألعاب نارية شاحبة .

كان القرويون ، الذين ليست لديهم ، عادة ، رغبة في التعرُّض لأقلّ خطر ، يتحدّون هنا حزمات الشرر ، واستمروا يتجمّعون لمتابعة الحركات العارمة للشبان الذين كانوا يتزاحمون وراء الأسد . وظاهر أن المتفرّجين كانوا هادئين ، ولكن كانت ترتسم بينهم تموّجات ، وفجأة ، حدث غليان معيّن كان يهدّد بدفع الصف الأوّل من الحضور إلى مجموعة صاخبة من الشبان . وكان رجال متوسّطو الأعمار ، مسلّحون بمراوح لا تنثني ومكلّفون بحفظ النظام ، يروحون ويجيئون بين الشبّان والمتفرّجين ، ويبحّون أصواتهم لشدة الصراخ ، دافعين جماعة وممسكين بجماعة أخرى.

كان المشهد ، المنظور إليه من أعلى السلالم ، يبدو أنه يتّخذ شكل أفعى جبّارة سوداء اللون ، تتلوّى بين أقصاب الخيزران المشتعلة

قاذفةً من كل جانب من جوانبها تألّقات فوسفورية .

كان نظر ايتسوكو مثبتاً على الموضع الذي كانت تتصادم فيه بعنف وغضب شديدين المصابيح الورقية . ولم يعد لياكيشي وكانسوكيه وحتى لميو ، من وجود في نظرها . وفي هذه النشوة الضبابية كان لديها انطباع بأن تشخيص هذه الضجات ، وهذه الحالة المحمومة ، وهذا الاستعراض المجنون ، كان هو سابورو .

كان هذا التدويم للتبذير غير المجدي لقوى الحياة يبدو لايتسوكو شيئاً رائعاً ، مدهشاً . وكان وعيها يبدو أنه يطفو في هذه المتاهة الفوضوية الخطرة ويذوب مثل ذوبان جليد في الشمس . كان يمكنها أن تحسّ بوجهها مضاءً بين حين وآخر باشتعال أقصاب الخيزران ، وأنوار الفرح . وفي حالة خارج الصدد تماماً ، تذكّرت شمس تشرين الثاني التي كانت أشعتها تسقط بغزارة عليها حين فتحت البوابة لتحمل نعش زوجها .

أدركت شياكو أن ايتسوكو تسعى لرؤية سابورو . وما كان ليخطر في بالها أبداً أن شقيقة زوجها تستطيع أن تقلق بسبب شيء آخر . وقالت شياكو ، بطيبتها الطبيعية :

ـ كم أن هذا شيء مسّلٍ ! لكنني أودّ أن أذهب إلى تحت . ومن هنا ، لا نستطيع أن ندرك كل بربرية عيد الأرياف .

لقد لاحظ كانسوكيه غمزة عين زوجته ، وأدرك كذلك الدافع لاقتراحها . وكان يعلم جيداً جداً أن ياكيشي لن يتجاسر على اتباعه . وكان هذا يوفّر له دافعاً ثانياً وفرصة لعملية ثأر صغيرة ضد والده .

ـ حسناً . هيا بنا! هل تأتين ، يا ايتسوكو؟ إنك ما زلت شابّة .

اتخذ ياكيشي هيئته الفظة . كان هذا هو الوجه المباهي والكئيب

لرجل اعتاد، بتغيير تعبير وجهه قليلاً ، على فرض طاعته ، وكان ثمة وقت ليغدو مثل هذا التعبير كافياً لتقديم استقالة موظف في الإدارة . لكن ايتسوكو أجابت بلهجة نشيطة ، دون أن تنظر إلى ياكيشي :

ـ أجل ، إنني أرافقك .

ـ والأب؟ سألت شياكو.

لم ينبس ياكيشي بكلمة ، وحوّل وجهه الفظ نحو ميو ، ملمّحاً بذلك إلى أنها ستبقى هناك مع سيّدها.

ـ سوف انتظر هنا ، عودي بعد قليل ، هكذا قال لايتسوكو دون أن ينظر إليها.

هبطت ايتسوكو وكانسوكيه وشياكو على درجات السلم متماسكين بالأيدي ودخلوا ـ بين الجمهور الصاخب وكأنهم يدخلون إلى أمواج صاخبة مرتدّة . وكان النظارة يتحركون هنا بصورة أسهل مما كان يبدو من الأعلى . ولم يكن يلزم أيّ جهد لتجاوز هؤلاء الأشخاص الكئيبي الوجوه ، والفاغري الأفواه ، الساعين للوصول إلى الصفّ الأوّل.

سمعت ايتسوكو قضبان الخيزران تتفجّر محترقة قربها وأحسّت بعودة نشاطها وحيويتها إليها . وأيّما ضجّة نشاز كان يمكن أن تبدو لها ممتعة ولذيذة في هذه اللحظة . إن أذنيها الرقيقتين ، اللتين لم تعد تحركهما التفاهات ، واللتين كانتا ترغبان في ضجة قادرة على أن تمزّق طبلة أذنها ، عليهما أن تصغيا بشدة إلى إيقاع انفعال ما ، مدفون في أعمق أعماق ذاتها .

وفجأة ، اتّجه رأس الأسد ، نحو مدخل رواق آخر ، فوقهم ، ولبدته في الهواء وهو كاشف عن أنيابه المذهبة . وتلت ذلك ضجة صاخبة في حين كانت تنهض متحركة ، عن يمين ويسار ، موجات

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

بشرية . واجتاز شيء باهر مجال رؤية ايتسوكو . كانت تلك عصبة من الشبان أنصاف العراة تتحرك في كتلة واحدة وسط تألّق أسلحة اللهب وانفجارها . كان بعض هؤلاء الشبان حليقي الرؤوس وكان غيرهم يحملون على رؤوسهم أشرطة تخفق نهاياتها وراءهم . وكانوا يطلقون صيحات حيوانات ، وقد تجاوزوا ايتسوكو بسرعة ، مالئين الهواء برائحة المسك ، وكانوا يشكلون انعكاسات لحوم قاسية وجلود عَرِقة ، يتعلق بعضها ببعض ثم تتراخى . وفي عتمة الظلام ، كانت سيقانهم متشابكة بحيث كان يمكن الاعتقاد بأنه عجيج مجنون لمخلوقات غير بشرية . وكان يبدو أنه ما من شخص منهم يستطيع أن يتعرّف إلى ساقيه هو بالذات .

قال كانسوكيه : إنني أتساءل أين هو سابورو . وحين يكونون عراة ، لا يمكن أن نتميّز واحداً من الآخر . لم يكن يريد المجازفة بفقدان إحدى المرأتين ، وكان يمسك كلاً منهما بكتفها ، لكن كتف ايتسوكو المرنة كانت تهدد دائماً بالإفلات من مسكته .

تابع كانسوكيه ـ يقول وهو متوافق مع ذاته : هذا صحيح ، حين يكون الناس عراة ، يمكن أن نفهم حقاً لماذا الشخصية البشرية هي شيء هشّ ، سريع العطب . أمّا أنماط التفكير ، فلا يوجد سوى أربعة منها : نمط تفكير الرجال ذوي الضخامة ، ونمط ذوي النحافة ، ونمط الطوال ونمط القصار . أمّا الوجوه ، فليس في الواحد منها أكثر من عينين ، وأنف واحد ، وفم واحد . ونحن لا نرى شخصاً بعين واحدة . خذوا الوجه ذا الشخصية الفردية الأكثر بروزاً : إنه لا يخدم إلاّ في ترميز الفرق بين صاحبه والآخرين . ما هو الحبّ؟ لا شيء سوى رمز مشغوف برمز آخر . وإذا وصلنا إلى الجنس ، رأينا أنه الشخص الفاقد الاسم ، المشغوف بشخص آخر فاقد الاسم . متاهة الفوضى ومتاهة الضياع ، المجامعة الوحيدة الجنس لانعدام الشخصية

مع انعدام الشخصية . أذكورة؟ أم أنوثة؟ أين هو الفرق؟ هل رأيتِ، يا شياكو؟

كان لشياكو بالذات هيئة ضجرة . وغمغمت على سبيل الموافقة .

لم تستطع ايتسوكو كتمان ضحكها . وقالت في نفسها : إن هذا الرجل ، لا يكفّ عن الغمغمة . إنه لا يكفّ عن التفكير ، بصورة شبقة . متطرّفة . أجل ، المسألة هي هكذا! إنه شبق دماغي! ويا لها من ورطة محزنة! إن أفكار هذا الرجل هي مضحكة مثل قفاه .

«لكن أكثر الأمور عبثيّة أن الإيقاع الذي يقدّمه هو في نشاز تام مع كل هذه الصرخات ، ومع كل هذا التهيّج المفرط ، وكل هذه الروائح وكل هذه النشاطات ، كل هذه الحياة التي تعج حوله . ولو كان موسيقياً ، لما قبل به أيّ قائد فرقة في فرقته . ولكن ماذا يمكن أن نصنع بفرقة أوركسترا موسيقية من الريف ، إن لم يكن الاعتراف بأنها تعزف نشازاً ، وأنه يجب الرضى بذلك العزف؟» .

حملقت اتيسوكو بعينيها . وانزلقت كتفها بلطف خارج يد كاسنوكيه الرطبة . لقد اكتشفت سابورو . كان فم الشابّ ، الذي هو صامت ومتحفظ عادة ، ينفتح واسعاً لكي يصيح . وكانت أسنانه الحادّة والشديدة البياض تتلألأ في ضوء نيران الفرح ، وفي عينيه ، اللتين لا تلتفتان نحوها أبداً ، كانت ايتسوكو ترى نار فرح أخرى متلالئة .

من جديد ، سيطر رأس الأسد على الجمهور ، وهو يبدو كأنه يراقب الساحة كلها . ثم تقدّم بسرعة وقوة نحو المشاهدين ، ولبدته الخضراء تخفق باعتزاز مع الريح ، ثم اتجهت نحو مدخل الرواق الرئيسي ، عند واجهة المعبد . وكانت عصبة من الشبان أنصاف العراة تتبعها بصخب مقرقع .

استسلمت ايتسوكو لحافز ساقيها وتبعت الموكب . ووراءها ، استطاعت أن تسمع كانسوكيه يصرخ : «ايتسوكو! ايتسوكو!» وضحكة سياكو الحادّة ، لكنها لم تلتفت ألبتة . كان شيء ما منها ، يبدو أنه يبرز مثل قاع مستنقعيّ ، ويندفع بسرعة وبقوة جسدية شبه هرقلية .

في ظروف معينة ، يكون للكائنات البشرية أحياناً الاقتناع بالقدرة على تحقيق أي شيء كان . وفي مثل هذه اللحظات ، يبدو لهم أنهم يلمحون ما هو غير مرئي بالنسبة للعين البشرية . وفيما بعد ، حتى حين تكون هذه اللحظات قد غرقت في عمق الذاكرة ، فإنها تحيا أحياناً ، وتذكر الناس بالامتلاء المعجز لآلام العالم ومباهجه . ولا أحد يستطيع الإفلات من لحظات المصير هذه : ولا أحد ، كائناً من كان ، يستطيع النجاة من شقاء أن يرى إلى أبعد من رؤيته الاعتيادية .

كان لدى ايتسوكو الآن الشعور بأنها تستطيع أن تفعل أيّ شيء. كان خداها ملتهبين . كانت مدفوعة بالجمهور ، وسارعت ، وهي تتعثّر في سيرها ، نحو مدخل الرواق المواجه لها ، وأصبحت تقريباً في الصف الأول من المشاهدين . وضرب أحد الحرس صدرها بمروحته ، لكنها لم تحسّ بذلك . كانت مأخوذة بمنازعة بين الخدر والجنون المحموم .

لم يكن سابورو يشعر بقرب ايتسوكو . كان يعرض على الحضور ظهره الجميل التكوين والمبرنز قليلاً . وكان وجهه محولاً نحو الأسد ، في الوسط ؛ وكان يصيح في اتجاهه ويستثيره . كان يرفع بساعده الثمرن ، مصباحه ، الذي أصبح الآن مطفأ ، ولكن غير ممسوس ، في حين كانت المصابيح الأخرى مثقلة بالثقوب والتمزّقات . وكان القسم الأسفل من جسده ، المتحرك بلا انقطاع ، غارقاً في الظلمة ، لكن ظهره ، الذي كان يتحرّك بالكاد ، كان منظاراً سحرياً ، يحدث تلاعباً

للأضواء والظلال ، وفي حين كان يقترب ، كانت حركة عضلاته ، حول لوحي كتفيه ، تشبه جهود طائر قويّ في إبّان انطلاقه وتحليقه .

كانت لدى ايتسوكو رغبة في لمسه بأصابعها . ولم تكن تدري أيّ نوع من الرغبة كان يدفعها . وعلى سبيل المجاز ، كان هذا الظهر بالنسبة لها هو محيط لا قاع له ، تتمنّى أن تلقي نفسها فيه ، وكانت رغبتها تشبه رغبة شخص يلقي بنفسه في الماء . ولا يطمح بالضرورة إلى الموت ، بمقدار طموحه إلى ما بعده ، إلى شيء آخر غير ما عرفه ، وعلى كل حال ، إلى عالم مختلف .

إن تموّجاً جديداً حدث مرة أخرى في الحشد دفع الجميع إلى الأمام . وقد نفّذ الشبان أنصاف العراة حركة معاكسة ، متراجعين بالاشتراك مع الأسد التابع هواه . وتعثّرت ايتسوكو في المقدّمة ، مدفوعة من قبل الجمهور ، ودخلت في صدام مع ظهرٍ عارٍ ، محرقٍ كالنار ، وقادمٍ من الجهة المقابلة . فدفعته ، وهي تمسك به بيديها . كان هذا هو ظهر سابورو . كانت تتذوّق ملامسة لحمه ، وحرارته التي لا يمكن التعبير عن جمالها .

إن دفعة جديدة من الجمهور جعلتها تغرس أظافرها في ظهر سابورو . وهو لم يشعر بهذا ، وفي كل ذلك الاختلاط وهذه الفوضى ، لم يكن يعرف أية امرأة تضغط على ظهره . وأحست ايتسوكو بدم سابورو يسيل بين أصابعها .

وبدا أن الحراس لا يستطيعون السيطرة على الجمهور . وكان الشبان المنفلتون يتجمّعون في كتلة ، وقد اتّجهوا ، وسط صرخاتهم ، نحو مجموعة متوهّجة من أقصاب الخيزران . وسقطت الأرمدة الملتهبة أمام أقدامهم العارية ، وداس الناس عليها . ولم يدرك الشبان حتى حرارتها اللاهبة . وكانت أقصاب الخيزران ، المكسوّة بالنار ، تضيء

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

أغصان شجرة السرو العتيقة ، مطلقة دخاناً أحمر ، وكانت أوراقها تلتمع وكأن الشمس تضيئها . هذه الدعامة النارية ارتعشت ، ثم انفجرت ، ومالت من جهة إلى أخرى ، مثل صاري سفينة شراعية ، وانهارت فجأة وسط حشد الجمهور المتدافع بالمرافق .

اعتقدت ايتسوكو أنها ترى امرأة تضحك بقوة شديدة ، رغم أن شعرها كان يحترق بألسنة اللهب ، هذا هو تقريباً كلّ ما تذكّرته بعد ذلك بوضوح . وقد تمكّنت من الإفلات ، ووجدت نفسها أمام المعبد ، قرب الدرجات الحجرية .

وتذكرت فيما بعد لحظة كانت فيها السماء ملأى بشرارات اللهب . بيد أنها لم تكن تحسّ بشعور الرعب . كان الشبان يكافحون من جديد للغوص نحو مدخل رواق آخر . وكان يبدو أن المتفرّجين قد نسوا الخوف الذي كان قد استولى عليهم قبل دقائق ، وقد ساروا يتبعون سواهم . ولم يكن يحدث شيء . .

لم تكن ايتسوكو تعرف كيف شقّت طريقها حتى ذلك الموضع . وكانت تنظر نظرة غائبة إلى الخطوط المائلة التي تلقيها على الأرض ألسنة اللهب والظلال البشرية . وأحست حينئذ في كتفها بصدمة قاسية بعض الشيء . كانت هي يد كانسوكيه المرطبة بالعرق.

ـ آه ، هذا أنت ، يا ايتسوكو! لقد قلقنا عليك.

نظرت إليه ايتسوكو دون كلام ، ودون تأثّر.

وتابع يقول لاهثاً : لقد حدث شيء ما . اتبعيني.

ـ ماذا حدث؟

ـ لا تقلقي . اتبعيني.

أمسك كانسوكيه بيدها، وصعد السلم بخطوات واسعة . كانت دائرة من الناس تحيط بالموضع الذي تركوا فيه ياكيشي وميو . وأبعد كانسوكيه الفضوليين ومرَّر ايتسوكو .

كانت ميو ، الراقدة على الظهر ، ثاوية على مقعدين جرى التقريب بينهما . وكانت شياكو ، المنحنية عليها ، تحاول أن تحلّ زنارها . وكان ياكيشي ، ظاهر الارتباك ، يقف قربها . وكانت ميو بملابس مهملة بحيث كان يظهر ثدياها عبر الكيمونو المفتوح . لقد فقدت الوعي وكان فمها نصف فاغر . وكانت إحدى يديها متدلّية ، وأصابعها تلمس البلاط.

ـ ماذا حدث؟

ـ لقد أغمي عليها . وربما كان هذا فقر دم دماغياً ، أو نوبة صرع .

ـ الأفضل استدعاء طبيب.

ـ لقد اهتم تاناكا بذلك . وسوف يحضرون نقّالة .

ـ أليس علينا أن نبلغ سابورو بذلك؟

ـ الأمر لا يستأهل ذلك . ومؤكد أنه ليس هناك شيء خطير .

كان كانسوكيه ، الذي لا يستطيع أن يتحمّل رؤية وجه ميو المخضرّ ، يدير رأسه في الاتجاه المقابل . لقد كان من الرجال الذين ، كما يقال ، لا يستطيعون قتل ذبابة.

وأُحضرت النقّالة بعد قليل . وقد رفعها تاناكا وأحد أعضاء «رابطة الشبان» . وقادهم كانسوكيه بتمهّل لينزلوا درجات السلم الخطر ، مضيئاً أمامهم في المنعطفات بقنديل الجيب الذي معه . وفي ضوء القنديل الكهربائي ، كان وجه ميو ، بعينيها المطبقتين ، يشبه

قناع نو[1] . وكان يدعو الأولاد الذين يرونه لإطلاق صيحة خوف مصطنع .

كان ياكيشي يتبع النقالة وهو يدمدم بصوت منخفض : «ما أشدّ إذلال هذا الموقف! من يعلم ماذا سيقول الناس؟ لقد توجب أن تسقط مريضة في إبان العيد!» .

لم يكن عليهم لحسن الحظ ، أن يمرّوا أمام الحوانيت للوصول إلى المستشفى . واجتازوا رواقاً ، وبعد أن سلكوا طريقاً مظلمة وملتوية ، دخلوا إلى المستشفى . وحتى حين اجتازت المريضة ومرافقوها الباب ، ظل متسكعون طفيليون في الخارج . لقد بدأ العيد ، بتكراراته التي لا تنقطع ، يتعبهم . وصاروا يرغبون الآن في معرفة كيف سينتهي هذا الحادث الجديد . كانوا يحكّون الرمل بالأقدام ، ويتبادلون الهذر ، وينتظرون النتيجة بمرح ، ذلك لأن هذا الحدث الثانوي في العيد لم يكن شيئاً غير اعتيادي . وهو سيقدم ، خلال عشرة أيام على الأقل ، موضوعاً مسلياً للأحاديث .

كانت إدارة المستشفى قد تغيرت ، وأصبح رئيسها الجديد الآن طبيبٌ شاب . هذا الفتى المليء بالعجرفة ، كان يهزأ بأصول والده القروية ، وبأصول سلالته كلها ، وبملاكي الدارات (الفيللات) كما أن آل سوجيموتو كانوا يزعجونه . وحين كان يلتقي بهم على الطريق ، كان يحيّيهم بتلطّف ممزوج بالارتباك ، خوفاً من أن يكشفوا دهان ابن المدن الذي كان يشهره .

أُخذت المريضة إلى قاعة الفحص . واقتيد ياكيشي ، وايتسوكو ، وكانسوكيه ، وشياكو إلى قاعة انتظار تطلّ على الحديقة .

(١) «نو» Nô قناع يلبسه ممثلو الدراما الغنائية اليابانية المعروفة بهذا الاسم (عن «المنهل»).

ولم يكونوا يتبادلون الكلام ألبتة ، وكان ياكيشي لا ينقطع عن تحريك حاجبيه الكثيفين ، وكأنه يطرد ذبابة . وكان يأسف لأنه فقد تعقُّله . وهو لو لم يستدع تاناكا ، لما حدثت كل هذه القصة . ولما كانوا يحملون ميو على نقّالة ، وكان بعض المارّة القلائل هم فقط الذين سيشهدون الحادث . ومنذ أيام ، حين دخل ياكيشي إلى مكتب التعاونية الزراعية ، فإن أحد المديرين ، الذي كان يروي قصة مضحكة ، توقّف عن الكلام فجأة . كان ذلك هو الرجل الذي زار آل سوجيموتو في اليوم نفسه الذي كان يفترض بأن يحضر فيه الوزير لزيارة ياكيشي . فإذا كان هذا الأمر قد ضمن قصة جميلة ، فإن حدث هذه الأمسية سيكون أسوأ ، وسيفسح المجال بالتأكيد لافتراضات أكثر سوءاً أيضاً .

كانت ايتسوكو تتفحّص يديها ، المرتاحتين على ركبتيها . وعلى أحد أظافرها ، لاحظت نقطة دم قد جفّت . وبدون وعي تقريباً ، حمل الظفر الدامي إلى شفتيها .

شق رئيس الأطباء ، اللابس مئزراً أبيض ، الباب . وقال بهدوء ، وهو يكلّمهم وكأنه معتز بعلاقاته مع عائلة آل سوجيموتو :

ـ لا داعي للقلق . لقد استعادت وعيها .

لم يجد ياكيشي هذه المعلومة جديرة بالتعليق ، وسأل بلهجة مباغتة ، وسريعة :

ـ ما الذي سبّب هذا الإغماء؟

دخل الدكتور إلى القاعة ، وأقفل الباب ، ثم جلس بصورة مرتبكة ، وراح يسوي ثنايا بنطاله ، وقال بابتسامة مرتبكة أيضاً :

ـ إنها حامل .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

- ٤ -

إن صورة لريوسوكيه التي كانت ايتسوكو قد نسيتها منذ زمن طويل ، عادت لتحوم حولها منذ أن رأته في نومها المؤرق طوال الليل الذي تلا العيد . لكن هذه الرؤية كانت مجردة من هالتها العاطفية ، للرؤية التي ظهرت لها فوراً بعد موته . كانت الرؤية الجديدة فظّة ، مسيئة ، ومؤذية .

في هذه الرؤية ، تحوّلت الحياة معه إلى دروس لا نهاية لها في الغرفة السرية لمدرسة ملؤها الخزي والعار؛ لم يكن ريوسوكيه يحبّها ، بل كان يعلمها . لم يكن يعلّمها ، بل كان يروّضها .

يا لهذه الساعات القاسية والمقيتة ، التي كانت فيها مجبرة على أن تتعلم عن ظهر قلب أشياء لا تعدّ ولا تحصى! وضربات السياط ، وأعمال التأديب! بفضل هذا ، تعلّمت ايتسوكو الدرس؟ إذا كان يمكن قهر الغيرة ، فإنه يمكن التوقّف عن الحب .

كانت ايتسوكو تناضل بكل قواها للاستفادة من الدرس ، ولكن عبثاً .

كان التوقّف عن الحب إرغاماً فظيعاً . ولكن ، لأجل التوصُّل

إلى ذلك ، كان يمكن أن تتحمّل ايتسوكو أيّ حرمان ، لكن قبول هذا الإرغام ، والأمر أو التوجه الذي كان يتضمّنه كانا يصبحان غير مفيدين ، وذلك بفقدان عنصر أساسيّ .

لقد جاءت إلى «مايدن» بحثاً عن هذا العنصر ، وهي ، وتلك تعزية لها ، قد عثرت على ذلك العنصر . . . لكنه لم يكن ، ويا للأسف ، سوى محاكاة بارعة لتوجيه لا فائدة منه . لقد كان خاطئاً ؛ وإن ما كانت تخشاه ، وما كان يعذّبها ، أخذ يحدث مجدداً .

حين قال الدكتور وهو يبتسم قليلاً: «إنها حامل» ، أصاب ألم فظيع صدر ايتسوكو . لقد أحسّت بالدم يغيض من وجهها . وفي فمها ، كاد جفاف فظيع أيضاً أن يسبّب لها التقيؤ، ولكن لم يكن ينبغي أن تتستّر تماماً . لقد راقبت التعبيرات على وجوه ياكيشي ، وكانسوكيه ، وشياكو؛ كانت هذه التعبيرات تعكس دهشة مخلصة وعميقة وتبيّن أنهم قد بوغتوا .

«حسناً ، هذه المرة ، بوغتنا، ويجب أن تظهر عليّ بأيّ ثمن كان هيئة من بوغت» هكذا قالت ايتسوكو في نفسها، قالت شياكو: هذا أمر مخيف حقاً . ولست أستطيع تصديقه .

ـ هذه صدمة مزعجة ، أليس كذلك؟ هكذا قال ياكيشي وهو يحاول تخفيف نبرة الجدال ، وأضاف: وبالطريقة التي تتصرف بها الفتيات اليوم . . .

وكان ياكيشي يحرص على أن يفهم الطبيب بأنه لا دخل له في الموضوع (كان أوّل شيء خطر في ذهنه هو ما سيكلفه شراء صمت الطبيب والممرضة) .

وسألت شياكو : ألست مندهشة يا إيتسوكو؟

أجابت ايتسوكو بابتسامة مغتصبة : بلى .

وقال شياكو : مع برودة أعصابك ، لا شيء يدهشك .

كانت على حق . لم تكن ايتسوكو مندهشة ، ولم تتفاجأ بالأمر . بل كانت تحسّ بالغيرة .

كان كانسوكيه وشياكو يجدان هذه المسألة مثيرة للشغف . ولم يكن لديهما أية فكرة مسبقة أخلاقية ، وكانا يباهيان بذلك ، لكنهما ، بسبب هذا الموقف ، كانا لا يلعبان دائماً سوى دور متفرج مجرّد من أي شعور إنصاف . إن جميع الناس يحبّون التفرج على جريق ، لكن الذين يتأملونه من أعلى شرفة ليسوا أعلى مستوى من الذين يتفرّجون عليه من الشارع .

هل توجد أخلاقية بدون حكم مسبّق ، بدون تهمة جاهزة؟ إن حلمهم بعالم مثاليّ كان يساعدهم بشكل ما على تحمل الحياة في الريف ، ولأجل بناء هذا الحلم وجعله حقيقياً ، لم يكونوا يملكون سوى وسيلة واحدة : أن يعطوا نصائح . إن امتياز تقديم النصح كان يعطي هذين الزوجين المنسجمين الانطباع بأنهما منشغلان دائماً ، ذهنياً على الأقل . والحقيقة أن هذا الانشغال الذهني كان يلامس الحالة المَرَضية .

كانت شياكو تشعر بإعجاب غير محدود بسعة معارف زوجها ، الخفيّة جداً . وبعد كل شيء ، وإذا كان لا يتحدّث عن ذلك أبداً ، فقد كان يحسن قراءة اللغة اليونانية ، وكانت هذه ، في اليابان على الأقل ، مأثرة نادرة الوجود . . . وكان يعرف أيضاً علم قواعد اللّغة اللاتينية ، بحيث يستطيع أن يستشهد عن ظهر قلب بجذور الصيغ الصرفيّة لمئتين وسبعة عشر فعلاً لاتينياً . وكان يستطيع سرد الأسماء التي لا تحصى ، لجميع شخصيّات عدد كبير من الروايات الروسية .

وبالإضافة إلى ذلك ، كان قادراً على التكلّم طوال ساعات عن «النو» وإثبات أن هذه الدرامات الغنائية اليابانية هي من أعظم «الموروثات الثقافية» ـ كان يحب هذا التعبير ـ في العالم وأن أناقتها المرهفة والمنّقاة تشبه التقاليد الغربية الكبرى» . ومثل مؤلف يعتقد أنه عبقريّ لأن كتبه لا تباع ، كان يرى أن واقع كونه لا يدعى لالقاء محاضرات يشهد بأن العالم لم يصبح بعد مستعدّاً لتلقي رسالته ، (أي كانسوكيه) .

هذان الزوجان الواسعا الاطلاع والكبيرا الثقافة كانا مقتنعين بأن عليهما أن يقوما بإشارة فقط لكي يحدث تحوّل للبشريّة . وهذا الاقتناع لم يكن مزعزعاً لأن الزوجين لم يحاولا أبداً وضع هذه الفكرة قيد التطبيق . كان غرورهما يشبه غرور عسكريّ متقاعد . ولعل كانسوكيه قد ورث ذلك عن الرجل الذي يزدريه هو أكبر ازدراء : ياكيشي سوجيموتو .

كانت نصائحهما نزيهة عن الغرض ، ومجرّدة من المصلحة ، بحيث أنه إذا لاقى الشخص الذي كان ينبغي أن يتبع تلك النصائح ، ولم يفعل ذلك لأنه كان يعاني صعوبة ما ، فقد كانا يعلنان أن هذا الشخص هو ضحية أوهامه وأفكاره المسبقة . وكانا يمنحان نفسيهما الحق في تأنيب الجميع ، فيقعان بذلك في فخّ الواجب لمسامحة الجميع . وحسب وجهة نظرهما ، لم يكن لأيّ شيء قيمة .

كانا يشعران جيداً بأنهما يستطيعان بسهولة تحويل حياتهما ، لكنهما لم يكونا يريدان بذل الجهد من أجل ذلك . وكان الفرق بينهما وبين ايتسوكو هو أن حبهما الخالي من الجهد يرتكز على كسلهما الشخصي ، الخاص بهما .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

وهكذا ، ففي حين كان كانسوكيه وشياكو يعودان إلى منزلهما تحت سماء مهدّدة بالمطر ، في مساء يوم المهرجان ، في ساعة متأخرة ، كانا مبتهجين جداً في انتظار التفاصيل حول حمل ميو . وقد توجّب على هذه أن تقضي الليلة في المستشفى ، وهي لن تعود إلى المنزل إلاّ في صباح اليوم التالي .

قال كانسوكيه : ـ لا يوجد أي شك في صدد والد الطفل ، إنه سابورو .

ـ أجل بالتأكيد ، أجابت شياكو .

كان شعور بالأسف نادراً ما جرّبه ، يساور كانسوكيه لدى تفكيره في أن زوجته لا تشكّ فيه إطلاقاً . وقد عاش في هذا الصدد قليلاً من الغيرة ضد شقيقه المرحوم ، ريوسوكيه ، الذي كان بارعاً في غرامياته مع النساء .

ـ وماذا لو كان والد الجنين هو أنا؟

ـ لا تقل مثل هذه الأشياء . إنني لا أحب النكات البذيئة .

ومثل ولد ، وضعت شياكو يديها على أذنيها ، وهزّت جانبيها واتخذت هيئة الحرد . كانت هذه المرأة الجديّة تكره السخرية المبتذلة .

ـ إنه سابورو . ولا يمكن أن يكون شخصاً سواه .

كان كانسوكيه يعتقد ذلك هو أيضاً . إن ياكيشي ، بعد كل شيء ، لم يعد صالحاً لشيء كبير ، ويكفي النظر إلى ايتسوكو للاقتناع بذلك .

ـ إنني أتساءل إلى أين سيؤدي هذا كله . لا يبدو أن ايتسوكو تأخذ المسألة من الجانب الجيّد .

نظرا إلى ظهر ايتسوكو التي كانت تسير إلى جانب ياكيشي ، على بعد بضع خطوات أمامهما ، وقد خفضا صوتهما . كانت ايتسوكو تشدّ كتفيها وكأنها غاضبة . وكان واضحاً أنها تعاني انفعالاً قوياً .

ـ من هيئتها ، نجد أنها ما زالت عاشقة لسابورو .

ـ لا بد أن هذا شيء قاسٍ عليها ، لماذا هي دائماً سيئة الحظ؟

ـ أحياناً ، تأتي عمليّات الهجر بالجملة مثل عمليّات الإجهاض . وكان ينبغي أن تكون أعصابها قد اعتادت ذلك ، كما أفترض ، وفي كل مرة تقع في العشق ، يكون عليها أن تعاني الإجهاض .

ـ لكن ايتسوكو ذكية ، وأعتقد بأنها ستتوصل عما قريب إلى السيطرة على مشاعرها .

ـ سوف نجري معها حواراً بقلب مفتوح .

إن الإشخاص الذين لا يلبسون سوى ملابس جاهزة ، يميلون إلى الشكّ بوجود خيّاطين . وهذان الزوجان ، وإن كانا مأسورين بمآسي الثياب المصنوعة ، كانا عاجزين عن فهم أن مآسي أشخاص معيّنين مصنوعة على قياسهم . وقد ظلّت ايتسوكو بالنسبة للزوجين كانسوكيه وشياكو لغزاً معضلاً .

راح المطر يهطل في صباح ١١ تشرين الأول . وقد توجّب إقفال مصاريع النوافذ بسبب الريح ووابل المطر . ولأجل تمام السعادة ، لم يكن يوجد تيار كهربائي أثناء النهار . وكانت الغرف في الطابق الأسفل ، التي أصبحت مظلمة مثل كهف ، مليئة بنحيب ناتسيو الطويل الذي كانت تلهو أخته بتقليده .

إن نوبوكو التي كانت سيئة المزاج لأنها لم تؤخذ إلى العيد ، لم تذهب إلى المدرسة في ذلك اليوم .

هذه المضايقات قد حثّت ياكيشي وايتسوكو على زيارة كانسوكيه ، ولم يكن يوجد مصاريع نوافذ في الطبقة الثانية من المبنى ، لأن زجاج النوافذ كان متيناً ، ولم يكن المطر يدخل إلى ذلك المنزل بكثافة ، بل حدث تسرّب صغير ، وضع تحته دلو محاط بخرق القماش .

كانت هذه الزيارة حدثاً كبيراً . إن ياكيشي ، الذي كان يفضّل أن يكون وحيداً ، ويكتفي بأرض صغيرة في منزله هو بالذات ، لم يكن يدخل قط إلى غرفة كانسوكيه ، ولا إلى غرفة أزاكو . إذاً ، وهكذا ، فحين رأى كانسوكيه والده يدخل ، لم يوفّر أي جهد ليبين له كم أن هذه الزيارة تشرفه ، وسارع لمساعدة شياكو في إعداد الشاي . وقد تأثّر ياكيشي تأثراً لطيفاً :

ـ لا تزعجوا أنفسكم . لقد جئنا فقط لكي نلجأ إلى هنا فترة .

قالت ايتسوكو : أرجوكم ، لا تنزعجوا .

كان ياكيشي وايتسوكو يبدوان أنهما يمثّلان دوريْ مدير شركة وزوجته لدى زيارتهما أحد مرؤوسيهما .

وقد قالت شياكو فيما بعد : إنني أتساءل في أيّ شيء ممكن أن تفكّر ايتسوكو .

كانوا مسجونين في حاجز مطر كثيف جداً ، وكانت الريح قد هدأت قليلاً ، لكن ضجّة وابل المطر كانت لا تزال شديدة ، حادّة . والتفتت ايتسوكو لترى المطر يسيل مثل حبر على طول الجذع الأسود لإحدى الأشجار الضخمة القائمة في زاوية الحديقة . وكان لديها الانطباع بأنها سجينة في موسيقى رتيبة ، مرهقة ، عديمة الرحمة .

استسلمت ايتسوكو إلى سياق أفكارها :

«إن صوت المطر يشبه أصوات عشرات الآلاف من الرهبان الذين يتلون السوترا[1] . وياكيشي يثرثر . وكانسوكيه يثرثر ، وشياكو تثرثر . . آه ، كم أن الكلمات هي عديمة النفع! وكم هي تخلو من المعنى! وأية سخافات! وأي خداع يتضمّن هذا الانشغال الدائم ، هذا الإنفاق للطاقة من أجل نشاط عديم المعنى!

«ما من كلام يستطيع أن ينافس هذا المطر الجبّار القوّة والذي لا يرتدّ ولا يرحم . إن الشيء الوحيد الذي يستطيع أن ينافس صوت هذا المطر ، ويستطيع أن يحطّم هذا الجدار الميت من الصوت هو صيحة إنسان يرفض الانحناء أمام هذه الثرثرة ، صيحة روح بسيطة تجهل الكلام» .

وتذكرت ايتسوكو حينئذ العيد ، وحشد الأجسام العارية والوردية التي كانت تركض أمامها في ضوء أقصاب الخيزران المشتعلة المتوهّجة ، وصيحاتهم الشبيهة بأصوات الحيوانات الفتيّة .

كانت تفكر في دخيلتها : صيحات فقط ! هذا كل ما نحن بحاجة إليه .

وأعيدت ايتسوكو فجأة إلى الحقيقة الواقعية . لقد رفع ياكيشي صوته . كانوا يسألونها عن رأيها .

ـ ماذا سنفعل في صدد ميو؟ فإذا كان شريكها هو سابورو ، فعليه هو أن يقرّر . وسيكون علينا الانصياع لما سيعتقد أن من المستحسن

(١) السوترا Sutra هي مجموعة حكم تلخص التعاليم الهندوكية في الدين والأخلاق والحياة اليومية (عن «المنهل»).

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

القيام به . فإذا ألحّ على إنكار مسؤوليته ، فلن نحتفظ بسيّىء الخلق هذا . سوف نطرده ، ونحتفظ بـ «ميو» وحدها . وسنقوم حينئذ بالضروري لأجل إجهاضها . وستبقى الأمور عند هذا الحدّ . ولكن إذا اعترف سابورو بذنبه بشرف ، فسوف يستطيع أن يتزوّج ميو . وسيكونان زوجاً وزوجة ، وسيكون كل شيء على ما يرام . هاتان هما الامكانيتان اللتان لدينا .فما رأيك؟ ربما كانت أفكاري جذرية ، لكنني أحاول أن أعمل حسب روح الدستور الجديد.

لم تجب ايتسوكو بشيء . وصدرت عنها عبارة «حسناً . . .» ضعيفة جداً ، وغير مسموعة تقريباً ، وركزت نظرة عينيها السوداوين الجميلتين على نقطة معينة في السماء . كان صوت المطر يمكن أن يبرّر صمتها . ونظر إليها كانسوكيه وفكّر أن ألقاً جنوبياً يمرّ على قسمات وجهها.

وقال لها كانسوكيه ، عارضاً مساعدته : ـ لا يبدو أنك تعرفين جيداً ما هو أفضل حلّ ، أليس كذلك ، يا ايتسوكو؟

لكن ياكيشي كان صلباً لا ينثني . وهو لم يكن ينوي أن يكون صبوراً . لقد كان يقدّم هذا الخيار البديل بحضور كانسوكيه وزوجته ، لأنه كان يحسّ في ذاته حاجة ملحة لتجربة ايتسوكو ، ولحملها على المعاناة . كان سؤاله محسوباً لإجبار ايتسوكو إمّا على الدفاع عن سابورو ، بالدعوة إلى الزواج ، أو ، لأجل تبديد شكوك الآخرين ، وتأنيب سابورو ، مهما كلّفها ذلك ، والانضمام إلى مشروع التخلّص منه . ولو أن زملاء ياكيشي القدامى رأوه يتدنّى لاتخاذ تدابير معتدلة كهذا التدبير المقترح ، لما صدّقوا عيونهم.

كانت غيرة ياكيشي مسبّبة للانحطاط ، بصورة لا يمكن التعبير عنها . ولو أنه ، في قوة العمر ، رأى زوجته منجذبة نحو رجل آخر ،

فربما كان سيزيل هذه الأفكار الغريبة من رأسها ، بضربة من يده الخشنة ، الفظّة . لكن زوجته المرحومة لم يسبق لها أبداً أن كانت مصابة إلى هذا الحد. لقد كرّست نفسها فقط لمهمّة تعليمه طرائق التصرّف في المجتمع الجيد. والآن ، أصبح ياكيشي عجوزاً . إن عملية التقدّم في السن هذه ، التي كانت آتية من الداخل ، كانت مشابهة لوضع نسر محنّط بالقشّ ، يقوم العثّ بإفراغ داخله . وكان ياكيشي يرى جيداً تعلّق ايتسوكو بسابورو ، هذا التعلّق الذي كان ينمو ويتطور تحت بصره ، لكنه لم يكن باستطاعته أن يتّخذ تدابير حاسمة . كانت ايتسوكو ترى الغيرة تلمع في عيني هذا العجوز بكل عجزه وحقارته ، وتفكّر في غيرتها هي بالذات ، هذا الشيء الذي كان يملأها بغزارته التي لا تنضب ، وبـ «القدرة على التعذّب» هذه التي كانت تعيها وتشعر بها باستمرار ، والتي كانت تميل إلى التباهي بها أمام من يريد الاستماع إليها.

أجابت ايتسوكو بابتهاج على السؤال :

ـ أنا اعتزم التحدّث مع سابورو ، وأطلب إليه أن يوضّح موقفه بصراحة . وأنا أعتقد بأنّ هذا سيكون أفضل من أن تسأله أنت مباشرة ، يا أبتِ .

كان خطر مشترك يجعل من ياكيشي وايتسوكو حليفين . وليست الفائدة المشتركة هي التي تستثير عادة تحالف الأمم في هذا العالم : بل الغيرة والحسد.

وبعد هذا ، تبادل الأربعة جميعاً الأحاديث بصورة حميمة حتى الظهر . ولدى عودتهم إلى حجراتهم ، أرسل ياكيشي ايتسوكو إلى حجرة كانسوكيه مع ليبرة من كستنائه المنتقى بعناية .

لدى إعداد ايتسوكو الغداء ، أحرقت إصبعها قليلاً ، وكسرت صحناً صغيراً .

حين تكون المآكل رخوة ، كان ياكيشي يمتدحها . وحين تكون قاسية أو صلبة ، كان ياكيشي يجدها بلا طعم . وكان يحكم على طبخ ايتسوكو لا من طعمه ، بل من صفته الرخوة .

في أيام المطر ، حين تكون الشركة مقفلة ، كانت ايتسوكو تعدّ الوجبات في المطبخ . ولم يكن الأرز الذي كانت ميو قد طهته بالأمس قد سُكب بعد في علبة الخيزران ، لكنه وُضع في القدر لكي يحتفظ بسخونته . كان الأرز وحده هو الذي يشهد بأن ميو كانت هنا . وبعد إطفاء المجمرة ، ذهبت ايتسوكو لتطلب من شياكو رماداً ساخناً لإيقاد النار، ولدى نقلها هذا الرماد الملتهب نحو الفرن، أحرقت إصبعها الوسطى .

كان الألم يثير غضب ايتسوكو . ماذا لو صرخت؟ ولن يكون بأيّ حال هو سابورو الذي سيسمعها ويركض نحوها، بل سيكون ياكيشي الذي سيأتي منهمكاً جداً ، وكيمونوه المفتوح يكشف عن ساقيه السمراوين ، القبيحتين والمترهّلتين ، وسوف يسأل: «ما الخطب؟» كلا ، إنه لن يكون أبداً سابورو الذي سيحضر .

نشأت لديها فجأة الرغبةُ في الضحك ، ولو أنها استسلمت لضحك شديد ، فإن ياكيشي هو أيضاً الذي سيظهر . وسوف تضيق عيناه . وهو لن يضحك معها ؛ بل سيجهد فقط لاكتشاف سبب هذا الضحك . إنه لم يعد في سنّ تسمح له بالضحك بقلب طيّب مع امرأة . ومع ذلك فقد كان هو صداها الوحيد ، ورنينيها الوحيد ، ولا يمكن أن يقال بعدُ إنها امرأة مسنّة .

في المطبخ البالغة مساحته زهاء عشرين متراً مربعاً ، كانت بركة

ماء ، على أرض طينية ، تعكس الضوء الرمادي الذي كان يتسرب شحيحاً عبر الباب المزجّج . وكانت ايتسوكو ، المنتعلة قبقابها الخشبي الرطب ، الذي كان يلتصق بقدميها الحافيتين ، قد أدنت اصبعها المحترقة من لسانها ، وأبقت عينيها موجهتين نحو الباب ، وهي غائبة الذهن . وكان صوت المطر يملأ رأسها .

إن الحياة اليومية مضحكة بالتأكيد. لقد بدأت يداها تنحلان . وسكبت الماء في القدر ، ووضعت هذه القدر على النار ، وأضاف إليها السكر ، ثم قطع البطاطا الحلوة المقطعة في شرائح مدورة . وفي ذلك اليوم ، كان الغداء يتألف من بطاطا حلوة مطبوخة ، ومن لحم العجل المفروم الذي اشترته من أوكاماشي مع فطر طازج مقلي ، بالإضافة إلى انيامات[1] مبروشة .

كانت ايتسوكو تتحرك وتعمل ساهية، وهي تحلم مثل غسّالة أوانٍ .

كانت تفكر في دخيلتها: «لكن ألمي لم يبدأ بعد . فلماذا؟ إنني لا أعاني الألم بعد بصورة حقيقية . كان ينبغي أن يجمد الألم قلبي ، ويرعش يديّ ، ويقيد رجلي . فهل هذه أنا حقاً ، التي تقوم بإعداد وجبة طعام؟ ولماذا أفعل ذلك؟

«إنه حكم بارد ، دقيق ، مشوب بالإحساس. . . أستطيع أن استعمله لزمن طويل أيضاً . غير أن حمل ميو لا بد أن يجعل أساي كاملاً! ولكن لا بدّ أن شيئاً ما ينقصه ، شيئاً أكثر فظاعة ، أكثر إثارة للحزن ، يجب أن يضاف إليه ليجعله حزناً وأسى كاملين.

«وبانتظار ذلك ، عليّ أن أتابع خطة أعددتها بدقة وتمهّل

(١) انيامات ignames مفرد إنيام، وهي جنس نباتات معمرة ، درناتها نشوية تؤكل.

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كبيرين . سيكون من المؤلم لي أن أرى سابوبور . ولن يكون الأمر مسلّياً ألبتة . ولكن متزوجاً! ومني؟ (لا بدّ أنني فقدت عقلي!). أم من ميو؟ من هذه القروية ، هذه البندورة المعفنة، هذه البنت البلهاء التي تفوح منها رائحة البول؟

«على هذا النحو سيكون ألمي كاملاً. سيكون ألمي شيئاً كاملاً ، منجزاً تماماً . وربما سأستمدّ منه بعض التهدئة . سوف أعرف تهدئة قصيرة وكاذبة . وسوف أتعلق به . وسوف أؤمن بهذا الوهم . . . ».

سمعت ايتسوكو طائر قرقف يزقزق قرب النافذة . وضغطت جبهتها مقابل الزجاج ، ورأت الطائر يملس ريشه . بجناحيه المبلّلين . وكان غشاء أبيض بمثابة جفن ، يرف على عيني العصفور الصغيرتين اللامعتين . وكانت بقعة صغيرة بيضاء تخفق على صدره في حين أنه استمر يزقزق.

ورأت ايتسوكو في البعيد شيئاً لامعاً جداً . لم يعد المطر الآن سوى رذاذ. وكان وسط غابة الكستناء ، وراء الحديقة ، يتوهّج بالضوء ، ويتجلى مثل عشّ مذهب في معبد معتم .

وكفّ المطر كلياً في فترة بعد الظهر.

وذهبت ايتسوكو مع ياكيشي إلى الحديقة لإنهاض نباتات الورد التي فقدت دعاماتها . وكانت بعض الوردات مغمسة بماء المطر الموحل حيث كانت تعوم بثلاث أزهار ونثار من العشب.

رفعت ايتسوكو وردة وربطتها إلى دعامة بواسطة طرف خيط . ولحسن الحظ ، فإن جذع الوردة لم يكن قد تكسر . وكانت الزهرة ثقيلة بين أصابعها وقد وجدت مبرراً لكون ياكيشي معتزاً بورداته . وكانت ايتسوكو تتأمل البتلات الحمر الرائعة ، النديّة تماماً لقاء

أصابعها.

أما ياكيشي ، المستغرق في عمله ، فقد بقي صامتاً ، وبدون تعبير على وجهه تقريباً ، إن لم يكن بهيئة مزاج سيّء . وكان ينتعل حذاء من المطاط، ويلبس بنطالاً عسكرياً يلتصق لساقيه حين ينحني لرفع الورود . وحين كان ينفذ هذه المهمة ، كان موقفه كله ينمّ عن سلالته الفلاحية . وكانت ايتسوكو نفسها ، في مثل هذه اللحظات ، تخضع لجاذب ياكيشي .

وحاذى سابورو في تلك اللحظات ، الممشى المفروش بالرمل ، فتوقّف أمام ايتسوكو وقال لهما :

ـ اعذراني . لم أكن أعلم أنكما هنا . سوف أغيّر ملابسي . ثم أعمل في الحديقة .

ـ ليس الأمر ضرورياً ، لقد انتهينا ، هكذا قال ياكيشي دون أن ينظر إلى سابورو .

وحين رفعت ايتسوكو رأسها ، كان وجه سابورو الملوّح قليلاً يبتسم لها ، تحت قبعة القشّ الكبيرة . وكانت القبعة المبعجة الحافة، منحنية بصورة مائلة ، وكانت الشمس الغاربة ، تحدث علها بقعاً نيّرة .

وفي هذا الفم المبتسم ، كانت الأسنان ناصعة البياض ويبدو كأنّ مياه المطر قد غسلتها . وهذا البياض الطازج قد أيقظ تماماً ايتسوكو التي نهضت واقفة .

ـ لقد جئت في الوقت المناسب . عليّ أن أكلّمك . هل تسمح بأن تأتي معي ، من هذه الناحية؟

لم تكن ايتسوكو قد تكلمت من قبل أبداً بلهجة أليفة بل حميمة كهذه اللهجة . وبحضور ياكيشي الآن . كان يمكن أن تحمل أقوالها على الاعتقاد بتداعٍ حرّ وسهل ، مع نسيان ياكيشي . وكان يمكن لشخص لم يسمع سوى هذه العبارة ، أن يعتبرها دعوة جسورة . وقد رفضت ايتسوكو التفكير في الواجب القاسي الذي سيكون عليها القيام به فيما بعد ، وقد تلفّظت بهذه الكلمات ببهجة تلامس نشوة السكر ، وهذا ما طبع كلماتها بلطف غير متوقّع ، لم تستطع كبحه .

ألقى سابورو نظرة شك نحو ياكشي ، لكن ايتسوكو كانت قد أمسكت بسابورو من مرفقه ووجهته نحو الممشى المؤدّي إلى منزل آل سوجيموتو.

ـ هل ستتناقشان أثناء السير؟ هكذا صاح ياكيشي فيهما ، بصوت مضطرب قليلاً .

ـ أجل ، أجابت ايتسوكو .

إن ردّ فعلها السريع ـ العصبيّ ، غير الواعي تقريباً ـ قد حرم ياكيشي من فرصة حضور حديثها مع سابورو.

كانت سؤالها الأول لسابورو بلا معنى تقريباً.

ـ إلى أين كنت ذاهباً؟

ـ كنت أحمل رسالة إلى البريد.

ـ رسالة؟ أرني إياها.

مدّ لها سابورو بتهذيب بطاقة بريدية كان يمسك بها ملفوفة في يده . كانت الكتابة طفولية . وكانت البطاقة تلخص في بضعة سطور أحدث حدث في قصة سابورو : «بالأمس ، كان العيد هنا . وقد خرجت مع «رابطة الفتيان» وأحدثنا ضجة لا بأس بها . واليوم أنا

منهوك . لكن العيد كان ممتعاً جداً ومسلياً» .

حركت ايتسوكو كتفيها ضاحكة :

ـ هذا بسيط جداً ، هكذا قالت وهي تردّ البطاقة إلى سابورو ، الذي بدا مستاءً من تعليقها.

كان الممشى المفروش بالرمل ، والمحاط بأشجار القيقب ، تتخلّله بقع الشمس. وكانت قطرات المطر تتساقط عبر أوراق الشجر . وعلى بعض الأشجار ، كانت الأوراق قد أصبحت حمراء . وكانت الأغصان ترتعش في الريح . ونظراً إلى أنها كانت تصل إلى درجات السلّم ، فإن السماء التي كانت قد أخفتها الأوراق حتى ذلك الحين ، ظهرت مكشوفة . وكانت مرقّطة بالأبيض والأسود.

هذه السعادة التي لا يمكن التعبير عنها ، وهذا الامتلاء الصامت كانا يوقظان عند ايتسوكو شعوراً بالذنب . إن هذه اللحظة الصغيرة من السلام لم تكن تمنح لها إلّا لجعل ألمها أكثر شمولاً واكتمالاً . وقد بدأت تندهش من الفرح الذي أحسّته معها . فهل ستتابع أيضاً هذه المحادثة العبثية ، وعدم الوصول إلى ذلك الموضوع المزعج؟

اجتازا الجسر . كان مستوى الجدول قد ارتفع . وفي التيار الموحل ، كانت مجموعات من النباتات المائية ، في جدائل خضراء ، تظهر وتختفي ، ويحملها التيار. وعبرا دغل الخيزران فبلغا دربا يطلّ على كل امتداد حقول الأرز المغمسة بمياه المطر .

توقّف سابورو ، ونزع قبعته .

ـ حسناً ، إنني أفارقك.

ـ هل أنت ذاهب لوضع بطاقتك في البريد؟

ـ أجل.

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

ـ عليّ أن أحدثك . ألا تريد أن تضع البطاقة في البريد الآن؟

ـ بلى، يا سيدتي .

مرّ ضوء قلق في عيني سابورو . كيف أمكن لايتسوكو ، التي كانت جدّ متباعدة دائماً ، أن تعامله بشكل حميمي مثلها الآن؟ إنها أوّل مرة يحس بها قريبة جداً منه ، ويسمعها تكلّمه على هذا النحو ، كان متضايقاً ، ومدّ يده نحو ظهره .

سألته ايتسوكو : ما بال ظهرك؟

ـ لقد جلفت ظهري في الليلة الماضية ، في العيد .

ـ هل تحس بألم؟ سألته وهي تزوي حاجبيها .

ـ كلا ، إنني أحسن حالاً الآن ، هكذا قال بمرح .

وفكرت ايتسوكو «إن لحمه الفتيّ عصيّ على الدمار» .

كان الوحل وأعشاب الدرب المبلّلة توسخ أقدامهما . وضاق الدرب بعد قليل ، وأصبح يستحيل عليهما السير جنباً إلى جنب . وتقدمته ايتسوكو ، رافعة قليلاً ذيل كيمونوها .وراحت تتساءل فجأة ما إذا كان سابورو يتبعها تماماً . وأحست بميل لمناداته باسمه ، لكنها وجدت أن من المربك مناداته ، أو الالتفات لرؤية ما إذا كان يتبعها .

وسألته بعد وقت قصير ، وهي تلتفت إليه : ألم تكن تلك درّاجة؟ .

ـ كلا ، يا سيدتي .

كان وجه سابورو المضطرب قريباً جداً من وجهها .

قالت وهي تخفض عينيها :

ـ أوه، لقد حسبت أنني سمعت رنين جرس .

وجدت لذّة في رؤية القدمين الكبيرتين العاريتين ، عديمتي المهارة ، قدمي سابورو قرب قدميها ، الملطختين بالوحل ذاته .

كما كانت العادة ، لم تكن هناك عربات في الشارع العامّ . وكان سطحه المعبّد بالاسفلت قد جفّ بسرعة . وكانت برك مياه هنا وهناك تعكس السماء المرقطة بالأسود والأبيض . وكان خطّ الطريق الواضح ، الذي يبدو وكأنه مرسوم بالطبشور ، يغيب في الأفق ، وفي السماء الزرقاء الباهتة للمغيب الوليد .

سألت ايتسوكو ، وهي تسير إلى جانب الشابّ :

ـ هل تعلم أن ميو حامل؟

ـ أجل، أنا أعلم .

ـ وكيف عرفت ذلك؟

ـ ميو قالت لي .

ـ آه، فهمت .

أحسّت ايتسوكو بأن قلبها ينبض بصورة أسرع . كانت تعلم بأنها ستعرف الحقيقة المرّة من فم سابورو ذاته . كان ثمة ، في عمق تصميمها ، أمل غامض في أن يكون بإمكان سابورو أن يقدّم برهاناً مضاداً . إن عشيق ميو ، يمكن أن يكون ، مثلاً ، فتى معيّناً من «مايدن» لصاً كان يمكن أن يحذّرها منه سابورو ، وهي نصيحة يمكن أن تكون ميو قد تجاهلتها . أو أن الأمر يتعلق بمغامرة مع رجل متزوج ، هو بلا شك موظف في «الاتحاد الزراعي» .

كانت ايتسوكو تجترّ في ذهنها هذه الممكنات وهذه المستحيلات التي كانت ، على التوالي ، تعددها أو يبدو أنها تساند الحقيقة ، وكانت نتيجة ذلك تأجيلها السؤال الحاسم . وكان الجو وكأنما مئات

الألوف من الجزيئات البهيجة تختبىء في الهواء المندّى بالمطر ، وتتدافع نحوها مئات الآلاف من العناصر من أجل انصهار جديد. إن تنشّق مثل هذا الهواء كان يجعل خدّيها أحمرين مورّدين . وسارا فترة صامتين ، على الطريق المقفرة . ثم قالت ايتسوكو فجأة :

- ابن ميو. . . حسناً، من هو أبوه؟

لم يجب سابورو ألبتة .

إن الصمت حين يمتد إلى ما وراء وقت معيّن ، يتخذ مدلولاً جديداً . لم يكن باستطاعة ايتسوكو تحمُّل انتظار كهذا . وأغمضت عينيها ، ثم فتحتهما . كانت كأنها هي من يُضْغط عليه للإجابة. ونظرت خلسة إلى وجه سابورو ، المحوّل بعناد ، والذي كان مشهده الجانبي مرسوماً تحت قبعته من القشّ.

- هل هو أنت؟

- أفترض ذلك.

- أنت تفترض. ألست متأكداً؟

- بلى.

تضرّجت وجنتا سابورو.

ورسم ابتسامة مغتصبة:

- إنه أنا.

كان الشيء قد حدث بسرعة كبيرة ، وقد عضّت ايتسوكو المشدوهة، شفتيها . كانت قد لجأت إلى أمل ضعيف بأنه سيحزر أن لطفاً بدائياً نحوها سيملي عليه إنكاراً، بل وحتى كذبة ساذجة.

هذا الأمل تلاشى الآن . فهي لو أنها احتلّت أقل مكان في قلبه ، لما قام بمثل هذا الاعتراف . لقد توصّل ياكيشي وكانسوكيه إلى

الاستنتاج بأن سابورو هو والد الطفل ، وهي ذاتها تعتبر ذلك شيئاً بديهياً : لكنها اقتنعت بأن سابورو سينكر ذلك في النهاية ، مدفوعاً بالخوف والارتباك .

وقالت ايتسوكو في تعب: إذن ، أنت تحبّ ميو؟

كانت تلك كلمة ليس لها أي معنى بالنسبة لسابورو . لقد كانت خارج مدلولها ، وهي تنتسب إلى مفردات مترفة . وكانت بصورة ما فائضة عن الحاجة ، ولا تستلزم أية ضرورة ملحّة . وفي علاقاته الحارة ، ولكن المتقطعة ، مع ميو ، كانا مثل مغنطيستين تجتذب إحداهما الأخرى حين تكونان في المجال المغنطيسي ، لكنهما تكفّان عن ذلك خارج هذا المجال ، ولم يكن للحب هناك أي مكان.

لقد انتظر سابورو أن يرغمهما ياكيشي على قطع هذه العلاقات ، ولم يكن ليشكل ذلك بالنسبة لسابورو هماً كبيراً . وحتى بعد أن أبلغ بحمل ميو ، فإن الغريزة الأبوية لم تستيقظ عند هذا البستانيّ الشاب.

وبمثابة ردّ على أسئلة ايتسوكو ، كانت ذكريات مختلفة تعود إلى ذاكرته . فبعد شهر تقريباً من مجيء ايتسوكو إلى «مايدن»، أرسل ياكيشي ميو إلى العنبر لإحضار رفش كان عالقاً بحيث لم يكن باستطاعة ميو أخذه من مكانه. فذهبت لتطلب مساعدة من سابورو. وإذ كان يجهد لإخراج الرفش ، مرّرت ميو ، ربما لكي تساعده ، رأسها تحت ذراعي الشاب لإبعاد طاولة قديمة كانت تحجز الرفش. وأحس سابورو بالرائحة الثقيلة للمرهم الذي كانت تضعه على وجهها ، ممزوجة برائحة العنبر العفنة . ومدّ نحو ميو الرفش المحرر، لكنها بدلاً من أن تأخذه ، ظلت واقفة ، دون كلام ، ونظرها مثبت عليه . ومدّ سابورو بلا وعي ساعديه ، وعانق الفتاة.

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

هل كان ذلك هو الحب؟

حين انتهت تقريباً أمطار الربيع، وكانت تثقل على سابورو الحرارة المثيرة في نهاية الخريف، قرّر الشاب فجأة أن يخرج عبر النافذة وسط المطر الليلي . وسار في نصف دائرة حول المنزل ودقّ على نافذة ميو . وعبر زجاج النافذة ، كان يستطيع أن يرى الوجه النيّر لميو الراقدة .

فتحت عينيها ولاحظت وجه سابورو في العتمة ، ثم خطّ أسنانه الأبيض . وبأية سرعة غريبة ألقت هذه الفتاة ، التي كانت تفعل كل شيء ببطء أثناء النهار ، بأية سرعة ألقت عنها الأغطية وقفزت خارج السرير! كان أحد نهديها خارجاً من قميصها الليلي المكشوف. كان ثديها متوتّراً مثل قوس وكان يمكن الاعتقاد بأنه بانبثاقه هكذا ، أزاح القميص وكاد يمزّقه . فتحت ميو النافذة ، مع حرص شديد بعدم إحداث أية ضجة . كان سابورو يقف أمامها ، مظهراً في صمت قدميه الموحلتين . فسارعت وتناولت خرقة ، ونظفتهما .

هل كان ذلك هو الحبّ؟

كل هذا عاد إلى ذاكرة سابورو في لحظة . كان يشتهي ميو ، هذا مؤكد ، لكنه لم يكن يحبّها . كانت أفكاره اليومية تتصل على الأخص ، بعمله ، لكنه كان يستسلم أيضاً لأحلامه: إذا ما نشبت الحرب مجدداً ، فسوف يحقّق رغبته في التطوع في البحريّة؛ ثم كان يفكر في نبوءات ديانة «تيرني» ، ويتصور نهاية العالم حيث سيسقط المنّ من السماء؛ وكان يستعيد ذكرياته السعيدة وهو تلميذ ، وعمليات الركض في الجبل وفي المروج؛ وكان يحسب أيضاً ماذا سيكون غداؤه . لم يكن يفكر في ميو إلاّ نادراً .

هل كان يشتهيها؟ كلما فكّر في هذا المفهوم كان يبدو له بلا

أساس. كان مثل حاجته إلى الغذاء . إن كل نضال داخلي لقهر الرغبات لم يكن له أية صلة بهذا الشاب السليم الصحّة .

على هذا النحو فكر سابورو لحظة في هذه المسألة التي لا يمكن فهمها . وهزّ رأسه مرتبكاً :

ـ كلا .

لم تكن ايتسوكو تستطيع أن تصدق أذنيها .

كانت اللهجة التي يعكسها وجهها مشابهة للقلق . لم يكن سابورو يرى تعبير وجهها . كانت نظرته يجتذبها قطار هانكيو الذي يكاد لا يرى وراء الأشجار. ولو أنه رأى هذا التعبير على وجهها ، لكان فوجىء بالألم الذي بدا أن جوابه سبّبه لايتسوكو ، ولكان غيّره بلا شك .

ـ إذاً كنت لا تحبّها . . .

كانت ايتسوكو تتكلم ببطء ، متذوقة بهجة كل كلمة .

ـ هل أن جوابك هو صادق وأمين؟

وبدا أنها تريد جعله يكرّر هذه الـ «لا» ، دون التعرّض لمجازفة جعله يقول العكس .

ـ لا يهم إذا كنت تحبّها أم لا ، ولكن يجب أن تقول شعورك الحقيقي . أنت لا تحبّ ميو ، أليس كذلك؟

لم يعر سابورو انتباهه البتّة لهذه الكلمات «أتحبها . . . أم لا تحبها؟ . .» وكان يفكّر في دخيلته «يا له من ضياع وقت عبثي! إنها تتكلم عن هذه المسألة البليدة وكأنها تكفي لقلب العالم» .

دسّ يديه في جيوبه واكتشف فيها قطعة من الحبار[1] ، وهي من

(١) حبار Seiche أو سيبدج ، حيوان بحري من الرخويات .

بقايا ما أكله مع خمرة الساكي مساء العيد.

وتساءل: وماذا لو أخذت أمضغ قطعة الحبار، هذه؟

كانت جدّيّة ايتسوكو تمنحه الرغبة في مناكدتها. فأخرج من جيبه قطعة الحبار، وألقى بها بمرح في الهواء، بنقفةإصبع، والتقطها بفمه مثل كلب يلهو. ثم قال بهدوء:

ـ هذا صحيح. أنا لا أحبّها.

لو أن ايتسوكو، التي تتظاهر بالأهمية، ستنقل إلى ميو أن سابورو لا يحبّها، فإن هذا ما كان يشكل أي فارق. فهؤلاء العشاق الغريزيون لم تقلقهم أبداً معرفة ما إذا كانوا يحبّون أم لا.

إن الألم الطويل جداً يجعل المرء بليداً، لكن الشخص الذي جعله الألم بليداً يستطيع أن يعرف البهجة أيضاً. من وجهة النظر هذه كانت ايتسوكو تراقب وتقوم بحساباتها. وهي لم تكن تدرك بأنها تجعل من نفسها متبنّية لمجموعة القوانين التي وضعها ياكيشي. لم يكن سابورو يحبّ ميو؛ وبالتالي، فقد كان عليه أن يتزوّجها. ولأجل زيادة خطورة الأمور، كانت تختبىء وراء قناع مراءٍ بإرغامها سابورو على العمل وفقاً للحكم الخلقي الذي يدعي أن رجلاً صنع طفلاً لامرأة لا يحبّها، يجب أن يتحمّل مسؤولية ذلك ويتزوّجها.

قالت ايتسوكو: يا لك من شخص سيّىء! إنك لا تحبّها لكنك جعلتها حاملاً. إذن يجب أن تتزوّج ميو.

حوّل سابورو فجأة نحو ايتسوكو عينيه الجميلتين المتوهّجتين، وردّ لها نظرتها. واشتدّ صوت ايتسوكو قسوة، وهذا ما ساعدها على احتواء نظرة الشاب:

ـ لا تقل إنك ترفض ذلك. لقد كانت عائلة سوجيموتو دائماً متسامحة نحو الفتيان، لكنها تتطلّب بأن يتحمل كل شخص مسؤولياته. وهذا هو أمر الأب، وسوف تتزوّجان.

ذُهل سابورو. وهو لم يكن ينتظر مخرجاً كهذا. لقد اعتقد، وهو يضع الأمور على حدّها الأسوأ، بأن ياكيشي سوف يقرر نهاية علاقاتهما. ولكن إذا كان الزواج هو ما يرغب فيه، حسناً، فليكن. والاعتبار الوحيد الذي كان لا يزال يمنع سابورو، كان هو ماذا تقول أمّه، التي لم تكن سهلة.

ـ الأفضل أن أسأل أمي ما رأيها في هذا الأمر.

ـ وأنت نفسك، ما هو رأيك؟

لن تكون ايتسوكو راضية إلّا حين تقنع هي شخصياً سابورو بالزواج.

قال: إذا قال السيد إن علي أن أتزوج ميو، فسأفعل ذلك.

وبعد كل شيء، فإن هذا لم تكن بالنسبة له أهمية كبرى.

وقالت ايتسوكو بمرح: إنك تزيل بهذا عبئاً عن ذهني.

هذا، بالتأكيد، ما كان يبسّط الأشياء.

كانت تهدهد نفسها بصياغاتها هي ذاتها، وكانت تثمل بوضع سابورو السعيد هذا لدى زواجه من ميو ضد مشيئتها. ألم يكن ثملها هو نشوة امرأة تهدىء حالات قلقها بشرب الخمرة؟ أفلا تبحث هي لا عن نشوة ونسيان، بل عن عماوة تحملها عن عمد نحو حكم بليد؟ ألم تكن نشوة الثمل هذه التي لا تقاوم هي واقع حساب لاواعٍ سيوفر عليها الألم؟

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كانت كلمة «زواج» مخيفة بالنسبة لايتسوكو ، وكانت تتمنى الآن أن تترك لياكيشي مسؤولية التلفُّظ بهذا المدلول الرهيب، وهي مسؤولية يمنحها له استبداده ، وكانت تعتمد في هذا على ياكيشي ، مثل طفل يختبىء وراء رجل ناضج ليرى مشهداً مرعباً.

وراء محطة سكة حديد أوكاماشي ، هناك حيث تنعطف الطريق إلى اليمين وصولاً إلى الشارع العام ، التقيا بسيارتين كبيرتين وجميلتين من طراز شيفروليه إحداهما ذات لون لؤلؤي ، والثانية زرقاء سماوية . كان المحركان يهدران بلطف حين تجاوزتا المنحنى . وكانت العربة الأولى ملأى بشبان وبفتيات يفيضون مرحاً . وسمعت ايتسوكو لدى مرورهما موسيقى جاز من جهاز راديو . وكان يقود الثانية سائق ياباني . وفي العتمة، على المقعد الخلفي ، كان زوجان ذوا نظرات حادة جالسين بلا حراك . كانا أشبه بطائرين من الكواسر.

نظر إليهم سابورو فاغر الفم بإعجاب وهم يمرّون .

ـ إنهم يعودون إلى أوزاكا ، أليس كذلك؟ قالت ايتسوكو .

وفجأة ، بدا لها أن ضجة المدينة تحملها إليها الريح وتملأ أذنيها.

بالنسبة لايتسوكو ، التي كانت تعرف بأن المدينة ليس فيها شيء كثير تقدّمه ، لم تكن أوزاكا تملك أي جاذب من الجواذب التي يجدها فيها ناس الريف . ومؤكد أن المباني الكبرى كانت توحي بأسرار جديدة دائماً ، لكن هذه المنشآت العالية لم تكن تحتوي بالنسبة لها على أية فتنة ولا على أي سحر.

تمنّت ايتسوكو بشدة أن يمسك سابورو بذراعها . إنها بالاستناد إلى ذراع سابورو ، المكسوة بزغب مذهب ، ستهبط في الشارع ،

للذهاب إلى أيّ مكان . وعما قليل سيصلان إلى أوزاكا ، في الوسط الجميل لهذا التجمّع المديني الرئيسي . وسيؤخذان بعد قليل ويُكنسان في الأمواج البشرية . وهي سوف تستيقظ فجأة لتنفار حولها باندهاش . ومنذ هذه اللحظة ، كما يبدو ، ستبدأ الحياة الحقيقية لايتسوكو .

هل سيأخذ سابورو بذراعها؟

كان هذا الشاب الهادىء ضجراً بهذه الأرملة الأكبر منه سناً ، والتي تسير بصمت إلى جانبه . وكان بعيداً عن أن يشكّ في أنها ، لأجله وحده ، كانت كل صباح تسوّي شعرها بكل هذه العناية . والفضول وحده هو الذي حمله على إلقاء نظرة على الضفائر الساحرة لشعرها الجميل المعطّر . ولم يكن له أبداً أن يتخيّل أنه في هذه المرأة البعيدة بصورة غريبة والمتكبرة تبرعمت هذه الرغبة ، رغبة فتاة صغيرة أمسك بها من ذراعها . وتوقّف بغتة واستدار :

ـ هل صار علينا أن نعود؟
سألت ايتسوكو .

رفعت نحوه عينين متوسّلتين حيث كان ألق أزرق يبدو أنه يعكس السماء المسائية.

ـ الوقت تأخّر، يا سيدتي.

لقد ذهبا إلى أبعد مما اعتقدا. وفي البعيد ، وراء الغابة المظللة ، كان منزل آل سوجيموتو يلمع في الشمس الغاربة .

ووجب لهما نصف ساعة للعودة إليه .

* * *

في ذلك الحين بدأ عذاب ايتسوكو ، وهو عذاب قامت بإعداده بدقّة بجميع تفاصيله . كان هو عذاب الإنسان السيّىء الحظ الذي عمل طيلة حياته لتحقيق عمل ناجح أخيراً ، والذي ، ما أن ينجزه ، حتى يكون عليه أن يتألّم ويجابه الموت . إن الذين شهدوا نضاله يمكن أن لا يكونوا قادرين على تقرير ما إذا كان قد جهد طيلة حياته لتحقيق مهمته أو لكسب امتياز التألّم والموت في شقّته البديعة الخاصة في مستشفى .

لقد صمّمت ايتسوكو على أن تنتظر بأناة وصبر، وبابتهاج ، وخلال زمن غير محدود ، سوء حظ ميو ، وألم ميو الذي سيمضي متزايداً ، ومثل عفونة ، سيقرض جسدها . كانت ايتسوكو تنتظر بتصميم ، وبدون ضعف ، تطوّر هذا الزواج بدون حبّ ، لكي تراه ، تماماً مثل زواجها ، يسقط أطلالاً وخرائب . إنها تعطي حياتها لترى ذلك بعينيها هي بالذات . وهي سوف تنتظر ، إذا لزم ، أن يشتعل شعرها شيباً . إنها لم تعد تتمنى أن تكون عشيقة سابورو . وكان كل ما هو ضروري لها ، هو أن تفقد ميو ، أمام ناظريها هي ، أي ايتسوكو ، كل أمل ، وأن تعرف القلق والغصّة ، وأن تقع في الجنون ، والإنهاك ، وانحطاط الهمّة ، لكن حساباتها ، دون أدنى شك ، قد أخفقت .

تبعاً لنصيحة ايتسوكو ، أعلن ياكيشي علاقة سابورو وميو . وعلى أسئلة الألسن الشريرة ، كان يجيب بأنهما سيتزوجان .

ولأجل صيانة نظام المنزل ، احتفظا بحجرتيهما منفصلتين ، ولكن كان مسموحاً لهما أن يرقدا معاً ، مرة في الأسبوع . وكان سابورو ينتظر عيد «تيرني» الكبير، في ٢٦ تشرين الأوّل، وبعد أن يتحدّث سابورو مع والدته ، سيتخذ ياكيشي كلّ الترتيبات لأجل الزواج .

كان ياكيشي يهتمّ بالتحضيرات بنوع من الشغف والحبّ . وكان، بالابتسامة اللطيفة والودّية لشيخ طيّب لم يتخذها أبداً من قبل ، وبموقف تفهُّم تام جداً ـ كان يعلن ، بكلمات مفخمة ، تسامحه إزاء علاقات سابورو وميو. وبديهي أن تفكير ايتسوكو الدائب هو الذي كان يملي على ياكيشي هذا الموقف الجديد.

يا لها من خمسة عشر يوماً كانت مذهلة بالنسبة لايتسوكو! كانت تعيش مجدداً ، بقوة متزايدة ، الليالي بلا نوم ، ليالي العذاب هذه في الصيف وفي بداية الخريف حيث لم يكن زوجها يعود أبداً إلى المنزل. وكانت تعيش أيضاً من جديد تلك النهارات اللامتناهية التي كانت تقضيها وهي تتساءل إذا كان عليها أن تتّصل به هاتفياً أم لا ، كما كانت تعيش القلق الذي يسبّبه لها كل صوت خطى تقترب . وخلال عدة أيام ، كان يستحيل عليها أن تأكل أي شيء؛ وهي لم تشرب سوى الماء وظلّت في السرير. وفي صباح أحد الأيام ، بعد أن شربت قليلاً من الماء ، وأحست طراوته تنتشر في داخلها ، فكرت فجأة بأن تسمّم نفسها . وفي حين كانت تتخيّل بهجة الإحساس ببلورات السمّ البيضاء الممزوجة بالماء تنفذ شيئاً فشيئاً إلى جسمها ، سقطت في نوع من الوجد والذهول والنشوة ، وسكبت دموعاً بلا مرارة.

كانت تحسّ مجدداً بأعراض ذلك الوقت ، وتلك الارتعاشات الغامضة السبب ، وهذه النوبات المحمومة التي كانت تسبّب لها القشعريرة ، وتجلدها حتى أطراف أصابعها . لا بدّ أن هذا هو برد السجن . والسجناء وحدهم يمكنهم أن يرتجفوا على هذا النحو .

وتماماً كما في الزمن الماضي، كان غياب ريوسوكيه قد عذّبها ، فإن حضور سابورو كان عذاباً لها . وحين ذهب ، في هذا الربيع ، إلى «تيرني» ، أحسّت بأنها أقرب إليه مما كانت حين حضوره . لكنها

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

الآن ، مقيّدة اليدين . وكان عليها أن تتحمّل حميميتهما دون أن تستطيع أن تفعل شيئاً حيال ذلك . كان عقابها قاسياً ، عديم الرحمة . وإضافة إلى ذلك ، كان عقاباً فرضته هي على نفسها .

كانت نادمة لأنها لم تنصح ياكيشي بصرف سابورو وإجهاض ميو . وكانت تأسف أسفاً عميقاً لكون رغبتها الطبيعية في أن لا تنفصل عن سابورو قد جعلتها ترتمي في هذا العذاب الرهيب .

ولكن ألا يوجد عنصر خيبة أمل من الذات في أسف ايتسوكو؟ أفلم تضع أملها هي في هذا العذاب؟ أليس هذا عذاباً طبيعياً كان عليها أن تتوقّعه ، وقد أرادته هي ، في الواقع ، ورغبت فيه؟ أفلم ترغب هي ، قبل ذلك بوقت قليل ، رغبة حارّة في مجابهة هذا العذاب الأكبر؟

في ١٥ تشرين الأول كان من المقرر فتح سوق للثمار في أوكاماشي . ونظراً لأن المنتوجات المنتقاة سترسل إلى أوزاكا ، فإن الطقس الجميل في ١٣ تشرين الأول بدا أنه الشيء المناسب لأجل قطف ثمار الكاكي (مشمش اليابان) . وقد بذل آل سوجيموتو وآل أوكورا كل جهودهم لأن هذه الثمار كانت أجمل ثمار في العام كله .

كان سابورو يتسلّق الأشجار وميو تنتظر في الأسفل ، مناولة إياه السلال الفارغة . إن حركة الأغصان التي كانت تسحب ثم تنهض إلى الأعلى مجدداً ، كانت تظهر سماء زرقاء مضطربة . وكانت ميو تنظر إلى قدمي سابورو حين كان يتحرّك بين أوراق الشجر .

ـ لقد امتلأت! صاح فجأة سابورو.

صدمت السلة الملأى بثمار لامعة الأغصان الواطئة واستقبلتها ميو بين ذراعيها الممدودتين . وبلا مبالاة ، وضعت السلّة على

الأرض ، وباعدت ما بين ساقيها في بنطالها القطني ، وفصلت السلة ، ورفعت سلة أخرى فارغة .

ـ اصعدي! قال سابورو.

ـ لقد جئت! هكذا أجابت وهي تتسلّق الشجرة بسرعة مدهشة .

سمعت ايتسوكو أصواتاً في الشجرة . كانت تتقدّم ، وقماشة بيضاء تغطي رأسها وكمّاها مشمّران ومربوطان بمرسة رفيعة ، ومعها سلال فارغة موضوع بعضها فوق بعض. كانت تستطيع أن ترى سابورو يمنع ميو من الصعود . وعلى سبيل اللعب ، كان يحاول فصل يديها عن الغصن الذي كانت تتعلّق به . وكانت تطلق صيحات ، وتمدّ يداً نحو عرقوب سابورو المعلّق أمامها . ولم يكن بوسعهما رؤية ايتسوكو ، التي كانت تخبئها الأغصان .

عضّت ميو يد سابورو . فراح يضحك ووجّه إليها سباباً . وتسلقّت غصناً فوق الغصن الذي كان يشغله وهدّدها برفسة من رجله على وجهها . وأمسك بركبتها وظلّ ممسكاً بها . وحتى ذلك الحين ، ظلّت الأغصان تهتزّ بشدّة . والآن ، كانت أكاليل الأوراق وثمار الكاكي ـ وكانت هذه ما زالت عديدة ـ ترتعش كأنها كانت يحركها نسيم خفيف. وكانت الأشجار القريبة ترتجف معاً.

أغمضت ايتسوكو عينيها وابتعدت . وسرت في ظهرها ارتعاشة جليدية.

وعوى ماغي .

كان كانسوكيه جالساً في الخارج على حصير، أمام باب المطبخ ، مع المزارعة ، وأزاكو ، وهم يقومون بفرز ثمار الكاكي. ولم يلزمه ألبتة وقت لاكتشاف العمل الذي يكلفه جهداً أقل.

وسألها: يا ايتسوكو ، أين هي ثمار الكاكي؟

لم تجب على سؤاله.

ـ ماذا هناك؟ أنت بيضاء مثل قماشة بياض.

سارت دون أن تقول شيئاً ، واجتازت المطبخ ، خارجة إلى وراء المنزل واتجهت بلا وعي نحو ظل أشجار السنديان . وألقت السلال الفارغة أرضاً ، وركعت على ركبتيها ، ودسّت وجهها بين يديها.

في المساء، عند العشاء ، وضع ياكيشي عيدانه وقال بابتهاج :

ـ إن سابورو وميو هما مثل كلبين فتيين ، واليوم ، صنعت ميو قصّة كاملة بادعائها بأن نملة قد اندسّت في ظهرها ، وكنت هناك ، لكنني اعتقدت أن من شأن سابورو القبض على تلك النملة . وقد ذهب نحو ميو ، وهيئته ضجرة جداً ، مثل سعدان لا يعرف ألعاباً . ولكن عبثاً جسّ جسم ميو ، فلم يعثر على النملة .

ومن الصعب القول ما إذا كانت ثمة نملة . ولكن بعد قليل ، فإن ميو ، المدغدغة ، بدأت تضحك وتتلوى . كانت تضحك دون أن تستطيع التوقّف . هل سبق لك أن سمعت الحديث عن امرأة أُجهضت لفرط ما ضحكت؟ ويقول كانسوكيه إن ولد امرأة تضحك كثيراً يكبر بسرعة بعد ولادته لأنه يكون قد دُلّك في صدر أمه .

هذه القصة المضافة إلى ما شاهدته في ذلك اليوم ، أعطت ايتسوكو الانطباع بأن كل جسدها كان مزروعاً بإبر ، وبأن عنقها محاط بغلٍّ جليدي . وأخذ يسيطر عليها شيئاً فشيئاً عذاب ذهنيّ ، غامراً كل كيانها مثل نهر في حالة مدّ يفيض على حقول الأرز .

وكان يبدو أن الذهن ، المتعب من دوره ، قد أرسل إشارات الاستغاثة .

كانت ايتسوكو تتابع سياق أفكارها .

«أين أنت الآن؟ إن سفينتك هي على أهبة الغرق. وأنت، ألم تستنجدي حتى الآن؟ هذه السفينة، أسأت أنت التصرف في صددها ، وحرمت نفسك هكذا من مرفأ . لقد حلّت الساعة التي ينبغي لك فيها أن تعومي سابحة بقواك الخاصّة . إن كل ما ينتظرك هو الموت . فهل هذا هو ما تتمنّينه؟» .

إن الألم هو وحده الذي يمكن أن يخدم كمنبّه على هذا النحو . وفي طرفه الأقصى ، كان جسمها يميل إلى فقدان دعامته الذهنية . وكان يأسها ممائلاً لوجه رأس يضرب جمجمتها فكأن هذه ستنفجر ، وكانت أشبه بكرة زجاجية ضخمة تصعد من صدرها نحو حلقها.

وفكرت في دخيلتها: «لن أطلب النجدة أبداً» .

ورغم كل شيء ، كانت ايتسوكو بحاجة إلى منطق صلب . وهذا سيساعدها في بناء قاعدة تتيح لها أن تقول إنها سعيدة.

وتابعت ايتسوكو سياق أفكارها .

«عليّ أن أمتصّ كل شيء . . عليّ أن أمتصّ كل شيء وعيناي مغمضتان . . . هذا الألم ، عليّ أن أتعلم تذوُّقه . . . إن الباحث عن الذهب لا يستطيع أن ينتظر العثور على ذهب فقط . عليه أن يلتقط الرمل مصادفةً في قاع النهر . ويمكن أن لا يكون ثمة ذهب بالمرة ويمكن أن يكون . لكن شيئاً هو مؤكد : إن الذي لا يذهب للبحث عن ذهب ، لن يكون غنياً أبداً» .

وكانت ايتسوكو تتأمّل أيضاً:

«ثمة طريقة موثوقة أكثر ليكون المرء سعيداً ، وهي أن يشرب

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

الماء الذي يسيل من الأنهار نحو المحيط . وهذا ما فعلته حتى الآن . وهذا، كما أعتقد ، ما سأواصل فعله : ومعدتي تستطيع أن تتحمّل ذلك» .

وهكذا فإن لاتناهي القلق يحملنا على الاعتقاد بأنه لا يمكنه أن يدمر الجسد. فهل أن هذا، بعد كل شيء ، هو عبثيّ جداً؟

عشية افتتاح السوق ، نقل أوكورا وسابورو إليها شحنة . وبعد رحيلهما ، أوجد ياكيشي كومة من أطراف الخيوط ، ومن الأوراق ، والقشّ ، وأوراق الشجر ، وسلال الخيزران المكسرة ، وأشعل فيها النار . وطلب من ايتسوكو مراقبة النار أثناء تكنيسه باقي الفضلات .

لقد أعتمت فترة بعد الظهر بالضباب ، الذي لم يكن بالإمكان تميُّزه من شفق الغروب. وبدا أن الليل سيسودّ قبل موعده العادي. وكانت الشمس الغاربة ، الكئيبة والمدخنة ، تطلق أشعتها الضعيفة بصورة غريبة ، وكانت انعكاساتها الأخيرة تضيء بالكاد اكفهرار الضباب.

بدون أن يعرف ياكيشي السبب ، كان يأنف من ترك ايتسوكو وحيدة ، ولو للحظة . ربما كان ذلك بسبب صورتها غير الملحوظة في الضّباب حين كان يبتعد عنها بضعة أمتار . لقد كان لون النار جميلاً جداً في الضباب. وكانت ايتسوكو ، الساكنة بلا حراك ، تنظر إلى النار بثبات ، ومن حين إلى آخر ، كانت تجمع القشّ المتفرق ، بممشاط من الخيزران .

وكان يبدو أن ألسنة اللهب تنطلق نحو يديها كأنما لتقبيلهما.

كان ياكيشي يرسم دون أن يستعجل دائرة حول ايتسوكو ، ويترك النفايات قربها ، ثم كان يعيد الكرة من جديد .

وحين كان يصل إلى قربها ، كان يلقي نظرة خاطفة نحو وجهها . وكانت توقف أحياناً تمشيطها الإلهي ، ومع أنها لا يمكن أن تحسّ بالبرد ، فقد كانت تمدّ يدها عند انبثاق ألسنة لهب عالية وذلك من إحدى السلال المكسرة التي كانت تلتهب بصوت مسموع .

ـ ايتسوكو! هكذا صاح ياكيشي ، وهو يرمي مكنسته ، ويسارع إلى إبعاد ايتسوكو عن النار .

لقد أحرقت راحتها اليمنى . وكان الوجع لا يقارن مع ما عانته حين أحرقت إصبعها الوسطى قبيل وقت قليل . كانت يدها ، في الوقت الحاضر ، غير صالحة للاستعمال . وكانت بشرة الراحة الرخوة تشكّل فقاعة ضخمة . إن هذه اليد ، التي كُسيت بالمرهم وربطت ، كانت تؤلمها بشدّة بحيث أنها لم تنم تلك الليلة .

كان ياكيشي يتذكّر برعب التعبير الذي ظهر على وجهها في تلك اللحظة . من أين كان يأتيها هذا الهدوء الذي كانت تتأمّل النار به ، وبكل هذه الجسارة ، وهي تمدّ يديها نحو ألسنة اللهب ، من أين كان يأتيها سكون التمثال هذا؟ كانت رباطة جأش متعجرفة تقريباً. إن هذه المرأة المعرّضة لارتباك في المشاعر، كانت قد تحرّرت لحظة من هذه المشاعر.

وهي لو تُركت وحيدة ، لربما ما كانت لتحرق يدها. لقد انتزعها صوت ياكيشي من حالة التوازن التي ليست ممكنة في نعس الذهن . على هذا النحو ، كما يبدو ، احترقت يدها .

* * *

إن مجرد النظر إلى يد ايتسوكو المضمدة كان يخيف ياكيشي . وكان لديه الانطباع بأنه هو ذاته قد ألحق بها هذا الحرق.

وكان هذا حادثاً غير عادي لدى هذه المرأة التي لم يكن يمكن وصمها بالطيش والذهول ، والتي كانت رباطة جأشها كبيرة بحيث يمكن أن تزعج الآخرين ، وهي حين وضعت ، قبل ذلك ببضعة أيام ، ضماداً على إصبعها ، وسألها ياكيشي حول هذا الموضوع ، أجابت ببساطة بأنها أحرقت إصبعها . ولا شك في أنها لم تفعل ذلك عن قصد ، وها هي ، ما كادت تنزع ذلك الضماد ، حتى ضمدت يدها بكاملها .

حين كان ياكيشي شاباً فتياً ، كان يطلع أصدقاءه بمباهاة على لقيته . كان يقول : إن صحة المرأة مصنوعة من عدة أمراض . إن أحد معارفه ، مثلاً ، قد تزوج امرأة تعاني آلام معدة محاطة بالأسرار . وبعد الزواج بفترة قصيرة ، زالت الأوجاع . ولكن حين فقد زواجهما فتنته ، أصبحت تلك المرأة عرضة لصراعات متواترة أزعجت زوجها كثيراً وجعلته يلتفت نحو نساء أخريات بمثابة تعزية ، وحين اكتشفت زوجته ذلك ، زالت صداعاتها . ومع ذلك ، فإن أوجاع المعدة ظهرت عليها مجدداً . وبعد مرور عام ، ماتت من السرطان . لا يمكن أبداً ، حين تكون امرأة ما مريضة ، تحديد جانب الحقيقة من جانب الكذب . وحين تميل امرأة نحو الكذب ، ترزق بطفل أو تموت بغتة .

وكان ياكيشي يفكر : «إن الحوادث النسوية هي شيء آخر تماماً . لقد كان صديقي كاراجيما ، هاوياً كبيراً للنساء . وحين بدأ يخون زوجته ، أخذت هذه تكسر الصحون عن غير انتباه ، بمعدل صحن كل يوم . كان ذلك حدثاً عارضاً تماماً ، ذلك لأنها ، كما يبدو ، لم تكن مدركة حقاً لخيانة زوجها ، وكانت ، كل يوم ، تندهش ببراءة من عدم براعة يديها .

وفي أحد الأيام ، فعل ياكيشي نفسه شيئاً غير معتاد إطلاقاً : لقد

شكّ شوكة في إصبعه وهو يكنس الحديقة . وأهمل الحادث ، فالتهبت إصبعه التهاباً خفيفاً . طبعاً ، لقد كان غيوراً من سابورو ، وكانت ايتسوكو غيورة من ميو . وكان ياكيشي غيوراً أيضاً من حب ايتسوكو غير المتبادل لسابورو . وكان يحس مع ذلك بشيء من الامتنان لهذه الغيرة ، التي كانت تمنحه تحريضاً منشطاً في علاقاته مع ايتسوكو .

على هذا النحو كان يبالغ لدى روايته بعض القصص في صدد سابورو وميو ، وذلك لهدف بسيط هو تعذيب ايتسوكو ، وفي مثل هذه اللحظات ، كان الشابان يوحيان له بنوع من العطف . لكنه لم يكن يستسلم مراراً كثيرة لهذه اللعبة ، خوفاً من أن يخسر ايتسوكو ، التي لم يستطع الاستغناء عنها . لقد أصبحت ضرورية له مثل خطيئة أو مثل عادة سيئة .

بيد أنه ، حين كان ياكيشي يضع بعض الاعتدال في قصصه حول سابورو وميو ، كانت ايتسوكو تقلق بصورة غريبة . كانت تتساءل ما إذا كان يخفي عنها تحولاً جديداً . ولكن هل كان يمكن أن تحدث حالة أسوأ؟ إن هذا السؤال لا يمكن أن يطرحه سوى شخص لم يكن غيوراً أبداً . إن الغيرة ، بعد كل شيء ، ليس لها أن تفتدي الوقائع . وفي هذا الصدد، فإن هذا الشغف كان قريباً جداً من المثالية .

كانا يستحمّان مرة كل أسبوع ، وكان ياكيشي يستحمّ أولاً . وعادة ، كانت ايتسوكو تستحمّ معه ، ولكن في ذلك المساء ، امتنعت ايتسوكو عن الاستحمام ، نظراً لأنها كانت تنتظر إصابة بالزكام ، واستحمّ ياكيشي وحده .

كانت كل نساء آل سوجيموتو في المطبخ . ايتسوكو ، وشياكو ، وأزاكو ، وميو ، وحتى نوبوكو ، كن جميعاً ينظّفن الصحون وأواني

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

المطبخ . وكانت ايتسوكو تضع شالاً حريراً أبيض حول عنقها ، بسبب زكامها .

وأخذت أزاكوا تتحدث عن زوجها الذي كان لا يزال في سيبيريا .

ـ لم أتلقّ أية رسالة منه منذ شهر آب . إنني أعرف كسله في الكتابة ، لكنني أعتقد أنه كان بوسعه إعطاؤنا من أنبائه على الأقل مرة في الأسبوع . طبعاً، إن الحب بين زوج وزوجته لا يمكن التعبير عنه بالكلمات وحسب ، لكن عيب الرجال اليابانيين الكبير هو كسلهم عن محاولتهم التعبير بالكلمات .

كانت شياكو تتساءل بمرح كيف أن يوسوكيه ، المطمور ربما تحت أعشاب السهب في درجة حرارة تحت الصفر بكثير ، يمكن أن يتفاعل مع هذه الأقوال .

ـ ولكن ، يا أزاكو ، لو أنه كتب مرة كل أسبوع ، لما استطاع إرسال كل هذا المقدار من الرسائل . وربما هو يكتب لك مراراً كثيرة .

ـ في هذه الحالة ، أين تذهب كل هذه الرسائل؟

ـ إنها توزّع بلا شك على الأرامل الروسيات .

حين لفظت شياكو هذه الكلمات ، اعتقدت أنها يمكن أن تكون قد صدمت ايتسوكو ، لكن ردّ أزاكو ، الذي كان يثبت أنها لم تفهم النكتة ، أنقذ الموقف:

ـ هذا مؤكد ، لكنهن بالتأكيد لا يفهمن اللغة اليابانية .

تركت سياكو الحديث يتوقف ، والتفتت نحو ايتسوكو ،

لمساعدتها في تنظيف أوانيها .

ـ دعيني أغسل الأواني . ربما بلّلت ضمادتك .

ـ شكراً .

في الواقع ، لم تكن ايتسوكو تتمنى أن يؤخذ عنها هذا العمل الآلي في تنظيف الفناجين والصحون . وفي الآونة الأخيرة ، كانت ترغب في أن تصبح آلة . وكانت تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي ستشفى فيها يدها ، لكي تصنع بسرعة كيمونوهات للفصلين المعتدلين (الخريف والربيع) لياكيشي ولها شخصياً . إن إبرتها سوف تتطاير بسرعة خارقة .

لم يكن المطبخ مضاء بسوى لمبة عارية بقوة ٢٠ واطاً ، معلقة بين عوارض السقف الخشبية المدخنة . وفي حوض الصحون ، كان على النساء أن ينظفن الأواني في النور المعاكس . وكانت ايتسوكو ، المستندة إلى إطار النافذة ، تراقب بانتباه ميو وهي تغسل الطناجر . وتحت زنارها من القماش الموصلي الرديء النوعية ، والحائل اللون ، كانت تقوّس جنبيها بعض الشيء .

فكرت ايتسوكو . . كأنها على أهبة وضع بيضة . هذه الفتاة القوية الجسم لا تصاب حتى بغثيان الصباح . وهي في الصيف ، ترتدي فساتين واسعة قصيرة الأكمام ، ولكن يبدو أنها لا تعرف أن تحلق تحت إبطيها . وهي، حين تفوح رائحتها ، تأخذ منشفة وتنظف ما تحت إبطيها أمام أي كان» .

كانت استدارة جنبي ميو تشبه ثمرة ناضجة ، وخطوطها الملأى تشبه مزهرية جيّدة التوازن . وكل هذا هو من عمل سابورو . إن البستاني الشاب قد بذر بذوره ، وتابع نموها بعناية .

وكان ثديا ايتسوكو وصدر سابورو ، تماماً مثلما تلتصق بتلات الزنبق المرقط، البليلة بالندى، بعضها مع بعض ، وكأنها لا انفصال لها بعد ذلك أبداً . كان ثديا ايتسوكو وصدر سابورو ـ يلتصقان بنفس الشدة .

وفجأة لاحظت ايتسوكو بأن ياكيشي يتكلم بصوت عال ، في غرفة الحمام ، الملاصقة للمطبخ .

وكان سابورو ، في الخارج ، يغذي سخانة الماء بالحطب . وكان ياكيشي يكلّمه .

كانت الحيويّة التي يحرّك بها ماء المغطس تصوّر المشهد الذي يقدمه هذا الجسم الشديد النحول ، ذو الترقوتين اللتين تحفظان الماء المطرطش على هذا النحو . وسمعت صوته المنكسر يرنّ منادياً :

ـ يا سابورو! يا سابورو!

ـ نعم ، يا سيدي .

ـ يجب الاقتصاد في الحطب . وابتداء من اليوم ، سوف تستحمّان ميو وأنت في الوقت ذاته . ولا تظلاّ طويلاً في الماء . فإذا استحممتما واحداً بعد الآخر ، فسوف يستغرق هذا زمناً أطول ، وستلزم حطبة أو حطبتان إضافيتان أكثر مما هو ضروريّ .

وحين قام ياكيشي بالاستحمام ، جاء دور كانسوكيه وشياكو ، ثم دور أزاكو وأولادها . ودهش ياكيشي حينئذ لسماعه ايتسوكو تعلن أنها سوف تأخذ حمّاماً سريعاً .

انزلقت ايتسوكو في المغطس ، وبحثت بواسطة القدم عن السدادة . كان سابورو وميو وحدهما لم يستحمّا بعد . وغاصت ايتسوكو في الماء حتى ذقنها ، ومدت يدها ، وسحبت السدادة .

لم يكن دافع عملها عميقاً جداً . ـ «إن سابورو وميو لن يستحمّا معاً ، إذا استطعت منعهما من ذلك» . هكذا قالت في ذاتها . ولهذا السبب عديم المعنى ، جازفت ايتسوكو بالاستحمام رغم إصابتها بالزكام .

لقد منح ياكيشي لنفسه الترف بإقامة قاعة استحمام واسعة ، مع مغطس مربّع وأرضية من خشب السرو الياباني . كان المغطس واسعاً ومنخفضاً ، والآن وقد سحبت ايتسوكو السدادة ، كان أنبوب التصريف يمتصّ الماء بصوت مشابه للصوت الذي يسمع عند وضع الأذن مقابل صدفة . وكان لايتسوكو ابتسامة ارتياح طفولية أدهشتها هي ذاتها حين كانت تغرق نظرتها في الماء المعتم ، والقذر قليلاً .

وفكرت في نفسها قائلة : «ترى ماذا أفعل؟ . أي شيء مثير للشغف جداً في هذه اللعبة السيئة؟ إن للأطفال أنفسهم سبباً جدّياً للقيام بلعبة سيئة : وهو اجتذاب انتباه الأشخاص البالغين الذين يتجاهلون الأطفال . إن الألعاب السيئة هي الملجأ الوحيد للأولاد . والنساء اللواتي يجري إهمالهن يحسسن بنفس إحساس الأطفال . إنهن يعرفن نفس التخلّي ويصبحن قاسيات رغماً عنهن» .

على سطح الماء، كانت خيوط شعر ونفايات صغيرة من الصابون تشكل لطخاً شفافة ، ونثار خشب ، تدور كلها ببطء في دائرة. وأسندت ايتسوكو ذراعيها على حافة المغطس . وفي منحنى كتفيها العاريتين ، ضغطت خدّيها مقابل ذراعيها . وخارج الماء الذي أدفأها ، كانت بشرتها تلتمع بوهج ملطف بضوء المصباح الخفيف.

أحسّت ايتسوكو فجأة بعدم جدوى ذراعيها المرنتين واللامعتين المضغوطتين مقابل نهديها . وأحست بشعور من الاذلال ، والعقم : «بلا جدوى! بلا جدوى!» هكذا قالت في نفسها . كان صبا هذا

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

الجسد الدافىء ، وامتلاء أشكاله ـ كأنما هو حيوان أعمى وبليد ـ يثيران غضبها .

كان شعرها المسرّح عالياً جداً ، يمسك به مشط . وكانت قطرات من الماء تتساقط من حين إلى آخر من السقف على شعرها ورقبتها ، لكنّها لم تكن تفعل شيئاً لتلافي قطرات الماء ، وإن كانت باردة . وكانت تتساقط أيضاً على يدها المضمدة التي كانت مبقية إياها خارج المغطس ، وتتسرّب إلى داخل الضماد .

استمر الماء يسيل قليلاً قليلاً . وكان مستوى الماء الساخن ينخفض ببطء من كتفها حتى ثدييها ، ثم من ثدييها حتى بطنها . وكان يبدو أن الماء يلحس لها بكسل جسدها ، وهي مداعبات لبقة جعلت بشرتها متوتّرة . واجتاحت البرودة جسدها . وكان ظهرها مجلداً . وكان الماء يدوّم الآن بسرعة أكثر وبصورة أكثر ضجة في حين كان يترك جنبيها مكشوفين .

وفكرت في دخيلتها : «هذا هو الموت . إنه الموت» .

كانت ايتسوكو على وشك طلب المساعدة حين استعادت وعيها . كانت راكعة ، عارية ، في المغطس الفارغ . ونهضت ، ملؤها الخوف .

لدى توجّهها نحو حجرة ياكيشي ، التقت بميو في الرواق . وقالت لها بصوت مرح وساخر قليلاً :

ـ أوه ، لقد نسيت! إنكما لم تستحمّا بعد ، أنتما الاثنان . وقد أسلت الماء . أنا آسفة .

كانت تتكلم بسرعة بحيث لم تفهم ميو . ظلت واقفة هناك ،

مجمدة في مكانها ، تنظر إلى شفتي ايتسوكو المنزوفتين .

* * *

في ذلك المساء ، أصيبت ايتسوكو بالحمّى ، فاضطرت للزوم الفراش لعدة أيام . وفي اليوم الثالث ، أصبحت درجة حرارتها طبيعية تقريباً . كان ذلك يوم ٢٤ تشرين الأول.

لقد تميزت نقاهتها بتعب شديد واستيقظت من قيلولتها في فترة بعد الظهر لتكتشف أن الأمسية أصبحت متقدمة جداً فعلاً . وكان يسمع صوت تنفُّس ياكيشي ، الراقد قربها.

إن صوت رقاص الساعة الذي أعلن الساعة الحادية عشرة قد أزعجها . وكان ماغي يعوي في البعيد . هذه التكرارات اللامتناهية لليالي اليائسة! استولى على ايتسوكو رعب لا يمكن التعبير عنه ، فأيقظت ياكيشي . ورفع من تحت الأغطية كتفيه المكسوتين بقميص نوم من القماش الموسوم بمربعات ، وبهيئة بليدة أمسك بلا براعة بيد ايتسوكو الممدودة .

ـ أمسك بيدي ، ولا تتركها ، هكذا قالت له وهي تنظر بثبات إلى عقدة كانت تظهر بغموض في خشب السقف.

لم تكن تنظر إلى ياكيشي ، ولم يكن ينظر إليها.

تنحنح ياكيشي ولزم الصمت . ثم بصق في قطعة من الورق الحريري أخذها من تحت وسادته .

وبعد ذلك ببضع لحظات ، قالت ايتسوكو :

ـ هذا المساء ، تنام ميو في حجرة سابورو ، أليس كذلك؟

ـ وإذن؟ . . .

ـ لا تحاول إخفاء هذا الأمر عني . فأنا أعرف. ولست بحاجة لرؤيتهما . إنني أعرف ماذا يفعلان .

ـ غداً صباحاً ، سيذهب سابورو إلى «تيرني» وسيقام العيد بعد غد . وبعد كل شيء ، نظراً لأنه سيذهب ، فهذا شيء طبيعي أن ينام مع ميو .

تركت ايتسوكو يد ياكيشي ، وسحبت الغطاء على رأسها ، وانفجرت باكية .

كان ياكيشي مرتبكاً من الوضع الغريب الذي كان فيه . وفكر في دخيلته : «لماذا لست غاضباً؟ وماذا يعني هذا؟ هل أنني فقدت القدرة على أن أغضب؟ وكيف حدث أن همّ هذه المرأة يعطيني الانطباع بأنني تآمرت ضدها؟» .

راح يكلم ايتسوكو بصوت ناعم ، أبح ، ناعس عن قصدٍ (قبل أن يتمكن من خداع هذه المرأة بقصة وهمية تخيلها هو ، كان عليه أن يخدع نفسه ، كان متردّداً ، بدون أمل ، وكانت أفكاره هاربة) .

ـ إن هذه الحياة المضجرة في الريف لا بد لها أن تجعلك عصابية ، وأن ترهقك بأشياء غير ذات أهمية . بعد وقت قليل سيكون قد مرّ عام على وفاة ريوسوكيه . وقد سبق لي أن وعدتك . فلنذهب إلى مقبرة طوكيو . لقد طلبت من السيد كاميزاكا أن يبيع بعض أسهم شركة «كينكي» للسكك الحديدية وستتمكن من أن نمنح أنفسنا ترف السفر في الدرجة الثانية . ولكن سيكون من الأفضل الاقتصاد في مصاريف السفر والانفاق أكثر على وسائل لهونا في طوكيو . وسوف نستطيع الذهاب إلى المسرح ، وهذا لم يحدث لنا منذ زمن طويل . إن وسائل اللهو والتسلية كثيرة في طوكيو ، لكنّ لديّ أمل أكبر من ذلك

أيضاً . إنني أحب مغادرة «مايدن» ، والانتقال بالسكن إلى طوكيو . بل إنني أريد أن أعود إلى الخدمة . إن اثنين أو ثلاثة من أصدقائي قد فعلوا ذلك . إنهم ليسوا جاحدين ولا عاقّين مثل مياهارا . إنهم رجال يمكن الاعتماد عليهم . إذاً ، حين سنذهب إلى طوكيو ، سأقابل اثنين أو ثلاثة منهم . هذا ما أحب أن أفعله . وليس هذا أمراً سهلاً ، لكنني سأفعله من أجلك ، هذا من أجلك . ومن أجلك قرّرت على هذا النحو . فإذا كنت سعيدة ، فسأكون أنا سعيداً أيضاً . وقبلاً ، كنت مسروراً من حياتي في هذه المزرعة ، ولكن منذ مجيئك ، أحس بأنني غير راض ، وكأنني ولد مراهق .

ـ متى سنرحل؟

ـ ماذا لو ركبنا القطار السريع (الاكسبريس) رقم ٣٠، ذلك المسمّى «اكسبريس السلام»؟ إن رئيس محطة أوزاكا لسكة الحديد هو صديق لي ، وسأذهب لمقابلته بعد يومين أو ثلاثة أيام ، لأخذ بطاقات السفر .

ولكن لم تكن هذه هي الكلمات التي كانت ايتسوكو تتمنى أن تسمعها من فم ياكيشي . لقد كان في ذهنها شيء مختلف ، مختلف بصورة كافية ليتجلّد قلبها ، في حين كانت هي ممددة هناك ، متأهبة للتوسّل إلى ياكيشي لكي يساعدها . وكانت تأسف لأنها مدّت إليه يدها التي كانت تحس بنبضاتها . وحتى بعد نزع الضماد ، كانت هذه اليد تحرقها وكأنها قابضة على جمر ملتهب .

ـ قبل الذهاب إلى طوكيو ، أود أن أطلب منك شيئاً ما : أن تصرف ميو حين يكون سابورو في «تيرني» ، من أجل العيد .

ـ يا له من طلب غريب وقاسٍ !

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

لم يكن ياكيشي مندهشاً كلياً . وهل يمكن أن يندهش المرء ، بعد كل شيء حين يطلب مريض أزهار زنبق في إبان الشتاء؟

ـ ماذا تستفيدين من تخلّصك من ميو؟

ـ لا شيء ، لكنني مقتنعة بأنها هي التي تسبّب لي كل هذا الألم . ولا يمكن الاحتفاظ ، في أي مكان ، بخادمة تجعل سيدتها مريضة ، أليس كذلك؟ فإذا استمر هذا ، فإن ميو ستقتلني ، أنا متأكدة من ذلك . فإذا لم تصرفها ، فستكون بصورة غير مباشرة مسؤولاً عن موتي . من منا يجب أن ترحل ، هي أم أنا؟ إذا كنت تريدني أن أرحل ، فسأرحل غداً إلى أوزاكا ، وسأجد فيها عملاً .

ـ إنك تبالغين . فلو أنني صرفت ميو وهي لم تفعل شيئاً ، فماذا سيقول الناس؟

ـ حسناً ، إذاً ، سوف أرحل . ولن أبقى هنا بأيّ حال.

ـ حسناً ، لنذهب إلى طوكيو ، كما اقترحت أنا .

ـ وسآتي معك؟

هذه الأقوال ، الملفوظة بصوت شبه رتيب ، كانت لها القدرة ، مع ذلك، على أن تجعل ياكيشي يتصور بوضوح الأقوال التالية . وكأنما لأجل تلافي هذه الأقوال ، اقترب منها ياكيشي .

سحبت ايتسوكو غطاء السرير عليها ، ولم تتحرك البتة ، لكنها ردت نظرة ياكيشي بحزم وثبات . لم تكن عيناها تعكسان أي شيء ، لا بغضاً ، ولا قرفاً ، ولا حباً ، لكنهما كانتا تبقيان ياكيشي بعيداً ، وعلى مسافة.

ـ كلا ، كلا ، قالت هذا ببطء بنبرة لا تأثر فيها ، وأضافت :

ليس قبل أن تطرد ميو . كلا .

أين وجدت ايتسوكو القوة لهذا الرفض؟ قبل مرضها، حين كان ياكيشي، هذا الجسد المنهوك، يقترب منها بلا براعة، كانت تستقبله ببساطة وهي تغمض عينيها.

كان كل شيء يجري خارجاً عنها ، في جوانب جسدها الخارجية . وكانت تبقي عينيها مطبقتين بشدّة ، وكان كل ما يحدث على جسدها بالنسبة لها حدثاً للعالم الخارجي . ولكن أين كان يبدأ عالمها الخارجي؟ إن العالم الداخلي لهذه المرأة ، القادرة على مثل هذه العملية الدقيقة ، اللبقة ، كان يولّد ، وهو أسير ومضغوط ، القوة الممكنة لمادة متفجّرة .

لهذا السبب، كان ارتباك ياكيشي يسلّيها ويحمل لها المرح .

ـ هكذا ، تتصرفين كفتاة صبيّة حريصة على نفسها! حسناً جداً ، افعلي ما تريدين . فحين يذهب سابورو ، اصرفي ميو ، إذا كان هذا هو ما تتمنّينه . ولكن . . .

ـ ولكن سابورو؟

ـ لا أعتقد أن سابورو سيرضى بالأمر .

ـ إن سابورو سيذهب . قالت ايتسوكو . وأضافت : إنه سينضمّ بالتأكيد إلى ميو . إنهما عاشقان يتبادلان الحب . وعملياً ، فإن ترحيل ميو لا يبدو لي أنه الوسيلة الوحيدة للتخلص من سابورو دون أن نطرده . وأنا أفضّل أن يرحل سابورو ، لكنني لا أرغب في أن أقوله له بنفسي.

قال ياكيشي : ها نحن أخيراً متفقان على شيء.

في هذه اللحظة ، مزّقت الجو الليلي صفارة آخر قطار سريع يغادر محطة أوكاميشي للسكة الحديدية .

في نظر كانسوكيه ، كان احتراق يد ايتسوكو ، واعتلال صحتها ، مجرد ذريعة للتخلّص من العمل . «صدقوا شخصاً خبيراً في الموضوع» كان كانسوكيه يقول ضاحكاً . فمع ايتسوكو التي لا يمكن انتظار مساعدة منها ، وميو ، الحامل في شهرها الرابع ، والعاجزة عن القيام بأعمال كبيرة ، فإن عبء إبادة الأعشاب ، وجني الأرز ، وتجميع البطاطا، وقطف الثمار ، يثقل كاهله بصورة مرهقة . وكماهي العادة ، لم يكن يكفّ عن التذمر معبراً عن استيائه ، متهرّباً من المهمة ، طوال ما كان يعمل . وحتى ناتج قطعة الأرض الصغيرة التي لم تسجل كحقل أرز قبل الاصلاح الزراعي كان يجب تسليمه .

وحين أصبح رحيل سابورو لأجل العيد وشيكاً ، عمل ببراعة وهمّة . وكان محصول الثمار قد تمّ جنيه كله تقريباً .

وفي الفترة بين المحاصيل ، عمل سابورو بلا كلل، مبيداً الأعشاب ، ومقتلعاً حبّات البطاطا ومنقّذاً حراثة الخريف . إن العمل تحت السماء الخريفية الصاحية قد زاد في برنزة بشرته ، وجعل منه فتى قويّ البنية ، أكثر نضجاً مما يكون الشخص في سنّه .

كان رأسه ذو الشعر القصير المقصوص يشبه قوة ثور برّيّ فتيّ . وقبل ذلك بوقت قليل ، تلقّى رسالة حبّ مهووسة من قروية كان يعرفها بالكاد ، وقرأها بمرح لميو . ثم تلقّى رسالة من فتاة أخرى ، وهو لم يحدّث ميو عنها . ليس لأنه كان لديه أدنى شيء يخفيه ، وليس لأنه كان يريد أن يحتفظ بها سراً ، أو أن يجيب ويأخذ موعداً منها . لقد صمت فقط بسبب تفضيله الصمت.

ومع ذلك ، فقد كان ذلك بالنسبة له تجربة جديدة . ولو أن ايتسوكو أمكنها أن تظنّ بأن سابورو يعرف أنه محبوب ، لكانت اعتبرت الأمر كواقع رئيسي ، كبير وعظيم . لقد أصبح سابورو واعياً بغموض

للتأثير الذي يحدِّثه في العالم الخارجي . وحتى ذلك الحين ، اعتبر هذا العالم الخارجي ليس كمرآة ، بل مجرد كونه مجالاً يتحرّك فيه بحركة كاملة .

هذه التجربة الجديدة ، المرتبطة بتلويحة البشرة التي وضعتها الشمس على خدّيه وعلى جبهته ، كانت تمنح وقفته لامبالاة خفيفة لم تكن لديه أبداً حتى ذلك الحين . كانت ميو بحساسية متزايدة بالحبّ ، تلاحظ ذلك ، لكنها كانت تفسّره بصفته موقف زوج يتخذه إزاءها وحدها .

في صباح ٢٥ تشرين الأول رحل سابورو ، مرتدياً سترة عتيقة أعطاها له ياكيشي ، وبنطالاً من الكاكي ، تلقّاه من ايتسوكو ، وجوارب «اسبادري» . كانت تلك أجمل زينته . وكان كل أمتعته جراباً من الخام الخشن، يحمله على كتفه .

قالت ايتسوكو : «شاور والدتك في صدد الزواج . ولكي تستطيع أن تتعرّف إلى ميو ، أحضر أمّك معك . وسيكون في استطاعتها أن تبقى هنا يومين أو ثلاثة » .

لم تكن تفهم لماذا كانت تعود إلى هذه المسألة التي كانت قد سوِّيت تماماً . فهل كانت تجد هذه التعقيدات ضرورية للانخراط في وضع مستحيل؟ وهل كانت تتمنى تغيير خططها بإجبارها نفسها على التفكير في الاحتمال المخيف باستحضار والدة سابورو ووضعها أمام واقع أن كنّتها قد اختفت؟

هذا على كل حال ما قالته على عجل لسابورو حين استوقفته في الرواق ، إذ كان متجهاً نحو حجرة ياكيشي لتوديعه .

قال سابورو : جيد جداً ، شكراً جزيلاً ، يا سيدتي .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

كانت الطاقة الفاقدة الصبر لذلك الراحل في سفر تحدث التماعاً في عينيه . كان التعبير على وجهه يشهد بامتنان مبالغ فيه. وكان ينظر إلى ايتسوكو مواجهة تماماً ، وهذا ما لم يسبق له أن فعله أبداً.

كانت ايتسوكو ترغب في الشدّ على يده، والشعور بضغط راحته الخشنة .

وبدأت تمدّ يدها اليمنى الشافية نصفياً ، لكنها اعتقدت أن موضع الحرق سيطبع ذكرى مزعجة على راحة الشاب، فامتنعت عن ذلك . وظل سابورو لحظة مرتبكاً ، فألقت نحوه ابتسامة وداع مرحة ، واجتازت الرواق بسرعة .

ـ هذا الجراب! يا إلهي كم هو صغير! كأنك ذاهب إلى المدرسة! هكذا صاحت من خلفه .

إن ميو وحدها هي التي رافقت سابورو إلى ما وراء الجسر. كان ذلك حقها . ولم تستطع ايتسوكو سوى أن تنظر إليهما وهما يبتعدان .

في طرف الدرب المفروش بالرمل ، هناك حيث يهبط الدرج نحو الرابية ، توقف سابورو ، واستدار ، وحيّا ياكيشي وايتسوكو الواقفين في الحديقة . . ورغم أن شكله كان قد ذاب منذ زمن طويل في أوراق الشجر الملونة في غابة أشجار القيقب ، فإن أسنانه المتلالئة ، التي انكشفت بابتسامة ، ظلت في ذاكرة ايتسوكو .

كانت تلك الساعة هي التي كان على ميو فيها أن ترتّب الحجرات. وظهرت مجدداً بعد خمس دقائق، صاعدة بتراخٍ على الدرجات الحجرية ، التي تتناثر عليها بقع الشمس؛ وقد كانت أشعتها تتسرّب عبر الأشجار.

وسألت ايتسوكو بلا جدوى :

ـ هل رحل سابورو؟

وبنفس اللاجدوى، أجابت ميو :

ـ نعم ، يا سيدتي ، لقد رحل .

لم يظهر وجهها أية إشارة إلى الفرح أو إلى الحزن.

بعد رحيل سابورو ، أحسّت ايتسوكو ، لدى التفكير في ذلك ، بإحساس مضطرب وبنوع من الحمية الطيّبة. إنه أسى شديد ، ممزوج بإحساس بالذنب ، كان يعذّبها . وكانت تدغدغها فكرة محو الماضي تماماً ، والتخلّي عن مشروع صرف ميو .

لكن وجه ميو ، حين عادت ، كان يثير غضب ايتسوكو . كانت ميو تركن بثقة في الحياة اليومية مع سابورو .

وعادت ايتسوكو للوقوع شيئاً فشيئاً في قناعتها الأولى بأن هذا المشروع ، أي صرف ميو ، لا ينبغي استبعاده ، بأيّ حال من الأحوال.

* * *

ـ ها هو سابورو يعود! إنه يسلك طريق المقربة عبر حقل الأرز . كان يمكن رؤيته من أعلى لكنه وحده . . وأنا لا أرى والدته معه!

ركضت شياكو إلى المطبخ لإبلاغ ايتسوكو بالأمر ، وكان ذلك في فترة بعد ظهر ٢٧ تشرين الأوّل غداة عيد «تيرني» .

كانت ايتسوكو قد شوت بعض أسماك الاسقمري على مشواة فحم الحطب .وسحبت بشدة المشواة ، مع الأسماك إلى فراش القشّ القريب ، ووضعت غلّاية على النار. كان هدوء حركاتها يشهد بشدة

انفعالها . وقد نهضت ، وأشارت إلى شياكو لمرافقتها إلى الطبقة الثانية من المبنى .

.صعدت المرأتان درجات السلم بسرعة .

قال كانسوكيه ، وهو مضطجع على بطنه ، يقرأ رواية لأناتول فرانس : إن سابورو هذا يحدث اضطراباً شديداً هنا بين الناس .

لكنه ، بعد وقت قليل ، استأثر به الفضول ، فانضمّ إلى النساء على النافذة .

كانت الشمس قد غابت نصف مغيب في الغابة غربيّ العمارات البلدية . وكانت السماء متوهّجة كلياً .

كان الشاب الذي كان يجتاز بخطى ثابتة الحقول المكسوّة بالقش من جذوع النبات المحصود ـ كان هو سابورو بالتأكيد . ولكن أيّ شيء غريب كان في قدومه؟ كان ذلك هو اليوم والساعة اللذان يمكن فيهما توقّع عودته .

كان ظله يمتد أمامه بشكل منحن . وكان يمسك بإحدى يديه بالجراب ، الذي كان يحمله مثل تلميذ على كتفه ، ليمنعه من الانزلاق . ولم يكن يعتمر بقبعة . كانت مشيته القوية مفعمة بصفاء لا يعرف الخشية ، ولا الخوف ، ولا حتى التعب . كانت الطريق التي يسلكها تؤدّي إلى الشارع الكبير . وانعطف نحو اليمين وأغذّ في السير عبر حقول الأرز . وبين حين وآخر ، كان عليه أن يشقّ سبيله وهو يدور حول أكوام الأرز الآخذة في الجفاف .

أحست ايتسوكو بقلبها يدقّ بضربات قوية ، لا فرحاً ولا خوفاً . ولم تكن تعلم ما إذا كانت تنتظر السعادة أم المصيبة ، لكنها كانت على يقين وثقة من أن ما تنتظره سوف يحدث . كان هياجها يمنعها من

قول ما كان عليها ، وهي تعرف ذلك ، أن تقوله . بيد أنها تمكنت من أن تقول لشياكو:

ـ ماذا سأفعل؟ إنني لا أعلم ماذا عليّ أن أفعل .

لكن كانت شياكو وكانسوكيه سيندهشان لسماع أقوال ايتسوكو هذه قبل ذلك بشهر . لقد تغيّرت ايتسوكو . هذه المرأة ، التي كانت سابقاً شديدة العزم قد فقدت صلابتها . وما أصبحت تطمح إليه الآن هو ابتسامة ودّية وأخيرة من سابورو ، الذي لا يزال جاهلاً ، قبل الاتهام الأوّل والمخيف ، بأنه ، بعد معرفته ما حدث ، سيحسن التصرّف معها . كان لديها هاجس لدى تذكرها تلك الليالي التي قضتها وهي تجترّ هذين التوقّعين .

إن ما سيحدث إثر ذلك كان قد تبيّن . سوف يهينها سابورو ويلحق بـ «ميو» وغداً ، في هذه الساعة نفسها ، لن تعود ايتسوكو تراه . وفي الواقع ، فإن هذه هي المرة الأخيرة التي تستطيع فيها ، من هذه النافذة ، أن تراه بشكل كاف ووفق مشيئتها وعن بعد .

قالت شياكو : لا تكوني بلهاء! تمالكي نفسك ! فإذا كانت لديك الجرأة لطرد ميو، فلا يوجد ما لا تستطيعين أن تفعليه. لقد بيّنت لنا هذا جيداً، وقد نلت إعجابنا من أجل ذلك .

وأحاطت شياكو بذراعها كتف ايتسوكو ، وكأنها تحرص على تشجيع أخت صغيرة .

بالنسبة لايتسوكو ، كان التخلّص من ميو أوّل محاولة لها ـ أي ايتسوكو ـ لتهدئة عذابها هي ذاتها . وكان ذلك هو أيضاً تنازلاً أمام هذا العذاب ، وشيئاً أشبه بصفقة .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

لكن كانسوكيه وزوجته رأيا في ذلك أوّل هجوم لايتسوكو .

كانت شياكو ترى أن طرد امرأة حامل في شهرها الرابع ، مع حقيبة من الخيزران على ظهرها ، هو شيء هائل ، خارق للعادة . إن بكاء ميو الطويل ، وتصميم ايتسوكو عديم الرحمة والتصميم البارد الذي قادت به ميو إلى محطة سكة الحديد ، وأرغمتها على الصعود إلى القطار ـ وهي مأساة شهداها في العشية ـ قد هيجت شياكو وكانسوكيه كثيراً وبمقدار كبير . وما كان بوسعهما أن يتصوّرا أبداً أن مثل هذا المشهد يمكن أن يحدث في «مايدن» . لقد هبطت ميو على درجات السلم ، وحقيبتها الخيزران معلّقة على ظهرها بحبل مجدول ، تتبعها عن قرب ايتسوكو وكأنها رجل شرطة .

لقد حبس ياكيشي نفسه في حجرته ، ولم ينظر مجرد نظر في اتجاه ميو حين جاءت لوداعه .

«لقد قدرنا خدماتك الجيدة» هذا كل ما قاله لها . وكانت أزاكو التي أخرستها هذه الأحداث ، تهيم صامتة في المنزل . وكان كانسوكيه وشياكو فخورين بأنهما ليسا بحاجة لإيضاح لمعرفة ما يحدث . وكانا كلاهما يباهيان بكونهما قادرين على ارتكاب فعل لا أخلاقي ، لأنهما كانا قادرين أيضاً على فهم لا أخلاقية العيب ، وهو موقف شبيه بموقف صحفيّ يصور نفسه بأنه مرشد اجتماعي .

قال لها كانسوكيه :

ـ لقد قدت المسألة وحدك حتى الآن . وسوف نساعدك في التالي . لا ترددي في اللجوء إلينا . وسوف نفعل كل ما نستطيع .

وقالت شياكو : سوف أفعل كل ما تقولين لي أن أفعله ، يا ايتسوكو! إن ما يمكن أن يفكر فيه الأب، هو الآن بدون أهمية .

كانا كلاهما يتنافسان على الاستئثار بانتباه ايتسوكو ، في حين كانا ينظران من النافذة ، والمرأة الشابة بينهما .

اتجهت ايتسوكو نحو مرآة شياكو ، وألقت شعرها إلى الوراء .

ـ هل أستطيع أن استعمل ماء الكولونيا خاصّتك؟
ـ تفضلي ، أرجوك .

تناولت ايتسوكو الزجاجة الزرقاء ، ورطبت راحتها بماء الكولونيا ، وفركت صدغيها بقوة . وهي لم تنزع قطعة الحرير الحائلة اللون التي تغطي المرآة . كانت خائفة من النظر إلى نفسها . ولكن سرعان ما أحسّت بالقلق من الوجه الذي ستريه لسابورو ، الذي ستواجهه بعد بضع دقائق . ورفعت قطعة الحرير عن المرآة . لقد وضعت الكثير من الأحمر على شفتيها ، فنظفتهما بمنديل صغير مطرز بالدانتيلا .

يا للسرعة التي ننسى فيها أعمالنا! وفي حين تتأخر المشاعر في ذاكرتنا ، تتلاشى أعمالنا دون أن تترك أثراً . كانت ايتسوكو تجد من الصعوبة الاعتقاد بأن المرأة التي سمعت ، بلا تأثر ، بكاء ميو ، وصرفتها ، وأجبرت البنت المسكينة الحامل على حمل حقيبتها ودفعتها إذا صح التعبير بالقوة إلى القطار ، هي نفس ايتسوكو في الوقت الحاضر . لكن ايتسوكو لم تكن تحسّ بأي ندم . وفي الواقع ، لم تكن تحاول قمع عناد ذهنها الميّال إلى مقاومة الندم .

لقد وجدت ايتسوكو نفسها محشورة، وعاجزة، في حالات قلق ماضيها ، ضمن تراكم مشاعر فاسدة وسكونية . وهل أن ما نصفه بشعور بالذنب ، ليس هو الانفعال الذي يأتي الناس بلا انقطاع بدروس جديدة في الرضوخ؟

إن كانسوكيه وزوجته لم يفوّتا هذه الفرصة للتقدّم ومساعدة ايتسوكو .

قالت شياكو : ـ لو أن سابورو أخذ يبغضك الآن ، فإن كل شيء سيخرب . حتى قال الأب إنه هو الذي طرد ميو! لكنه ، بالطبع ، ليس شهماً بما فيه الكفاية .

قالت ايتسوكو : لقد أعلن بأنه لن يقول شيئاً لسابورو ، وأنه لن يحمل أية مسؤولية في هذا الأمر.

أجابت شياكو قائلة :

ـ إنني لا ألومه . وعلى كل حال ، دعيني أتصرف . ولن أرتكب أي شيء غير مناسب. وماذا لو قلت له إن ميو تلقّت برقية تبلغها أن والدتها مريضة، وأنها ، أي ميو ، اضطرت للذهاب إلى الريف لعيادة أمها؟ .

حينئذ ، تمالكت ايتسوكو نفسها . وقد رأت في هذين الزوجين ، ليس نصوحين صالحين ، بل مرشدين غير جديرين بالثقة كانا يقودانها إلى مستنقع مرير ومضبّ ، ليس لها أية رغبة في الدخول إليه . فلو أنها تبعتهما إلى هناك ، فإن عملها المصمّم في العشية لن يكون له أي معنى.

لعل واقع كونها صرفت ميو لم يكن سوى اعتراف يائس منها بحبّها لسابورو . بيد أنها كانت تفضّل التفكير بأنها فعلت هذا لأجلها وحدها ، لكي تستطيع العيش ، وأن هذا العمل المحتوم قد وجد تبريره .

ـ يجب أن يعرف سابورو أنني أنا الذي صرفت ميو . وأنا من سأقول له هذا . فلا تساعداني إذاً . سأفعل هذا أنا بنفسي .

لقد فكر كانسوكيه وشياكو بأن هذا التصميم البارد قد ولد من اليأس ومن ضياع ايتسوكو .

ـ هيا ، انظري إلى الأمور ببرودة . فإذا تصرفت على ذلك النحو ، فسوف تفسدين كل شيء. ضعي ثقتك فينا . ولن نقوم بعمل أخرق.

ايتسمت ايتسوكو ابتسامة ملغزة والتوى فمها التواءً خفيفاً . وقد وصلت إلى الاعتقاد بأن الوسيلة الوحيدة لتخطّي الحاجز الذي يضعه هذان الزوجان في وجه أعمالها ، هو إغضابهما لأجل استعدائهما .

ودسّت يديها في زنارها لأجل تسويته ، مثلما يملس طائر كبير متعب ريشه بصورة ساهمة ، ثم نهضت . وقبل أن تنزل على درجات السلم ، قالت لهما :

ـ لا تتجشّما مشقّة مساعدتي . إنني سأتدبّر أمري بمفردي .

ارتبك كانسوكيه وشياكو من رفض ايتسوكو.الجافّ ، وقد غضبا كما يغضب أشخاص يريدون المساعدة في إطفاء حريق فيمنعهم من ذلك رجال الشرطة.

ـ أوه ، إنني أودّ أن أكون قادرة على رفض الطيبة على هذا النحو! قالت شياكو .

وقال كانسوكيه : بالمناسبة ، أنا أتساءل لماذا لم تأت والدة سابورو؟

لقد كانا مستغرقين في الذعر الذي ألمّ باتيسوكو بسبب عودة سابورو ، بحيث أهملا هذه المشكلة الإضافية . وأبدى كانسوكيه أسفه لهذا النسيان .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

ـ عجباً! نحن لن نساعدها أبداً بعد الآن! هذا ما سيبسّط الأمور.

ـ حسناً ، لننتظر الأحداث بهدوء.

عاد كانسوكيه ليصبح ذاته كما هو ، وكان يأسف على كل حال ، لكونه يحرم من هذا الارتياح الذي يدعم بصورة عامة تفضيله البؤس البشري.

عادت ايتسوكو إلى مشواة فحم الحطب ، الملقاة على فراش القشّ الذي وضعه ياكيشي قرب الشرفة ، حيث كانوا يطهون اللحم والخضروات . ونزعت الغلّاية وأعادت المشواة إلى النار.

بعد رحيل ميو ، قرّرت النساء طهو الأرز بالدور ، واليوم ، وهو الأول ، كان دور أزاكو . وكانت نوبوكو تساعدها في الاهتمام بناتسيو ، وكانت تغني له الأغاني ، وضحكاتهما تلعلع في المنزل الذي أعتمه المغيب.

ـ ماذا يحدث؟ هكذا سأل ياكيشي الذي خرج من حجرته وقرفص قرب المشواة .

تناول العيدان بنشاط وقلّب الأسماك التي كانت تشوى .

قالت ايتسوكو : لقد عاد سابورو .

ـ هل وصل؟

ـ كلا ، ولكن بعد قليل سيصل.

كانت آخر أشعة الشمس الغاربة تتعلق بأوراق سياج شجيرات الشاي على بعد بضع خطى من الشرفة . كانت براعم صغيرة وقاسية لم تزهر بعد ، تلقي مجموعة من الظلال المنمنمة . وكانت بعض

الجذوع التي ترتفع فوق سياج الشاي غير المعتنى به تلتمع في أشعّة الشمس الأخيرة.

سمع صفير سابورو من على درجات السلّم.

تذكّرت ايتسوكو توتّر تلك اللحظة حيث لم تستطع أن تلتفت نحوه لتوجّه إليه تحية المساء حين كانت تلعب «الماه ـ جونغ» مع ياكيشي . وخفضت عينيها .

ـ «حسناً، ها أنذا»، صاح سابورو من الجانب الآخر للسياج الذي كان يخفي نصف جسمه . كان قميصه المفتوح يكشف عن عنقه البنّي . ووقع نظر ايتسوكو على هذه الابتسامة الفتية والبريئة . إن فكرة كونها ترى لآخر مرة هذا الوجه الباسم الذي لا يعبّر عن أي تأنيب كان يعطي نظرها شدة مؤلمة .

دمدم ياكيشي بشيء ما مرحّباً بهيئة سادرة . وكان ينظر إلى ايتسوكو وليس إلى سابورو.

التهب الزيت تحت أسماك الاسقمري التي كانت تشوى . ولم تتحرك ايتسوكو البتة ، وكان ياكيشي هو الذي سارع ليخفّف النار.

وفكر في دخيلته : «ما هذه القصة كلها؟ المنزل كله قد عرف حبّ ايتسوكو ، وهذا الطائش الحقير وحده يجهله» .

وبمزاج سيّء خفض من جديد لهب النار الذي كان يهدد بالتهام السمك كلياً.

وعت ايتسوكو الآن أنها قد خُدِعَتْ . لقد تباهت، أمام كانسوكيه وشياكو بأنها ستقول كل شيء لسابورو ، لكنها ترى الآن أن تصميمها كان مؤسّساً على شجاعة خيالية . وأمام هذا الوجه الباسم ، المفتوح

والبريء ، كيف ستستطيع الاحتفاظ بهذا القرار التعيس؟ ولم يكن هناك أحد تستطيع أن تتوجّه إليه لطلب المساعدة.

ومع ذلك، منذ البداية ، في الشجاعة التي تباهت بها ايتسوكو ، خافت أن لا يكون ذلك كافياً ، ألم يكن يوجد هناك الأمل المجنون في أن ساعات النعمة والسماح التي سيظلّ خلالها سابورو يجهل الحقيقة ، والتي يمكن أن تتيح لايتسوكو أن تعيش تحت نفس السقف معه ، دون أن يبغضها ، يمكن إطالتها لحظة؟

وبعد مضيّ وقت معين ، قال ياكيشي :

ـ إنني لا أفهم . إن والدته لم تأت معه ، أليس كذلك؟

ـ لا؟ هكذا قالت ايتسوكو بنبرة متسائلة، وكأنها تلاحظ هذه الواقعة لأوّل مرة .

كانت تحس بأنها متضايقة قليلاً ، ولكن سعيدة بما فيه الكفاية .

ـ هل عليّ الذهاب لأسأله ما إذا كانت ستأتي فيما بعد؟

همس ياكيشي : لا تفعلي ذلك ، وأضاف وليس بدون تهكم: وإلاّ فسيكون عليك التحدّث عن ميو.

وبعد ذلك بيومين ، كان لدى ايتسوكو الانطباع بأنها تعيش وسط هدوء عجيب. وهذان اليومان كانا يبدوان لها غير قابلين للإيضاح ، وكأنهما أعراض زائفة لشفاء يحدث في حالة ميؤوس منها ، هي علائم لتحسّن مؤقت ، تريح العائلة وتعيد آمالاً وهمية مفقودة منذ زمن طويل.

فما الذي حدث؟ وهل كانت هذه سعادة؟

أخذت ايتسوكو ماغي لأجل نزهة طويلة . ثم أمسكت بزمامه ، وذهبت معه حتى محطة أوكاماشي للسكّة الحديدية، يرافقهما

ياكيشي . وكان هذا ذاهباً إلى نهاية الخط أوميدا، لأخذ بطاقات من أجل الاكسبريس الخاص، كان ذلك في فترة بعد ظهر ٢٩ تشرين الأول.

كانت قبل ذلك بثلاثة أيام ، قد رافقت ، بوجه متصلّب، ميو إلى المحطة نفسها .

والآن ها هو ياكيشي يقف قربها منحنياً على الحاجز المدهون حديثاً ، وهو يثرثر معها . وقد لبس سترة قصيرة وأخذ عصا من الأسل . بل هو قد حلق ذقنه أيضاً . وقد ترك عدداً من القطارات في اتجاه أوميدا.

كانت ايتسوكو في هيئة سعيدة غير اعتيادية ، وذلك ما كان يقلق ياكيشي . وكانت تؤنب الكلب الذي كان يهدّد بإفقادها التوازن وهو يشدّ على زمامه ، لكي يشمّ الأرض حواليه . أو أنها كانت تنظر وهي باسمة بلطف بعينين حزينتين قليلاً إلى الأشخاص الذين كانوا ينتظرون أو يمرون أمام المكتبة ودكان الجزار قرب المحطة . وكانت ترفرف في الهواء رايات حمراء وصفراء ، هي عبارة عن إعلانات عن مجلات للأطفال . وكانت فترة بعد الظهر غائمة والريح قارصة.

كان ياكيشي يقول في دخيلته متأملاً : «أنا أتساءل ما إذا كانت سعيدة لأنها استطاعت أن تكلّم سابورو . وربما لأجل هذا هي لا تأتي معي إلى أوزاكا اليوم . ولكن إذا كان الأمر هكذا ، فإنني أتساءل لماذا لم تعترض هي على القيام غداً بهذه الرحلة الطويلة معي؟».

كان ياكيشي مخطئاً : فقد كانت سعادة ايتسوكو الظاهرية هي نتيجة ساعات من التأمل أوصلتها إلى أمام لغز واسع جداً تسبر الآن أغواره بهدوء ، وساعداها مكتوفان.

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

أمس ، قضى سابورو نهاره عاملاً في الحقول وكأن شيئاً لم يحدث . وحين ظهرت ايتسوكو ، نزع بتهذيب قبعته القش، وفي هذا الصباح، حيّاها بالطريقة نفسها.

لم يكن لدى الشاب الهادىء ما يقوله لمستخدميه خارج ما تطلبه أسئلتهم أو أوامرهم ، وأن لا يقول أي شيء عن نهار العمل أو عن اليوم كله لم يكن يضايقه. ولو أن ميو كانت هنا ، لكان هو أكثر حيوية ، وأكثر بهجة ، لكن وجهه الفتيّ المشع ، حتى حين يكون صامتاً ، لم يكن يظهر أدنى إشارة إلى الاستبطان ولا التحفظ . وكأن كل جسمه كان نشيداً إلى الطبيعة وإلى الشمس ، فإن كل ذرة من شخصه ، حين كان يعمل، تبدو أنها تفيض حياة وحيوية ونشاطاً ومرحاً . بل كان يبدو ممكناً أن هذا الذهن الساذج كان واثقاً بمسالمة في واقع أن ميو ما زالت تشكل عضواً في المنزل ، وأنها بعد القضية التي تشغلها في الخارج سوف تعود ، ربما هذا اليوم بالذات . وربما كان هو قلقاً بعض الشيء في صدد غياب ميو ، لكنه لم يكن ليسأل أبداً ياكيشي أو ايتسوكو أين كانت.

كانت ايتسوكو تحبّ الاعتقاد بأن سلوك سابورو يمكن أن يعزى إليها . وبعد كل شيء ، فإنها لم تقل له ما حدث لميو . ولهذا بصورة طبيعية فإن سابورو لم يشتمها ولم يذهب للانضمام إلى ميو . وقد بدأ يتكوّن لديه الشعور بأنها يجب أن تفعل كل ما في وسعها لصيانة هذه السعادة العابرة التي كانت تعتقد أنها تراها في سابورو.

لكن ايتسوكو لم تكن تستطيع أن توضح لماذا لم يُحضر سابورو والدته . ولسوء الحظ، فإن سابورو لم يكن يتحدث أبداً عن سفره وعن أحداث عيد «تيرني» .

كان أمل ضعيف ولا يمكن التعبير عنه ، ووهمي ومضحك جداً

بحيث لا يمكن التعبير عنه بكلمات ، قد تولّد في عمق شكوك ايتسوكو . إنها ، وهي الممزقة بين هذا الأمل وبين إحساس بالذنب ، لم تكن تتجاسر على النظر إلى سابورو مواجهة.

«يا لساباورو هذا! لا شيء يزعجه . وكأنما ليس له همّ في العالم» هكذا كان يفكر ياكيشي وهو ينتظر في المحطة . وتابع تفكيره في دخيلته قائلاً : «كنت أتصور ، مثلما كانت تتصور ايتسوكو هي ذاتها ، أنها بعد صرف ميو ، فإنه سيذهب لينضمّ إليها . لكننا كنا مخطئين . ويا عجباً ، ما هو الفرق؟ فحين سنرحل ، ايتسوكو وأنا ، فإن هذا كله سوف ينتهي . وحين سأكون في طوكيو ، فليس من المستحيل أن تحدث أشياء طيّبة» .

ربطت ايتسوكو زمام ماغي في الحاجز ، ونظرت إلى الخط الحديدي. كانت الأسلاك الحديدية تلمع تحت السماء الغائمة . كان الفولاذ المتلألىء عند الانحناءات الكثيرة يتمدّد أمام عيني ايتسوكو . وكانت حصى مسودة على الطرق الحديدية تلمع مثل برادة ناعمة . وبدأت الخطوط الحديدية ترتعش بمقدار خفيف، ناقلة اهتزازاً بعيداً.

ـ آمل أنها لن تمطر ، هكذا قالت فجأة ايتسوكو وهي تتذكر سفرها إلى أوزاكا في أيلول.

قال ياكيشي متفحصاً السحب: السماء لا تنذر بالمطر.

اهتزّت الأرض في حين كان قطار أوزاكا يدخل المحطة . سألت ايتسوكو :

ـ ألن تركب القطار؟

ـ لماذا لا تأتين معي؟ هكذا ألح ياكيشي بنبرة كان ضجيج القطار يبدو أنه يبرّرها.

وقالت ايتسوكو معتذرة : انظر كيف هي ثيابي. ثم هناك الكلب.

ـ تستطيعين أن تتركي الكلب في المكتبة . فنحن زبائن قدامى لهم ، وهم يحبّون الكلاب.

فصلت ايتسوكو وهي ساهية زمام الكلب، وقد اعتقدت أن من الأفضل التخلي عن قضاء نصف النهار هذا في «مايدن» وقد بدا لها فجأة أن العودة الآن إلى المنزل لكي تكون مع سابورو طوال السهرة مع كون الأمور قد وصلت إلى ما هي عليه ، هي شيء مرهق . وكانت تجد أيضاً من الصعب التصديق بأنه هناك ولم يختف نهائياً بعد عودته من «تيرني» قبل ذلك ببضعة أيام . ولكي يزيد الأمور خطورة ، كان يجعلها قلقة . إن النظر إليه وهو يعمل في الحقل واستعماله لرفشه بصورة هادئة لا تتأثر بأي شيء ، كان يملأها خوفاً.

وهل أن النزهة الطويلة التي قامت بها عشية أمس لم يكن هدفها التخلّص من هذا الخوف؟

نزعت الزمام وقالت :

ـ حسناً ، إنني أرافقك.

وها هي الآن في أوزاكا ، حيث تصوّرت أنها يمكنها أن تصل ، حين سلكت مع سابورو الشارع العام المقفر . لكنها كانت تسير الآن إلى جانب ياكيشي . فكم أن أحداثاً غريبة ، وكم من التغيرات غير المتوقعة تحدث في الحياة! ولم يظهر لهما أن ثمة ممراً تحت الأرض يؤدي إلى نهاية خط أوزاكا على الرصيف تحت مخزن هانكيو حيث وصلا ، إلاّ حين وجدا في الخارج ، وسط الجمهور.

وراح ياكيشي ، وهو ممسك بعصاه بإحدى يديه بصورة مائلة ،

وباليد الأخرى ، يمسك بذراع ايتسوكو ، يجتاز مفترق الطرق . وقد انفصلا فجأة .

ـ أسرعي ! أسرعي ! هكذا صاح بها من الرصيف المقابل.

وصلا إلى منتصف طريق الموقف، مهددين باستمرار بأبواق السيارات، ودفعا في النهاية إلى صخب نهاية خط أوزاكا . وكان فتى سوقيّ يعرض تذاكر للقطار الليلي على جميع الناس الذين يحملون أمتعة . ونظرت ايتسوكو إليه بثبات ، ملاحظة إلى أي حد كانت رقبته البنية والمرنة تشبه رقبة سابورو.

واجتازا بخطى واسعة ردهة الانتظار ، حيث كان يدوي مكبر الصوت معلناً رحيل القطارات ووصولها ، وسارا في الرواق الذي كان يبدو ، بصورة معاكسة ، هادئاً . ووصلا إلى مكتب يحمل هذه اللافتة : «رئيس المحطة» .

وفي حين كان ياكيشي يتحدث إلى رئيس المحطة ، ظلت ايتسوكو جالسة في قاعة صغيرة مجاورة حيث بدأت تنعس وهي غائصة في أريكة مكسوّة بقماش أبيض . وقد أيقظها صوت يتحدث بقوة في الهاتف . ولدى نظرها إلى الموظفين والعمال يتجولون في المكتب الكبير ، بدأت تدرك كم هي منهكة . وكانت تحسّ بأنها مجهدة بعبء كبير . إن مجرد واقع مراقبة نشاطات الحياة كان يؤلم قلبها المتعب. وكانت جالسة على هذا النحو ، مسندة رأسها إلى ظهر الأريكة ، وهي تلاحظ مشهد هاتف يمتصّ أصواتاً جهيرة تارة ، وطوراً حادّة .

«هاتف ، قالت في نفسها مفكرة ، منذ زمن طويل ، كما يبدو لي ، لم أر هاتفاً . إنه جهاز عجيب ، يسجل انفعالات الكائنات البشرية ، دون أن يكون قادراً على أن يصدر أكثر من صوت ضعيف . أفلا يحس الهاتف بأي ألم عن حالات الحب ، والبغضاء ، والرغبات

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

التي تجتازه؟ أم أن هذا الصوت الضعيف هو صيحة العذاب الاحتضاري الذي لا يطاق ، والذي يلحقه الهاتف باستمرار بمن يستعمله لبثّ شكواه؟» .

ـ أنا آسف لأنني أطلت انتظارك . ولكن أصبحت لدي بطاقتان . إن الأماكن لأجل القطار السريع الخاص للغد هي نادرة . وكان رئيس المحطة لطيفاً جداً .

وضع ياكيشي البطاقتين الزرقاوين في يد ايتسوكو الممدودة .

ـ إنهما بطاقتان للدرجة الثانية . وقد فعلت هذا من أجلك .

وفي الحقيقة ، كانتا بطاقتين من الدرجة الثالثة تمّ بيعهما . وكان باستطاعته أخذ بطاقتين من الدرجة الثانية من شباك التذاكر . لكنه ما أن أصبح في مكتب رئيس المحطة ، حتى اضطر لقبول ما يقدّم له .

بعد ذلك ، ذهبا إلى المخزن لشراء معجون تنظيف الأسنان ، وفراشٍ للأسنان ، وقشدة طازجة لايتسوكو ، وويسكي رخيصة الثمن للأمسية ـ هذا إذا كان يمكن تسميتها ويسكي ! ـ ثم عادا إلى المنزل .

منذ الصباح ، جرى إعداد الحقائب لأجل سفر اليوم التالي . وبعد أن أضافت ايتسوكو إلى الأمتعة الأشياء التي اشتريت من أوزاكا ، لم يبق عليها سوى الاهتمام بوجبة الطعام ، الأكثر تعقيداً بقليل مما هي في العادة ، لأجل السهرة . وكانت أزاكو وشياكو ، اللتان لم تكلما ايتسوكو ألبتة في الآونة الأخيرة ، تساعدانها في المطبخ .

إن مراعاة العادات والتقاليد هي شيء أشبه بالوسواس ، وهكذا لم تستقبل بالرضى فكرة ياكيشي بجمع كل أفراد العائلة لتناول طعام العشاء في الصالون الكبير الذي نادراً ما كان يستعمل .

قال كانسوكيه في المطبخ : يا ايتسوكو ، من الغريب أن يطلب الأب شيئاً مماثلاً . والأمر هو كما لو أنك ذاهبة إلى موسكو لتكوني أمام سرير موته . ما ألطفك إذ تتجشّمين هذا العناء!

واختلس كانسوكيه قطعة مما كانت تعدّه من الطعام .

ذهبت ايتسوكو لترى ما إذا كان تنظيف الصالون قد انتهى . وفي ضوء المغيب الضعيف ، كانت الغرفة غير المضاءة تبدو حزينة مثل اسطبل كبير فارغ . وكان سابورو هناك وحده ، وهو يكنس غرفة الصالون ، ووجهه موجّه نحو الحديقة .

وربما كان ظلام الغرفة ، أو المكنسة في يد سابورو ، أو الحكّ الأصم للمكنسة على الحصر ، لكن وحدة الشاب التي لا يمكن التعبير عنها ، أحدثت لدى ايتسوكو ، التي كانت تراقبه من العتبة ، انطباعاً عميقاً . كان هذا يكفي لكي تعتقد، لأول مرة ، بأنها ترى كائنه الحميم .

كان الشغف وشعور بالذنب يقرضان قلبها على التوالي بشدّة متساوية . ونظراً لأن هذا العذاب الجديد كان يتسلّل إليها ، فقد أحسّت بغصّة الحب كما لم تحس بها من قبل أبداً . ولا بد أن الحبّ هو الذي أشعرها في عشية الأمس أنها لا تستطيع أن تتحمل النظر إلى سابورو .

ومع ذلك ، فإن وحدة سابورو ، كانت بالنسبة لها شيئاً يمكن لمسه ، شيئاً نقياً لا يستطيع نظرها النفاذ إليه . وكانت تذوب حباً إلى درجة إلغاء ذاكرتها وعقلها . بل إنها وصلت إلى حدّ نسيان سبب الشعور بالذنب الذي تحسّ به الآن ، وهو : ميو . إنها ، أي ايتسوكو ، لن تعتذر إلاّ إزاء سابورو ؛ وهي لن تقبل سوى لعناته . وفي

بساطة رغبتها بالذات في معاقبتها لذاتها كانت تظهر الأنانية في شكلها الأكثر نقاء . هذه المرأة ، التي كانت تبدو أنها لا تفكر إلاّ في ذاتها ، لم تعرف أبداً قبل اليوم أنانية نقيّة كهذه.

لاحظ سابورو وجود ايتسوكو في العتمة فاستدار :

ـ هل ترغبين في شيء، يا سيدتي؟
ـ بعد قليل ستنهي التنظيف ، أليس كذلك؟
ـ نعم ، يا سيدتي .

تقدّمت ايتسوكو حتى وسط الغرفة ، ونظرت حولها . ظل سابورو بلا حراك ، والمكنسة مسندة لقاء كتفه . كان يلبس قميصاً من الخاكي شُمِّر كمّاه . وكانت ايتسوكو ، التي كان صدرها يعلو ، تقف أمامه في النور النصفي ، مثل شبح باهت.

قالت بصعوبة : يا سابورو ، ألا تريد أن تلاقيني ، هذه الليلة ، في الساعة الواحدة ، في كرم العرائش ، وراء المنزل؟ قبل الرحيل، يجب أن أقول لك شيئاً ما.

لم يجب سابورو.
ـ إذاً، ستأتي .
ـ نعم، يا سيدتي .
ـ في الساعة الواحدة ، في كرم العرائش . ولا ينبغي أن يعرف ذلك أحد.
ـ كلا .

ابتعد سابورو بهيئة المرغم ، ودون أن يعرف ماذا يفعل، أخذ ينظّف موضعاً سبق له أن نظّفه.

كانت القاعة الكبرى مجهزة بمصباح كهربائي بقوة مئة شمعة ، لكنه كان يبدو أنه لا ينير إلا كمصباح بقوة أربعين شمعة . وتحت هذا الضوء الضعيف ، كان الصالون يبدو أكثر عتمة من شفق المغيب في الخارج.

قال كانسوكيه : يا إلّهي ، كم أنّ هذا قابض للنفس!

وبعد ذلك ، راح الجميع ينظرون إلى المصباح على التوالي، خلال باقي وجبة العشاء.

ولزيادة الأمور خطورة ، كانوا يأكلون على موائد الاحتفالات الفردية . وكان ياكيشي يتصدّر مكان الشرف ، أمام أحد الأعمدة ، والأشخاص السبعة الآخرون ، بمن فيهم سابورو ، كانوا متجمعين حوله في نصف دائرة . لكن بعض الأطباق كانت ، في الضوء الضعيف، غير مرئية إلى حدّ أن الجماعة التي تتخذ شكل C| تقاربت، بناء على اقتراح من كانسوكيه ، لإتاحة إضاءة أفضل. وكان هذا يعطي العائلة شكل فريق ليليّ، وليس فريق أمسية.

وتبادلوا شرب الأنخاب وهم يحتسون الويسكي.

كانت ايتسوكو معذّبة بقلق هو من صنعها . إن الهيئات التي كان يتخذها وجه كانسوكيه المهرّج ، وتحذلق شياكو في ثرثرتها ، وضحكة ناتسيو الحادّة والمبتهجة ، لم تكن تحدث أي انطباع لدى ايتسوكو . كانت مجتذبة ومخدوعة بالألم والقلق، تماماً مثل متسلّق جبال عالية تغريه تسلّقات وارتفاعات متزايدة أكثر فأكثر.

ومع ذلك كان ثمة في قلق ايتسوكو الحالي شيء مبتذل، شيء مختلف تماماً عن القلق الذي أظهرته حتى الآن . فحين كانت مستعدّة للتخلّص من ميو ، كانت علائم هذا القلق الجديد قد أصبحت مرئيّة

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

وكان هذا القلق يمكن أن يؤدي إلى تعاقب أخطاء في الحساب وخيبات أمل متعمدة ، وهائلة الضخامة ، يمكن أن تحرمها من المكانة التي حدّدت لها في هذا العالم . كان ذلك وكأنها تخرج من حيث يدخل الآخرون ، من باب عالٍ مثل برج مراقبة ورصد ، يستطيع قليل من الناس الوصول إليه . ومع ذلك كان ذلك هو المكان الذي عاشت فيه ايتسوكو دائماً ، في غرفة بلا نوافذ مع باب لم تكن تتجرأ على فتحه خوفاً من السقوط في الفراغ . وربما كان السبب الأساسي الذي يسمح لها بمغادرة هذه الغرفة هو تصميمها السابق على عدم الخروج منها أبداً .

كانت جالسة قرب ياكيشي ، وهذا ما كان يجنّبها طوال وجبة العشاء ، إلّا إذا التفت للنظر إليه ، رؤية الرجل الهرم الذي سيكون رفيقها في السفر . كان سابورو ، الجالس قربها ، والذي كان كانسوكيه لا يكفّ عن ملء قدحه بالخمرة ، يستأثر بكل انتباهها . وكانت يده المربّعة تبدو وكأنها تداعب القدح المليء بالكحول والذي كان يلمع مثل عنبر في الضوء الخفيف .

فكرت ايتسوكو في دخيلتها : «لا ينبغي أن يشرب كثيراً ؛ فإذا شرب كثيراً جداً ، فسوف يفسد كل شيء . فإذا سكر ونام ، سيضيع كل شيء . ليس لديّ سوى هذا المساء ، ذلك لأنني في الغد سأرحل» .

وحين حاول كانسوكيه ملء قدح سابورو ، مدّت ايتسوكو يدها .

ـ هيا ، لا تتصرفي كامرأة سليطة اللسان ووقحة . دعي ولدك المحبوب يشرب كأساً .

كانت هذه هي أوّل مرة يلمّح فيها كانسوكيه إلى مشاعر ايتسوكو نحو سابورو ، أمام العائلة المجتمعة .

ضم سابورو كأسه الفارغة وراح يضحك . كان مغزى أقوال كانسوكيه مفقوداً بالنسبة له وابتسمت ايتسوكو وقالت بهدوء :

ـ الكحول ليس جيداً للفتيان .

ثم استولت بشدة على الزجاجة . قالت شياكو وهي تناصر زوجها بعدوانية متزايدة : يجب الاصغاء إلى ايتسوكو ، إنها هي التي تدير الجمعية الحامية للشبيبة .

في النقطة التي وصلت إليها الأمور ، لم يعد ثمة سبب للموضوع المحرّم ، موضوع غياب ميو ، الذي كان قد بلغ الآن يومه الثالث ، لأن يناقش علانية . وشيء مدهش ، فإن نفس درجة العداء والطيبة كان قد أبقى هذا الحرم غير ممسوس ، وهو موقف قوّة جعله ممكناً اتفاقٌ ضمني يضم ياكيشي ، الذي بدا أنه يجهل القضية كلها ، وكانسوكيه وشياكو ، اللذين رُفضت طيبتهما ، وأزاكو ، التي لم تكن تكلم سابورو . ولكن إذا انتُهك بند واحد من بنود هذا الاتفاق ، فإن لحظة حرجة يمكن أن تترتّب على ذلك . وكان يبدو الآن ممكناً أن تبيّن شياكو عمل ايتسوكو في حضورها .

تساءلت ايتسوكو : «ماذا سأفعل ، إذا أطلع أحدهم سابورو على الأمر أمامي ، في هذا المساء، حين أردت أن أقول لسابورو كل شيء ، وأتحمل اعتراضاته؟ إنه لن يغضب ؛ وهو سيحتفظ بهدوئه ، ويخفي خيبة أمله .أوسيكون الأمر أسوأ من ذلك ، فسيحتفظ سابورو بالصمت ويبتسم وكأنه يسامحني . وستكون هذه نهاية كل شيء ، نهاية العذاب الذي استبقته ، وأحلامي الطائشة ، وفنائي البهيج . لا شيء يجب أن يحدث قبل الساعة الواحدة صباحاً! لا ينبغي أن يحدث شيء جديد قبل أن أتصرّف أنا بالذات!» .

ظلت ايتسوكو جالسة دون أن تنبس ببنت شفة ، ووجهها ممتقع .

وياكيشي هو الذي هبّ لمساعدتها .وهو الذي راح يتكلم ، رغم عجزه ، ومشاركتها دون إرادة منه ، في قلقها . وهو الذي ، رغم أنه لم يكن لديه سوى شعور غامض بموضوع انشغال ايتسوكو ، كانت لديه خبرة كافية لقياس عمق قلقها . وهو الذي ، لكي لا يفسد سفر اليوم التالي ، أنقذ ايتسوكو من كانسوكيه وشياكو ، منطلقاً في خطبة طويلة ومملّة ملأى بآراء غير مفيدة كان يختص بها في زمن رئاسته الطويلة .

ـ أجل، يا سابورو ، لقد شربت كفاية . وفي سنّك ، لم أكن أشرب ولا أدخن ، حين يكون المرء شاباً ، فالأفضل أن لا تكون له شهوات وذوق يأسف لها فيما بعد . أما حبّ الكحول ، فإن الأربعين عاماً ليست وقتاً متأخراً جداً . بل إنه وقت مبكر بالنسبة لرجل مثل كانسوكيه . وبالطبع ، لقد تغيّر الزمن والأجيال . وهناك فرق كبير بين الأجيال ، ويجب أن لا ننسى ذلك ، ولكن على كل حال. .

وكانت فترة صمت قطعتها قهقهة ضحك من أزاكو .

قالت : انظروا ، لقد نام ناتسيو. وسأذهب لأضعه في سريره.

كان الولد يرقد على ركبتيها . فأخذته بين ذراعيها ونهضت . وقد تبعتها نابوكو .

ـ فلنتقيّد بالدرس الذي يعطينا إياه ناتسيو ، ولنحسن سلوكنا ، هكذا قال كانسوكيه بلهجة ولادية عن قصد ، واعياً لما كان يريد ياكيشي التعبير عنه . وأضاف كانسوكيه قائلاً : يا ايتسوكو ، هل تريدين إعادة الزجاجة إليّ؟ أنا أرغب في شرب كأس.

دون أن تلاحظ تقريباً ، تركت ايتسوكو الزجاجة قربها ، من غير

أن تعرف كثيراً ماذا تفعل ، ثم زلقت الزجاجة نحو كانسوكيه.

كانت تحاول ، دون أن تتمكّن ، أن تحوّل عينيها عن سابورو ، الذي كان وهو متضايق ، يتلافى نظرها.

وفي حين كانت ايتسوكو تتفحّص سابورو ، فكرت في رحيل اليوم التالي ، جاهدة لاعتباره محتوماً وغير ممكن تلافيه . وكان يبدو لها الآن غير مؤكد ، وموضوعاً للتغيير. إن المحجّة التي كانت تفكر فيها الآن لم تكن طوكيو ، بل إنها ـ إذا كان يمكن وصف هذه بالمحجّة كرم العرائش وراء المنزل.

كانت قطعة الأرض التي تسميها عائلة سوجيموتو «كرمة العرائش» هي القسم من الملك الذي كان مكرساً في الماضي للكرمة ، والمزروع الآن بأشجار الدراق والذي تشغله ثلاث دفيئات مهجورة . وكان هو الموضع الذي ذهبوا لرؤية أشجار الكرز المزهرة فيه ، وللذهاب إلى العيد ، ولكن ، خارج هذه المناسبات ، كانت «كرمة العرائش» بالنسبة لآل سوجيموتو مكاناً قلما يزار ، وهو أشبه بجزيرة مقفرة .

لم تكن ايتسوكو تستطيع الامتناع عن التفكير في تحضيراتها : في كيفية ارتدائها ملابسها حين ستذهب إلى لقاء سابورو ، وإلى الكيفية التي ستمنع بها ياكيشي من رؤيتها وهي تتزوّق، وكيف ستلبس حذاءها ، وكيف ستفتح الباب الخلفي قبل الرقاد لكي تخفي صريره الذين يمكن أن يوقظ المنزل كله.

كانت تدرك أنها إذا كانت ترغب في حديث طويل مع سابورو ، فإنها ليست بحاجة إلى هذا اللقاء السرّيّ في مثل هذه الساعة ، وفي مثل هذا المكان . كانت هذه إضاعة للطاقة مضحكة ، وقبل بضعة

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

أشهر ، حين لم يكن أحد يعلم بحبها ، كان ذلك أمراً مختلفاً . لكن هذا الحب ، أصبح الآن ، إذا صح التعبير ، سراً مفضوحاً ، يعرفه الجميع ، وإنها إذا أرادت تلافي سوء تفاهم لا جدوى منه ، فإن من الأصوب تصميم هذا اللقاء معه في الخارج وفي رائعة النهار . ومع ذلك فإن كل ما كانت تتمنّاه هو القيام باعتراف تعيس ، ولا شيء أكثر من ذلك .

فما الذي ، إذاً ، كان يجعلها ترغب في هذا التكتّم الشديد التعقيد؟ .

في هذه الليلة الأخيرة ، كانت ايتسوكو ترغب في سرها الصغير ، حتى وإن لم يكن هناك شيء تكتمه . وسيكون ذلك سرّها الأوّل مع سابورو وربما الأخير . كانت تريد تقاسمه معه . حتى ولو لم يأتها سابورو بشيء ، فقد كانت تتمنى أن يعطيها هذا السرّ الصغير ، غير الخالي ، مع ذلك ، من الخطر . وكانت تعتقد أن لها الحق في أن تطلب منه هذه الهدية ، مهما كان ثمنها .

منذ منتصف تشرين الأول كان ياكيشي يلبس طاقية ليلية منسوجة من الصوف، لكي يقي نفسه من البرد.

وكان لهذه الطاقية بالنسبة لايتسوكو مدلول غريب. فحين كان ياكيشي يندسّ في السرير وطاقيته على رأسه ، كانت تعلم بأنه ليس بحاجة إليها هذا المساء. أما حين لا يلبسها ، فكان يعني أنه بحاجة إليها . . .

لقد انتهى مساء الوداع . وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، وأصبح باستطاعة ايتسوكو أن تسمع ياكيشي وهو يتنفّس في نومه قربها . وكان من المستحسن النوم جيداً عشية الشروع في سفر .

لقد انزلقت طاقيته الصوف إلى جانب ، كاشفة عن خصل شعره البيضاء الزيتية . لم يكن شعره ببياض الثلج ، بل كان رمادياً وذا مظهر غير معتنى به.

نظرت ايتسوكو إلى الطاقية السوداء في ضوء المصباح الصغير الذي كانت تستعمله للقراءة في السرير أثناء الليالي التي كانت لا تستطيع النوم فيها . وبعد مرور وقت معيّن ، أطفأت الضوء . ولم تكن تريد أن يكون لدى ياكيشي، إذ يفتح عينيه، انطباعٌ بأنها كانت تقرأ في زمن متأخّر عن العادة.

كانت متمدّدة هكذا في الظلام ، وانتظرت خلال مايقرب من الساعتين ، في مدة أبدية كاملة . كان نفاذ صبرها وخيالها المحموم والملفت من عقاله ، يصفان لها موعدها المقبل مع سابورو بصفته سعادة لا حدود لها . إن عبء الاعتراف الذي سَيُنزل عليها بغضاء سابورو كان قد نُسي ، تماماً مثل راهبة نسيت تحت تأثير الشغف والوجد ، أن تصلّي.

ذهبت ايتسوكو إلى المطبخ ولبست قميص النوم العادي الذي كانت قد خبأته هناك . ثم عقدت حول قامتها زناراً ، وأحاطت عنقها بوشاح صوفيّ ذي ألوان متقزّحة ، ثم ارتدت معطفها من الأطلس الأسود . وكان ماغي ينام نوماً عميقاً في حجرته الصغيرة ، قرب باب المدخل . إنه بالتأكيد لن ينبح . واجتازت ايتسوكو باب المطبخ وخرجت إلى الفضاء الليلي المضاء كنهار تحت ضوء القمر.

لم تذهب مباشرة إلى «كرم العرائش» ، بل اتجهت نحو غرفة نوم سابورو . كانت نافذته مفتوحة ، وأغطية سريره منزوعة ، ولا شك في أنه قفز من النافذة وسبقها إلى «كرم العرائش» . إن هذا البرهان

على مؤازرته ملأ قلب ايتسوكو ببهجة غير متوقعة ، وشهوانية .

كان كرم العرائش ، وإن كان يوصف عادة بصورة غامضة بأنه «خلف المنزل» ، يقوم في الجانب الآخر من المنحدر ، وهو بالأصح أشبه بواد صغير ، كانت تزرع فيه البطاطا . وكان دغل من الخيزران عرضه بضعة أمتار يحاذي سياج العرائش من جهة المنزل ، مخفياً الدفيئات خلفه .

سلكت ايتسوكو الدرب المعشب، الذي يجتاز المنحدر الصغير المزروع بالبطاطا . وسمعت نداء بومة . إن أرض الحقل المنبوشة ، والتي كانت قد انتزعت منها حبات البطاطا ، كانت مرئية في ضوء القمر ، وأشبه بأرض ناتئة ذات تضاريس لجبال مصطنعة من ورق مقوى . وكانت أسيجة من عوسج الخلنج ، تقفل قسماً من الدرب ، التي كان يمكن أن تتميز قربها آثار حذاء قماشي ـ هو حذاء سابورو ـ على متر أو مترين من الأرض السهلة الحراثة .

اجتازت أقصاب الخيزران ، وتسلّقت مرتفعاً صغيراً دالفة إلى ظل سنديانة كانت تستطيع أن ترى منها . وعلى عتبة البيت الزجاجي ، الذي كانت كل ألواحه الزجاجية تقريباً محطمة ، كان يقف سابورو ، معقود الذراعين ، وغارقاً في أفكاره .

كان شعره الأسود القصير المقصوص يلمع في ضوء القمر . كان يبدو أنه يتجاهل البرد ، ولا يلبس سترة ، بل كان يرتدي صدرة رمادية من الصوف محاكة باليد، كان قد أعطاه إياها ياكيشي .

حين لمح ايتسوكو ، فكّ ذراعيه ، وجمع عقبيه وحيّاها عن بعد .

اقتربت ايتسوكو ، ولكن لم تكن تستطيع الكلام . ونظرت لحظة

حولها وقالت :

ـ ألا يوجد مكان يمكن أن نجلس فيه؟

ـ بلى ، هناك كرسي صغير في البيت الزجاجي .

خاب أمل ايتسوكو قليلاً من لهجة سابورو ، التي لم تكن تخفي تردّداً ولا خجلاً .

خفض رأسه ، ودخل إلى البيت الزجاجي ، فتبعته ايتسوكو . كان إطار السطح المكشوف تقريباً ، وأوراق الدوالي تنعكس على الأرض المفروشة بالقشّ . وكان هناك كرسيّ صغير من الخشب المبلل بماء المطر . تناول سابورو خرقة . ومسح المقعد بعناية ، وقدّمه لايتسوكو . ثم قلب صفيحة صدئة ، وجلس فوقها . لكنه وقد وجد هذا المقعد غير مستقرّ ، جلس على الأرض .

لزمت ايتسوكو الصمت . وتناول سابورو قطعة من القشّ ، ولفها حول إصبعه ، محدثاً بها صريراً .

ثم أفلتت الكلمات من فم ايتسوكو .

ـ أنا الذي صرفت ميو .

ـ أنا أعرف ذلك ، هكذا قال سابورو ، رافعاً نظره بهدوء تام .

ـ من الذي قال لك ذلك؟

ـ السيدة أزاكو .

ـ أزاكو؟

خفض سابورو رأسه . ولفّ قشّة أخرى حول إصبعه . كان يجد من المربك رؤية انذهال ايتسوكو . وفي خيال ايتسوكو الملتهب ، كان الموقف الراضخ لدى هذا الفتى الخافض العينين هو نتيجة جهده في هذه الأيام الأخيرة لاتخاذ هيئة سعادة بالرغم من واقع أن حبيبته وهو

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

قد فصلا بدون سبب. وهو الآن، بعد أن تحمّل زمناً طويلاً هذا العذاب ، ما زال يظهر هذا الخضوع ، وهذا الاعتدال الذي لا يضاهى ، واللذين تختفي وراءهما مقاومة لا يمكن التعبير عنها ولا قهرها ، مقاومة كانت تجرح ايتسوكو أكثر من أعنف اللعنات . وتشنّج جسمها على الكرسي الصغير.

كانت تشبك يديها وتفكّهما وهي تتكلّم بصوت منخفض ، بلهجة متوسّلة ومحمومة . وكانت أقوالها تنقطع أحياناً بما يمكن تماماً أن يكون بكاء ، يشهد بقوة الانفعالات التي كانت تكبحها. وأحياناً كان يبدو أنها غاضبة .

ـ اعذرني ، أرجوك . لقد كنت أتألم ألماً هائلاً . ولم يكن بإمكاني أن أفعل شيئاً آخر . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد كذبت علي . لقد قلت لي إنك لا تحبّها ، وطوال هذا الوقت ، كنتما ، هي وأنت عاشقين شديدي العشق! ولكم عذّبتني هذه الكذبة! كنت أريد أن أعلمك بالعذاب الذي كنت تسبّبه لي دون أن تعلم ، وكان لديّ الانطباع بأن علي أن أجعلك تعاني القلق نفسه الذي لا يطاق. إنك لا تستطيع أن تتصوّر كم عانيت أنا! وكنت أتمنى لو أستطيع أن أزيل هذا العذاب من قلبي لأضعه إلى جانب العذاب الذي تحسّ به أنت الآن . وسنعرف الآن أيهما كان الأسوأ . بل وإنني فقدت كل سيطرة على ذاتي ، وأحرقت يدي عن عمد بالنار . انظر! لقد فعلت هذا من أجلك . لأجلك أحرقت يدي.

مدّت يدها في ضوء القمر ، عارضة موضع الحرق . ومدّ سابورو يده ، ولامس طرف أصابع ايتسوكو وكأنه يلمس شيئاً فظيعاً ثم أسقط يده بشدة.

قال سابورو في نفسه: «في تيرني، رأيت مثل هؤلاء

المتسوّلين : إنهم يرونك جراحهم لاستدرار شفقتك ، إنها جروح فظيعة . والسيدة هي أشبه بمتسولة نبيلة» .

لم تمض أفكار سابورو إلى أبعد من ذلك . ولم يكن يعلم أن ألم ايتسوكو هو الذي يجعلها مباهية ومعتزّة .

لم يكن يعلم بعد أن ايتسوكو كانت تحبه.

كان يجهد ليدرك ، في اعتراف ايتسوكو المفكك ، هذا الأساس من الحقيقة التي لم يكن يستطيع فهمها . هذه المرأة تتألم ، هذا مؤكّد . وكانت تتألم ، ورغم أنه لم يستطع أن ينفذ إلى السر ، فقد كان يعرف أن سبب هذا الألم له صلة به . وحين يتألّم شخص ما ، فيجب القيام بشيء ما ، لتهدئته . ليته فقط كان يعرف كيف. . .

قال : ـ لا تقلقي من أجلي، يا سيدتي . فبدون ميو ، سيكون الأمر محزناً خلال وقت ما ، لكن هذا لا أهمية كبيرة له.

لم تكن ايتسوكو تصدّق بأنه يقول هنا كل الحقيقة. وكانت منذهلة بالشهامة الهائلة التي يظهرها . كانت نظرتها غير المصدقة تسعى لأن تكتشف ، في اهتمام سابورو الطيب، وتعاطفه البسيط، كذبة متواضعة ولائقة.

ـ إنك لا تقول لي الحقيقة بعد . إن التي تحبّها قد أبعدت بالقوة ، وأنت تقول إن هذا لا أهمية كبيرة له . فكيف يمكن هذا؟ أنا أقول لك كلّ هذا معتذرة منك ، وأنت ترفض أن تكشف نفسك وتقول لي شعورك الحقيقي. أفلا تريد أن تسامحين؟

في روح سابورو البسيطة والشفّافة ، لم يكن هناك خصم أكثر تجرّداً من السلاح ضد فكرة ايتسوكو الثابتة ، السديمية والرومانسية .

لم يكن يعرف من أين يبدأ. بيد أنه كان يبدو له أن القاعدة الأساسية لقلقها هو كذبته ، هذه الكذبة الكبيرة التي آخذته عليها بالضبط منذ قليل : «أنا لا أحب ميو» . إذا كان يستطيع إقناعها بأن هذا الزعم هو صحيح ، فإنها بالتأكيد ستجد نفسها في حالة أفضل.

وقال بصورة واضحة جداً :

ـ ليست هذه كذبة . وليس عليك حقاً أن تتعذّبي بسببي، يا سيدتي ، لأنني لا أحبّ ميو .

كانت ايتسوكو تضحك تقريباً . وعلى كل حال ، فهي بالتأكيد لم تكن تبكي.

ـ إنك ما تزال تكذب! ودائماً الكذبة ذاتها ! هل تعتقد حقاً أنك تخدعني بأكذوبة ولادية كهذه؟

لم يكن سابورو يعرف ماذا يقول. أمام هذه المرأة التي لم يكن لكلماته أي تأثير عليها ، كان مجرداً من أيّ قدرة . ولم يبق لديه سوى التزام الصمت .

لأوّل مرة ، كانت ايتسوكو تحس بانفراج في هذا الصمت اللطيف، ومزّقت أذنيها صفارة قطار للبضائع كان يمر في الليل.

إن سابورو ، المستغرق بعمق في أفكاره ، لم يكن حتى ليسمعها . وكان يتساءل: «ماذا يمكنني أن أقول لها لكي تصدّقني؟ في المرة الأخيرة طرحت عليّ هذا السؤال «هل تحبّها؟ أم لا تحبها؟» وكأن هذا يجب أن يقلب العالم . والآن ، فهي لن تقبل بشيء مما سأقوله لها ، وستدعي أن هذا كذب . أظن أنها بحاجة إلى برهان . فإذا قلت لها الحقيقة كلها ، فسوف تصدّقني» .

جلس في نصف قرفصة وانطلق في خطاب :

ـ ليست هذه كذبة ، يا سيدتي . إنني لم أرغب أبداً في الحقيقة بأن اتخذ ميو زوجة . لقد كلمت الوالدة في «تيرني». إنها ضد هذا الزواج . لقد قالت لي : «إنك ما زلت فتياً أكثر مما ينبغي لكي تتزوج . ووجدت بصعوبة الشجاعة لأقول لها إن ميو تنتظر طفلاً . فقالت والدتي : «ولماذا سآخذ كنّة لي فتاة حمقاء بهذا الشكل؟ إنني حتى لا أرغب برؤيتها ، هذه الفتاة غير المحتشمة» بحيث أنها بدلاً من أن تأتي إلى «مايدن»، عادت مباشرة من «تيرني» إلى المنزل.

هذه الرواية السردية المجردة من الافتعال والحيلة، والمقدمة بلهجة متردّدة كانت تفيض صدقاً وإخلاصاً . واستسلمت ايتسوكو لفرح شديد، في النشوة الحالمة بهذه اللحظة الهاربة . وفي حين كانت تصغي ، كانت عيناها تلتمعان ، وأنفها يرتعش.

وكأنها في ارتعادة ، سألت:

ـ لماذا لم تقل لي ذلك؟ لماذا لم تقل لي هذا على الفور؟

ثم تابعت بنفس اللهجة :

ـ في هذه الحالة ، حين عدت بعد رحيل ميو ، أرضاك الوضع تماماً ، أليس كذلك؟

كانت أقوالها مفكّراً بها نصف تفكير ، منطوقة نصف نُطق . وهي نفسها كانت تجد مشقّة في التمييز بين المناجاة الذاتية التي كانت تردّدها ذهنياً ، والكلمات التي تلفظها . إن المرء يرى في الحلم ، نبتات فتيّة تتحوّل فوراً إلى أشجار مثمرة وإلى عصافير صغيرة تصبح خيولاً مجنّحة . وهكذا ، في نشوة ايتسوكو والوجد الذي ألمّ بها ، كانت تولد آمال مجنونة يمكن أن تتحقّق على الفور.

كانت تفكر : «وماذا إذا كنت أنا التي يحبّها سابورو؟ تلزمني الجسارة لأسأله عن ذلك ، وليس حتى أن أفكر بأن ما آمله هو خطأ .

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

فإذا تحقّق أملي ، فسأكون سعيدة . وهذا شيء بسيط تماماً» .

هكذا كانت ايتسوكو تتفكّر . إن أملاً لا تخشى من تلاشيه ليس ، في آخر تحليل، إلا نوعاً من اليأس.

وسألت ايتسوكو : حسناً ، من هي التي تحبها ، إذاً؟

هنا ، كانت هذه المرأة الفطنة ترتكب خطأ ، فتلك ، في هذه المناسبة ، ليست كلمات يمكن أن تقرّب بينهما . ولو أنها مدّت يدها لتلمس بلطف كتف سابورو ، ربما أمكن لكلّ شيء أن يبدأ . إن مجرّد واقع أيديهما المتلاقية كان يمكن أن يصل ما بين هذين الكائنين المتباينين.

ولكن الكلمات كانت تنتصب بينهما مثل شبح شرس ، بحيث أن سابورو لم يكن يفسّر كما ينبغي الحمرة التي كانت تضرّج وجنتي ايتسوكو . كان مثل ولد موضوع أمام مسألة جبر صعبة . وكان جوابه الوحيد هو الانسحاب.

وكان يقول في نفسه: «أحب... لا أحب... وأيضاً.. وأيضاً» .

إن الحب، هذه اللفظة السهلة والمريحة لأوّل وهلة ، كانت قد حملت إفراطاً من المدلولات في الحياة التي عاشها بمثل ذلك القدر القليل من التفكير. يضاف إلى ذلك ، أنها ، أي لفظة الحب ، كانت توشك على أن تفرض على الحياة التي سيعيشها في المستقبل بنية لا جدوى منها. إنها لم تكن تمثل بالنسبة إليه سوى مفهوم لا يقدم أية ضرورة.

لم يكن يجد في حياته اليومية أي مكان لمثل هذه الكلمة ،

كلمة يستطيع من أجلها أن يحدث له أن يضع حياته في اللعبة . بل وكان من الصعب عليه أن يتصوّرها ، وكان كل ذلك يبدو مضحكاً تماماً .

لقد كان هناك شابٌ يجد نفسه بالقرب من امرأة صبية. وكان من الطبيعي أن يقلّ سابورو ميو . وقد تضاجعا . وهكذا كانت ميو تحمل طفلاً في رحمها . ثم كان من الطبيعي تماماً أن يتعب سابورو ميو . إن لعبتهما الولادية كانت قد بلغت ذروتها ، ومن أجل هذه اللعبة ، لم تعد ميو ضرورية له . وأي كان أصبح بإمكانه أن يحلّ محلها . وفي الواقع ، القول بأنه كان مُتعباً من ميو يمكن أن لا يكون دقيقاً . فبالنسبة لسابورو ، فإن ميو لم تعد بحاجة لأن تكون ميو ، وهذا كل ما في الأمر.

لم يكن سابورو يتصرّف أبداً تبعاً للمفهوم القائل إنه إذا لم يعد يحب شخصاً ما ، فيجب أن يحب شخصاً آخر ، أو أنه إذا كان يحب شخصاً ، لا يمكن عشق شخص آخر . وبالتالي، فقد كان عاجزاً من جديد عن أن يجيبها.

وإذن، فمن ذا الذي كان يستطيع أن يحشر هذا الشاب البريء ، ومن يمكن أن يوثّب على إرغامه بتقديم إجابات عديمة التبصر؟

واستخلص سابورو أنَّ عليه أن يتابع لا ميله الخاص، بل خطة تمارس بصورة عامة ، وهو موقف خاصّ بالذين عاشوا ، منذ الطفولة في عائلة أجنبية.

وبعد أن اتّخذ قراره ، لم يكن يلزمه زمن طويل ليقرأ في عيني ايتسوكو التمنّي بأن يلفظ اسمها .

قال في نفسه: «إن عينيها نديّتان بالقلق . . وهذه هي الحقيقة.

إن الجواب الجيّد هو اسمها ، هذا ما تريده بدون أي شك» .

وانتزع حبّة عنب من قربه وأدارها في راحته . ثم خفض رأسه وقال بصوت واضح :

ـ إنه أنت، يا سيدتي .

في صوته ، كان الكذب أوضح مما ينبغي .

لقد كان يبلغها بأنه لا يحبّها بصورة أكثر دقة مما لو قال لها : «إنني لا أحبك» . ولم يكن من الضروري أن يكون الشخص ذا رأس بارد ليقرأ عبر هذه الكذبة غير المخادعة ، وقد عادت ايتسوكو ، وإن كانت غارقة في النشوة ، إلى ذاتها لدى سماعها هذه الكلمات .

كان كل شيء قد انتهى .

سوّت شعرها المجلّد بالهواء الليلي . ثم قالت بصوت معتدل وشجاع :

ـ نحسن صنعاً إذا عدنا إلى المنزل . علينا أن نرحل غداً ، في ساعة مبكرة ، ويجب أن أنام قليلاً .

خفض سابورو قليلاً كتفه اليسرى، ونهض، حزين الهيئة . وأحسّت ايتسوكو بالبرد على رقبتها فشدّت وشاحها مجدداً . ولاحظ سابورو أن شفتي ايتسوكو كانتا تلمعان في عتمة أوراق العريش اليابسة .

كان سابورو متعباً من هذا الحوار المضجر . ولدى نظره إلى ايتسوكو خلسة ، رأى فيها ليس امرأة ، بل ما يشبه المسخ الروحي ، تجسيداً روحياً لا يمكن تحديده، يبغض، أو يتألّم أو ينزف ، أو يطلق صرخة فرح : تشخيصاً لأعصاب ثائرة .

لكنها حين نهضت لتشدَّ الوشاح حول عنقها ، وعى سابورو ، لأوّل مرة ، أنها كانت امرأة . وإذ كانت تستعدّ للخروج من البيت الزجاجي ، مدّ ذراعه وسدّ عليها المرور .

حاولت أن تبعده ، ونظرت إليه بثبات لإعطائه الأمر بتركها تمرّ . ومثل مجذاف زورق ملقى عبر مياهٍ ملأى بالأعشاب ، يصدم جانب زورق آخر ، اصطدمت العضلات القوية لذراع سابورو بصدر ايتسوكو الطريّ .

ولم تفقده نظرتها شجاعته ، وفتح فمه بلطف . ثم ضحك بصوت منخفض وبهيئة مُطَمْئِنَة . وتظاهر بأنه لم ينتبه، فطرفت عيناه بشدة ، وأطبق جفنيه مراراً عديدة .

لماذا لم تلفظ ايتسوكو كلمة واحدة طوال هذا الوقت؟ هل لأنها قد فهمت أخيراً أن الكلمات غير مفيدة؟ وهل أنها ، مثل شخص ينظر إلى عمق هاوية ، يصبح مبهوراً منها بحيث لا يستطيع التفكير بشيء آخر ، أدركت أخيراً فشل آمالها ولم تعد تستطيع الآن سوى الرضوخ لهذا الوضع؟

إن جسدها ، المضغوط ضد هذا اللحم الفتيّ والجسور ، أصبح نديّاً وانزلق دثارها عن كتفيها .

كانت تقاوم دون أن تعرف لماذا . كانت تقاوم وكأن هذه المقاومة كانت سنداً لها .

كان يمسك بها بصلابة وحزم ، مثبتاً ذراعيها بلا حركة . ولم تكن تكفّ عن تحريك رأسها بشدة ، وكان ذلك يحول دون أن تلتقي شفاههما . وفي شدّة الصراع ، تعثّر سابورو مقابل المقعد الصغير

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

وسقط على إحدى ركبتيه في القشّ . وأفلتت ايتسوكو من ذراعيه واندفعت مسرعة خارج البيت الزجاجي .

لماذا كانت تصرخ؟ لماذا كانت تطلب العون؟ ومن كانت تدعو؟ وأي اسم آخر سوى اسم سابورو كانت تريد مناداته؟ وهل كان هناك من يأتي لنجدتها غير سابورو؟ إذاً ، لماذا كانت تطلب المساعدة؟ وأية فائدة في ذلك؟ أين كانت؟ وأين تريد أن تذهب؟ ومن أي شيء كانت تريد أن تُنْقذ وأين كانت تريد أن تؤخذ؟

ركض سابورو في إثرها وطرحها على العشب الذي كان ينمو بغزارة قرب البيوت الزجاجية . وسقطت في نباتات كثيفة . وجرحت الأعشاب البرّية أيديهما ، مازجة دمهما وعرقهما ، وهذا ما لم يكونا يلاحظانه البتة .

وإذ رأت وجه سابورو قرب وجهها ، أحمر ، دبقاً ولامعاً ، فكرت ايتسوكو: «هل يوجد في هذا العالم شيء أجمل من وجه شاب جعلته الشهوة رائعاً ، والعشق مُشعّاً؟» لكن جسدها، المفصول عن هذه الأفكار، كان ما يزال يقاوم .

كان سابورو مثبتاً إيّاها على الأرض بكل قوّة صدره وذراعيه ، وخلال هذا الوقت ، وكأنّما في تعب ، كان ينتزع بأسنانه أزرار دثارها من الأطلس الأسود . لم تعد ايتسوكو واعية إلا نصف وعي .

ولم تكن تحسّ سوى بشغف طاغٍ نحو هذا الرأس النشيط والثقيل الذي كان يدور على صدرها .

ومع ذلك ، ففي هذه اللحظة، صرخت .

قبل أن يفاجأ سابورو بهذه الصرخة الثاقبة، استعاد جسده المرن

كل قدراته وتأهّب للفرار . وليس عن منطق أو عن ردّ فعل ارتكاسيّ ، خطر الفرار في ذهنه . بنفس عملية إدراك الحيوانات الحسّي حين تكون حياتها في خطر . أبعد جسده ، ونهض ، وراح يركض في الاتجاه المعاكس لمنزل آل سوجيموتو .

صعدت في ايتسوكو قوةٌ مخيفة . فخرجت بسرعة من نصف الذهول الذي كانت قد سقطت فيه، ولحقت بالهارب وتشبّثت به .

وصاحت: انتظر! انتظر! وكلما كانت تأمره أكثر بانتظارها ، كان يركض أكثر . ولدى هربه ، كان يجهد لتحرير جسمه من الذراعين اللتين كانتا تمسكان به . وتعلّقت بفخذ سابورو بكل قوتها دون أن تدرك تقريباً أنه كان يجرّها وسط أشواك العلّيق .

فتح ياكيشي عينيه فرأى أن ايتسوكو لم تكن قربه . وفي إحساسه بأن مخاوفه مبرّرة ، ذهب إلى غرفة سابورو ، حيث وجد سريره خالياً . وعلى الأرض، في الخارج ، لاحظ ياكيشي آثار خطى .

اتّجه إلى المطبخ، وفي ضوء القمر ، لاحظ أن الباب ما زال مفتوحاً . وافترض بأنهما إذا كانا خرجا من هذه الجهة ، فلا بد أنهما اتّجها نحو أشجار الإجاص ، أو إلى «كرم العرائش» .

جعل يهبط الممرّ ، لكنه عاد بغتة أدراجه . على عتبة العنبر ، كان ثمة معول ، فأمسك بمقبضه ، وحمل الأداة بدون سبب ظاهر . . ربما للدفاع عن نفسه .

لدى بلوغ ياكيشي طرف دغل الخيزران ، سمع صيحات ايتسوكو . فألقى المعول على كتفه وجعل يركض .

وحين كان سابورو يتخبّط بيأس للفرار ، استدار فرأى ياكيشي

يركض نحوه . وكان سابورو قد تعب من الركض ، فلبث هادئاً بلا حراك، ولاحظ أن ياكيشي يتّجه نحوه لاهثاً.

أحسّت ايتسوكو بأن قوة الفرار كانت تتخلّى عن سابورو ، فنهضت، متسائلة عما حدث. ولا بد أن جسمها كله كان يتوجّع، لكنها لم تكن قد وعت ذلك بعد. وأدركت أن أحداً ما كان يقف قربها. كان هو ياكيشي ، بقميص النوم ، مستندا إلى معوله . كان قميصه المفتوح يكشف عن صدره العاري وجهوده لكي يستعيد أنفاسه . ونظرت إليه في عينيه دون ضعف ولا انكسار.

كان جسم الرجل العجوز يرتجف كله وقد خفض عينيه، عاجزاً عن ملاقاة نظرها.

وملأ تردُّده ايتسوكو غضباً. فانتزعت المعول منه وانقضّت به على كتف سابورو الذي كان يقف قربها ، مأخوذاً ، غير منتظر شيئاً ، ولا فاهم أي شيء . وقد مرَّت الشفرة الفولاذية البيضاء المرهفة جداً من فوق كتفه ونفذت إلى رقبته.

أطلق الشاب صرخة صغيرة مخنوقة وترنّح إلى الأمام . والضربة الثانية حطّمت جمجمته . ورفع سابورو يديه الاثنتين إلى رأسه ، وانهار.

كان ياكيشي وايتسوكو ينظران ، متسمّرين ، إلى الجسد الذي كان ما يزال يتحرك حركة خفيفة. والحقيقة أنهما لم يكونا يريان أي شيء إطلاقاً.

وبعد بضع ثوان ، بدت لهما بطول الأبديّة ، سأل ياكيشي :

ـ لماذا قتلته؟

ـ لأنك لم تفعل أنت ذلك.

ـ لم أكن أنوي قتله.

أدارت ايتسوكو نحوه عينين غاضبتين .

ـ أنت تكذب . لقد كنتَ على وشك أن تقتله . هذا ما كنت انتظره ولم يكن بوسعك إنقاذي بدون أن تقتل سابورو . لكنك كنت متردداً. وكنت ترتعد بصورة مخجلة. وهكذا، توجّب علي قتله بدلاً منك.

ـ أنت لا تستطيعين أن تنسبي لي هذه الجريمة!

ـ ومن الذي ينسبها لك؟ فمنذ صباح الغد ، في ساعة مبكرة ، سوف أذهب إلى الشرطة . وسأذهب وحدي.

ـ لا تستعجلي . هناك كثير من الأشياء التي يجب التفكير فيها . ولكن لماذا ، أوه ، لماذا توجّب عليك قتله؟

ـ لأنه كان يعذّبني .

ـ ولكن لم يكن الخطأ خطأه!

ـ لم يكن خطأه؟ ولكن بلى! لقد نال ما يستحقّه عن تعذيبه لي . لا يحقّ لأحد أن يعذّبني . هذا شيء لا يمكن قبوله.

ـ ومن الذي يستطيع التقرير بأن هذا لا يمكن قبوله؟

ـ أنا. وما أقرّره ، لا يستطيع أحد أن يغيّر أيّ شيء فيه.

ـ أنت امرأة مخيفة!

أطلق ياكيشي تنهداً طويلاً ، وكأنه يكتشف لأوّل مرة أنه ليس مرتكب الجريمة .

ـ اسمعي ، لا نستعجل الأمور . ولنأخذ وقتنا للتفكير في ما نستطيع فعله . وبالانتظار ، نحن نحسن صنعاً إذا تأكدنا من أن أحداً لا يستطيع أن يكتشفه.

http://9ofy.com/forumdisplay.php?f=40

أخذ المعول من يدي ايتسوكو . كان مقبضه رطباً من الدّم الذي يلطّخه .

قام ياكيشي حينئذ بمهمّة غريبة . كان ثمة على مقربة من هناك قطعة أرض منكوشة ومعدّة لزرع الأرز فيها . وهناك ، مثل حرّاث يعمل قبل حلول الليل بوقت طويل ، راح ياكيشي يحفر حفرة بدأب وإصرار .

خلال الوقت الطويل الذي لزم ياكيشي لإعداد القبر غير العميق ، كانت ايتسوكو جالسة على مقربة تنظر بثبات إلى جثّة سابورو ، الممددة ووجهها إلى الأرض . كان أسفل كنزته الصوفية مشمراً قليلاً ، وكانت بشرة ظهره العارية تظهر حيث كان قميصه الخاكي مرفوعاً مع كنزة الصوف . كان لون قميصه رمادياً . وكان أحد خدّيه غائصاً في العشب ، وكان فمه ، الملتوي من الألم ، يفترّ عن صف من الأسنان البيضاء والحادّة . كان يبدو أنه يبتسم تقريباً . وتحت جبهته ، حيث كانت تقطر منه قطع من المخّ ، كان يبدو أن جفنيه غائصان بعمق في محجريهما ، لشدة ما كانت عيناه مطبقتين .

بعد أن أنهى ياكيشي الحفر ، ذهب إلى قرب ايتسوكو وربت على كتفها .

كان من الصعب إمساك رأس الجثة والجذع الداميين ، بحيث أن ياكيشي أمسك الجثة من ساقيها وجرها في العشب . وحتى في الليل ، كانت تُرى بقع بنية حيث ظلّت الجثة ممددة . كان وجه سابورو المقلوب يتحرّك بشدة وكأنه يهزّ رأسه في حين كان يصدم الحجارة أو تلاع التراب .

أهال ياكيشي وايتسوكو التراب بشدّة على الجسم الممدد في

الحفرة . وكان كل ما ينبغي تغطيته أخيراً هو الوجه الباسم ذو العينين المغمضتين والثغر المفتر . كانت الأسنان الأمامية تلمع ، ناصعة البياض ، في ضوء القمر . وألقت ايتسوكو المعول على الأرض ، وأخذت تراباً بيدها وصبّته في فم سابورو . فسال التراب في تجويف الفم المعتم . وحمل ياكيشي مع المعول كتلة كبيرة من التراب من أحد جانبي الحفرة وغطى بها وجه الميت .

وحين اختفت الجثة كلياً تحت طبقة الأرض المنبوشة ، داست ايتسوكو بقدميها هذه الأرض لأجل رصّها ، ولم تكن تلبس سوى جواربها القصيرة فبدت لها الأرض الرخوة مألوفة بل حميمية ، وكأنها كانت عارية القدمين .

وفي أثناء ذلك ، كان ياكيشي يتفحص الأرض على الدائر ليمحو بقدمه آثار الدم . ثم كان يغطّيها مجدّداً بالتراب ، ويدوسها من جديد .

في المطبخ ، نظّفا أيديهما الملطخة بالوحل والدم . وعثرت ايتسوكو على خفّيها فلبستهما لأجل العودة . ونزعت ثيابها الملطخة بالدم .

كانت يدا ياكيشي ترتعشان بشدة كبيرة بحيث لم يكن يستطيع امتياح الماء . وقامت ايتسوكو ، التي لم تكن ترتجف ، بالعمل بدلاً عنه ، وغسلت بعناية لطخات الدم التي كانت قد بقيت في حوض المطبخ .

كانت ايتسوكو أوّل من ترك المطبخ ، حاملة ثيابها الملفوفة في كومة . وبالكاد كانت تحس بالحروق والرضوض التي أصابتها حين جرّها سابورو . ولم يكن ذلك ، على كل حال ، ألماً حقيقياً .

ونبح ماغي ، لكنه سرعان ما كفّ عن ذلك .

بأيّ شيء يمكن مقارنة النوم ، الذي استولى على ايتسوكو مثل نعمة إلهية ، ما إن انزلقت في السرير؟

كان ياكيشي يصغي ، مذهولاً ، إلى تنفُّسها الهادىء . إن تعباً طويلاً ، تعباً لا متناهياً ، تعباً هائلاً ، أكثر جسامة بكثير من الجريمة التي ارتكبتها ايتسوكو قبل وقت قليل ، تعباً كاملاً وناتجاً عن الآلام التي لا تحصى والمتراكمة والتي حملتها على تحقيق حركة فعلية . . . ما من أحد بالتأكيد يمكنه أن ينام نوماً بمثل هذه البراءة دون أن يكون قد دفع ثمنه بهذا التعب!

بيد أن ايتسوكو استيقظت ، بعد فترة الراحة التي منحت لها . حولها ، كان كل شيء غارقاً في الظلام . وكانت ساعة الحائط تسجل الثواني الثقيلة والكئيبة . وقربها ، كان ياكيشي ، المرتعش، لا يستطيع أن يحظى بالرقاد. ولم تتكلّم ايتسوكو ألبتة . وما من أحد كان يمكن أن يسمع صوتها . وفتحت عينيها عامدة في ظلمات الحجرة . لم تكن تستطيع أن ترى أي شيء.

سمعت صياح الديك في البعيد. وحتى في هذه اللحظة ، قبل الفجر بوقت طويل، كانت الديكة تصيح . كان أحدها يبدأ، ثم يجيبه آخر . ثم كان صياح آخر يتعالى، وآخر يلعلع . وكان صداح الديكة ، وسط الليل، يستمرّ بلا كلل.

. . . لم يكن قد تغيَّر شيء.